

أَوْلَى الْأَصْحَابِ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

خَيْرُهُمْ فِي الْأُمَّةِ

رَضِيَ عَنْهُمْ

تأليف

الشيخ الدكتور

عبد الستار جبار شكر الجنباني

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

③ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أولئك أصحاب محمد ﷺ خير هذه الأمة / عبد الستار جبار شكر الجنابي

ط ١ ، جدة ، ١٤٣٩ هـ

٣٢٨ ص ؛ ٢٤ * ١٧ سم

ردمك : ٥-٥٥٢٤-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الصحابة والتابعون أ.العنوان

ديوي ٩, ٢٣٩ / ٩٦٣ / ١٤٣٩

رقم الإيداع : ٩٦٣ / ١٤٣٩

ردمك : ٥-٥٥٢٤-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

محكمة التفتيش
محلل ١٤٠٨
والذي يشهد على الكف الإلهام بيد محمد

رَبَّهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَشْرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ
الزَّרَّاعَ لِيغْزِيَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

الإهداء

- ** إلى من لهم الفضل بعد الله تعالى في وجودي وتربيتي وتعليمي .
- ** إلى والديَّ الكريمين أهديهما ثمرةً من ثمار غراسهما ، داعياً الله تعالى بهذا الدعاء : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ .
- ** إلى شريكة حياتي وأُمّ أبنائي ، الصابرة المحتسبة ، الثابتة ثبات الجبال الرواسي ، الشكورة ، الوفيّة ، النقيّة ، التي كانت عوناً لي ولوالديّ وأولادي ، وأهلي جميعاً ، فجزاها الله عني وعنهم كلَّ خير .
- ** إلى فلذات كبدي : أولادي ، وأخواتي وأولادهن ، وأهلي وأحبابي جميعاً ... أدعو الله تعالى أن يجعلهم جميعاً أحفاداً لأصحاب محمد ﷺ .
- ** إلى كلِّ محبٍّ ومُتَّبِعٍ للنبي ﷺ وآله وأصحابه الأطهار والأخيار رضي الله عنهم أجمعين .
- ** إلى كلِّ مَنْ علَّمَنِي وأرشدني إلى الخير .
- ** إلى الدعاة والمجاهدين في سبيل الله .
- ** إلى الغيورين على الأمة الإسلامية .

أهدي هذا الجهد المتواضع

وأدعوه تعالى أن يُخْلِصَ لي النِّيَّةَ ، ويُعْظِمَ لي الأجرَ ، وَيَجْعَلَهُ في مَوَازِينِ حَسَنَاتِي .

المُقَدِّمَةُ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ نَبِيَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي خَيْرِ الْقُرُونِ ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنَ الْأَصْحَابِ أَكْمَلَ النَّاسِ عُقُولًا ، وَأَقْوَمَهُمْ دِينًا ، وَأَشَجَعَهُمْ قُلُوبًا ، وَأَعَمَقَهُمْ عِلْمًا ، وَأَقْلَهُمْ تَكَلُّفًا ، وَأَكْثَرَهُمْ أَجْرًا ، وَأَفْصَحَهُمْ لِسَانًا ، وَأَحْسَنَهُمْ أَخْلَاقًا . قَوْمٌ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، فَأَقَامَ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ ، وَأَظْهَرَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَخَلِيلُهُ مِنْ عِبَادِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ .

أَمَّا بَعْدُ :

وَلَمَّا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمْ قُدُوتُنَا فِي دِينِنَا ، وَهُمْ حَمَلَةُ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ وَالسُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، الَّذِينَ حَمَلُوا عَنْهُمْ أَمَانَاتِهِمْ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيْنَا ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ هَذِهِ الْأَمَانَاتِ عَلَى أَمْثَالِنَا أَنْ نَدْرَأَ عَنْ سِيرَتِهِمْ كُلَّ مَا أُصِيقَ بِهِمْ مِنْ إِفْكٍ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا حَتَّى تَكُونَ صُورَتِهِمْ الَّتِي تُعْرَضُ عَلَى أَنْظَارِ النَّاسِ هِيَ الصُّورَةُ النَّقِيَّةُ الصَّادِقَةُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ، فَنُحَسِّنُ الْاِقْتِدَاءَ بِهِمْ وَتَطْمَئِنُّ النُّفُوسُ إِلَى الْخَيْرِ الَّذِي سَاقَهُ اللَّهُ لِلْبَشَرِ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَالطَّعْنُ فِيهِمْ طَعْنٌ فِي الدِّينِ الَّذِينَ هُمْ وَرَاءَهُ ، وَتَشْوِيهِ سِيرَتِهِمْ لِلْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَلُوهَا وَتَشْكِيكٌ فِي جَمِيعِ الْأُسُسِ الَّتِي قَامَ عَلَيْهَا كَيَانُ التَّشْرِيعِ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ ^(١) .

(١) أبو بكر بن العربي ، «العواصم من القواصم» ، ص : ٤٩ .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَا يُتَنَصَّرُ لِشَخْصٍ انْتِصَارًا مُطْلَقًا عَامًّا، إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا لِلطَّائِفَةِ انْتِصَارًا مُطْلَقًا إِلَّا لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. فَإِنَّ الْهَدْيَ يَدُورُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ دَارَ وَمَعَ أَصْحَابِهِ دُونَ أَصْحَابٍ غَيْرِهِ» (١).

وَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمُ عُذُولٌ، وَهُمْ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالشَّهَادَةُ لَهُمُ بِالْإِيمَانِ وَالْفَضْلِ أَصْلٌ قَطْعِيٌّ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

الصَّحَابِيُّ: هُوَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ.

قَالَ ابْنُ حَبَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَصَحُّ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الصَّحَابِيَّ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَدْخُلُ فِيْمَنْ لَقِيَهُ مَنْ طَالَتْ مُجَالَسَتُهُ لَهُ أَوْ قَصُرَتْ، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ أَوْ لَمْ يَرَوْهُ، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْزُ، وَمَنْ رَأَاهُ رُؤْيًى وَلَوْ لَمْ يُجَالِسْهُ، وَمَنْ لَمْ يَرَهُ لِعَارِضٍ كَالْعَمَى» (٢).

إِلَى أَنْ قَالَ: «وَهَذَا التَّعْرِيفُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَصَحِّ الْمُخْتَارِ عَنِ الْمُحَقِّقِينَ كَالْبُخَارِيِّ، وَشَيْخِهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَمَنْ تَبِعَهُمَا، وَوَرَاءَ ذَلِكَ أَقْوَالُ أُخْرَى شَاذَّةٌ» (٣).

وَمَنْ ثَبَّتَ لَهُ شَرْفُ الصُّحْبَةِ لَا يَتَطَلَّبُ شَرْطُ التَّعْدِيلِ، بَلْ يُكْتَفَى بِشَرْطِ الصُّحْبَةِ تَعْدِيلًا.

(١) ابن تيمية، «منهاج السنة النبوية» ٥/ ٢٦٢.

(٢) «الإصابة»، ١/ ١٠.

(٣) «الإصابة»، ١/ ١٢.

إِنَّ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ عَلَيْنَا مَعْرِفَةَ أحوالِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وحياتهم ، وما اتَّصفُوا به من أخلاقٍ ساميةٍ ، وصفاتٍ جليَّةٍ ؛ لِيُضِيَّءَ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَرْعَبُونَ فِي الْاِقْتِدَاءِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صلَّى الله عليه وآله ، والذي لَا يَشْكُ فِيهِ عَاقِلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله نَبِيًّا وَرَسُولًا . إِنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله هُم خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله ؛ فَكَمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله هُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَأَفْضَلُهُمْ ، فَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم هُم خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ .

كَمَا قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رحمته الله : «وَمِنَ السُّنَّةِ تَوَلَّى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله ، وَمَحَبَّتُهُمْ ، وَذِكْرُ مُحَاسِنِهِمْ ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ» ^(١) .

وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم هُم الصَّفْوَةُ الْمُخْتَارَةُ وَالطَّبَقَةُ الْمُتَمَازَةُ فِي تَلَقِّيِ السُّنَّةِ وَرِوَايَتِهَا وَالْعِنَايَةِ بِهَا ، وَالْحَرِصِ عَلَى تَبْلِيغِهَا . وَإِنَّمَا نَالَتْ السُّنَّةُ هَذِهِ الْمَكَانَةَ الرَّفِيعَةَ ، وَلَقِيتْ ذَلِكَ الْاهْتِمَامَ الْبَالِغَ حِينَ عَلِمُوا أَنَّهَا الرُّكْنُ الثَّانِي فِي بِنَاءِ الدِّينِ الْقَوِيمِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . وَالصَّحَابَةُ هُم الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا هَذَا الدِّينَ كَامِلًا صَحِيحًا ، وَهُمْ الَّذِينَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى اجْتَبَاهُمُ اللَّهُ وَرَفَعَهُمْ مَكَانًا عَلِيًّا .

لَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذَا الرَّسُولِ الْقَائِدِ صَحَابَةً مُجَاهِدِينَ صَادِقِينَ ؛ كِرَامًا وَأَنْصَارًا ، عُذُولًا وَأَائِمَّةً ثِقَاتًا ، رُهْبَانًا فِي اللَّيْلِ فُرْسَانًا فِي النَّهَارِ . نَصْرُوهُ ،

وَعَزَّزُوهُ ، وَآيَّدُوهُ ، وَنَصَرُوا دِينَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَكَانُوا خَيْرَ صَحْبٍ خَيْرِ مَنْ مَشَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ : رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

كَانُوا حَقًّا خِيَارًا عُدُولًا ، ثِقَةً أَثْبَاتًا ، أُمَّةً هُدَاةً ﷺ ، وَأَرْضَاهُمْ . فَأَنْعِمَ بِهِمْ وَأَكْرَمَ ؛ أَنْعِمَ بِهِمْ مَا أَعْلَى قَدْرَهُمْ ! وَمَا أَجَلَ مَكَانَتِهِمْ ! وَمَا أَشْرَفَ وَأَعْظَمَ الْجَهْدَ الَّذِي قَامُوا بِهِ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى .

* رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصْطَفَى مِنَ اللَّهِ ، وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ الصَّفْوَةُ الْمُخْتَارَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ عَنْهُ كَلِمَاتٌ لَوْ خُطَّتْ بِمَاءِ الذَّهَبِ لَمَا كَانَ كَثِيرًا : « إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ . ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ عَنْهُمْ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ » (١) .

* وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِعِلْمِهِ لِلْغَيْبِ اخْتَارَ أَصْحَابَ رَسُولِهِ ﷺ عَنْ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ . اخْتَارَ لَهُ خِيَارًا عُدُولًا ، كَانُوا بِشَهَادَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَشَهَادَةِ الرَّسُولِ الْحَبِيبِ ﷺ : خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٢) . وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ : صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَهُمْ يَدْخُلُونَ فِي هَذَا الثَّنَاءِ الْعَاطِرِ دُخُولًا أَوَّلِيًّا . جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ

(١) «مسند الإمام أحمد»: (١٣٣٥/٣)، (٣٤٥٠)، الحاكم «المستدرک»: (٧٨/٣)، ووافقه الذهبي . قال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وقال الشيخ الألباني : حسن موقوفاً . تخريج الطحاوية : (٤٧٠) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠

مَسْعُودٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « خَيْرُ الْقُرُونِ قُرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » ^(١) .

* فَهَذِهِ خَيْرِيَّةٌ لِلصَّحَابَةِ شَهِدَ لَهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَشَهِدَ لَهُمْ بِهَا رَسُولُ الْكَرِيمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَالصَّحَابَةُ خَيْرُ الْقُرُونِ ، وَصَفْوَةُ الْأُمَّةِ ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ . وَهُمْ أَفْضَلُ جِيلٍ ، وَأَقْوَمُ رَعِيلٍ ؛ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَتَبْلِيغِ شَرِيعَتِهِ ؛ فَكَانُوا حَقًّا خِيَارًا عُذُولًا ، أَثْبَاتًا ، أُمَّةً هُدَاةً ، شُجْعَانًا أَفْذَاذًا . هُمْ عِبَادُ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ؛ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَلَى الثَّقَلَيْنِ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ . كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ أَبْرَهَا قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا ، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا » .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَمِنَ السُّنَّةِ ذِكْرُ مُحَاسِنِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ » .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُمُ الْجِيلُ الْقُرْآنِيُّ الْفَرِيدُ الَّذِي لَا يَجُودُ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ أَبَدًا .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُمُ الَّذِينَ أَقَامُوا دِينَ اللَّهِ ، وَفَتَحُوا الْبُلْدَانَ وَالْأَمْصَارَ بِدِمَائِهِمْ .

(١) متفق عليه ، « صحيح البخاري » (١٣ / ٣٣٥) ، (٣٤٥٠) ، « صحيح مسلم » (٧ / ١٨٥) ، (٢٥٣٢) .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ أَعْلَمُ الْخَلْقِ وَأَنْصَحُهُمْ ، حَيْثُ بَرَزَ مِنْهُمْ مَنْ كَانُوا «مِنْ عُلَمَاءِ الْعَالَمِ ، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِمْ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ عَلَى لِسَانِهِمْ ، أَبْرُ النَّاسِ قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقُهُمْ عِلْمًا ، وَأَقْلَهُهُمْ تَكَلُّفًا ، يَتَكَلَّمُونَ فَيُنْصِتُ الزَّمَنُ وَيَخْطُبُونَ فَيَسْجُلُ قَلَمُ التَّارِيخِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** رَبَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَيْنِهِ ، وَتَعَهَّدَهُمْ بِنَفْسِهِ ، وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مُوجَّهًا حَيَاتِهِمْ ، وَمُصَوِّبًا أَخْطَاءَهُمْ ، فَتَوَفَّرَ لَهُمْ مِنْ مُقَوِّمَاتِ التَّرْبِيَةِ مَا لَمْ يَتَوَفَّرْ لِغَيْرِهِمْ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ الَّذِينَ حَفِظُوا الْوَحْيَيْنِ (الكِتَابَ ، وَالسُّنَّةَ) ، وَبَلَّغُوهُمَا بِأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ لِمَنْ بَعَدَهُمْ .








* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ الْجِيلُ الْمُبَارَكُ الْمُرَكَّبُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ حَلَقَةُ الْوَصْلِ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَبَيْنَ نَبِيِّهَا ﷺ وَأَنَّ قَطَعَ هَذِهِ الْحَلَقَةَ يَعْنِي قَطَعَ صِلَةَ الْأُمَّةِ بِنَبِيِّهَا .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** حُبُّهُمْ سُنَّةٌ ، وَالِدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ ، وَالْاِقْتِدَاءُ بِهِمْ وَسِيلَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِثَارِهِمْ فَضِيلَةٌ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** وَجُودُهُمْ فِي أَرْضِ الْجِهَادِ سَبَبٌ لِلنَّصْرِ وَالْفَتْحِ .

- *  **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** أَمَانٌ لِلأُمَّةِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْفِتَنِ .
- *  **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثَنَاءً عَاطِراً قَبْلَ أَنْ يُوجَدُوا ، وَمَدَحَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقُوا ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فِي كِتَابِهِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .
- *  **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ إِيْمَانًا وَفَهْمًا وَعِلْمًا وَعَمَلًا بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، وَكُلُّهُمْ فَهَمٌ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مُخَالِفٌ لِفَهْمِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الَّذِي جَاءَ عَنْهُمْ ، وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْهُمْ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ .
- *  **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** مِنَ السُّنَّةِ ذِكْرٌ مُحَاسِنِهِمْ كُلُّهُمْ أَجْمَعِينَ .
- *  **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ ، هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ ، وَعَقْلِ ، وَدِينٍ ، وَفَضْلِ ، وَكُلِّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ الْهُدَى ، وَرَأْيِهِمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لَأَنْفُسِنَا .
- *  **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ يُقْتَدَى بِهِ ، وَمَنَارٌ يُسْتَفَادُ بِأَثَارِهِ ، فَكَانُوا بِحَقِّ هُدَاةٍ ، ثِقَاةٍ ، هُمُّهُمْ رَفْعُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَبْعَدِ بَقَاعِ الْعَالَمِ ، فَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا .
- *  **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** كُلُّ خَيْرٍ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّمَا هُوَ بَرَكَةُ الصَّحَابَةِ ، الَّذِينَ بَلَّغُوا دِينَ اللَّهِ ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِاللَّهِ ، فَلِلصَّحَابَةِ ﷺ الْفَضْلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَكْتَفِهِمْ وَصَلَتْنَا الشَّرِيعَةُ غَرَاءَ صَافِيَةٍ لَيْلُهَا كَنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ خَرِيْجُو مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَمُحِبُّو حَبِيبٍ وَاحِدٍ ، فَالْمَدْرَسَةُ هِيَ : الْمَدْرَسَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، وَالْحَبِيبُ هُوَ : الْقَائِدُ الْمُعَلِّمُ ، إِمَامُ الْمُتَّقِينَ ، وَإِمَامُ الْمَجَاهِدِينَ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَاشُوا حَيَاتَهُمْ مُوَحَّدِينَ مِنْ أَجْلِ الْجِهَادِ ، وَمُجَاهِدِينَ مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ بَيْنَ صَلِيلِ السُّيُوفِ ، وَصَهْلِ الْخُيُولِ ، وَصِيَا حِ الْفُرْسَانِ ، وَدَوِيِّ التَّكْبِيرِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا عَرَفُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ، فَنَالُوا بِسَنَامِ الْإِسْلَامِ حَيَاةَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ يَقِينًا أَنَّ تَرْكَ الْجِهَادِ سَبَبٌ لِلذُّلِّ وَالْهَوَانِ وَالذَّنْسِ وَالْعَارِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يُبَالُونَ أَوْقَعُوا عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِمْ ، مَا دَامَ جِهَادُهُمْ خَالِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ مِنْ أَعَزِّ أَمَانِيهِمْ نَيْلُ الشَّهَادَةِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَرَصُوا عَلَى طَلَبِ الشَّهَادَةِ وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ مِنْ أَعَزِّ أَمَانِيهِمْ نَيْلُ الشَّهَادَةِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ أَعْظَمَ أَمَانِيهِمْ أَنْ يَمُوتُوا شُهَدَاءَ
فَوْقَ أَرْضِ مَعْرَكَةٍ مَجِيدَةٍ مِنْ مَعَارِكِ الْإِسْلَامِ شَوْقًا لِلشَّهَادَةِ ، شَوْقُهُمْ إِلَى
بَذْلِ أَرْوَاحِهِمْ رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَشْهَدْ التَّارِيخُ رَجُلًا عَقَدُوا عَزْمَهُمْ
وَنَوَايَاهُمْ عَلَى غَايَةِ تَنَاهِتِ فِي الْعِظَمَةِ وَالسُّمُوِّ وَالْبَذْلِ ثُمَّ نَذَرُوا حَيَاتَهُمْ عَلَى
نَسَقٍ تَنَاهَى فِي الْجَسَارَةِ وَالتَّضَحِّيَةِ وَالْبَذْلِ ، كَمَا شَهِدَ قَادَةُ الْجِهَادِ مِنَ الصَّحَابَةِ
فِي الْقُرُونِ الْخَيْرِيَّةِ ، لَقَدْ جَاؤُوا الْحَيَاةَ فِي أَوَانِهِمِ الْمُرْتَقِبِ ، وَيَوْمِهِمِ الْمَوْعُودِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَزَمُوا الْفُرْسَ بِأَرْضِ فَارِسَ ، وَالرُّومَ
بِأَرْضِ الرُّومِ ، وَأَدَّبُوا الطَّوَاعِيَتِ ، وَرَفَعُوا رَايَاتِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا ،
بُطُولَاتُهُمْ سَجَّلَهَا التَّارِيخُ فِي سُطُورٍ أَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ

عَلَى تَرَانِيمٍ تَكْبِيرَاتِنَا سَقَطَتْ رَا يَاتٍ كَسَرَى وَذَاقَ الْمَوْتُ سَاسَانُ

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمَنَّوْا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّ
نَبِيِّهِمْ وَقَائِدَهُمْ وَمُعَلِّمَهُمْ ﷺ تَمَنَّاها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ يَقُولُ : «وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلَ ، ثُمَّ
أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلَ» ^(١) .

(١) «صحيح البخاري» ، (١ / ٢٢ ، ٣٦) .

* رَوَاهُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

هُمْ الرِّجَالُ وَعَيْبٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي زِيَّهِمْ رَجُلٌ
أَسْوَدُ غَابٍ وَلَكِنْ لَا يُثِيبُ لَهُمْ إِلَّا الْأَسِنَّةُ وَالْهِنْدِيَّةُ الْقُضْبُ

* رَوَاهُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ شُجْعَانُ أَبْطَالُ أَفْذَاذُ ، هُمَ الَّذِينَ

أَخْرَجُوا الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَقَطَعُوا أَسْبَابَ التَّعَلُّقِ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَكَانَ
الِاقْتِحَامُ ، وَكَانَتِ الشَّهَادَةُ ، وَكَانَ الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ .

* رَوَاهُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمَ الَّذِينَ أَقَامَهُمُ اللَّهُ لِهَذَا الدِّينِ

قَادَةً وَفُرْسَانًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبَعْدَهُ بِالسَّيْفِ وَالسَّهْمِ وَالسِّنَانِ ،
وَتَصَاوُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَيَادِينِ السَّبَاقِ تَصَاوُلَ الْأَقْرَانِ ، وَتُبَذَلُ فِي نُصْرَتِهِ
مِنْ نَفُوسِهَا وَأَمْوَالِهَا نَفَائِسُ الْأَثْمَانِ .

* رَوَاهُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَلَبُوا الْمَعَالِي وَالْأَجَادَ تَحْتَ ظِلَالِ

السُّيُوفِ ، وَسَالَتْ دِمَاؤُهُمُ الزَّكِيَّةَ طَلَبًا لِلشَّهَادَةِ وَشَوْقًا إِلَيْهَا ، حَتَّى
يَنْعَمُوا بِجَوَارِ الرَّحْمَنِ ، أَعَالِي الْغُرَفِ وَفَرَادِيسِ الْجَنَّانِ .

* رَوَاهُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا بِحَقِّ سَادَاتِ الْمُجَاهِدِينَ

الصَّادِقِينَ ، الْأَبْرَارِ الْمُخْلِصِينَ ، الْفَاتِحِينَ ، دَمَدَمُوا عَلَى إِمْبْرَاطُورِيَّاتِ
الشَّرِكِ الْوَثْنِيَّةِ ، وَحَوَّلُوهَا إِلَى كَثِيبٍ سَهِيلٍ ، يَقُولُ قَائِلُهُمْ : « إِنَّ اللَّهَ
ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَمِنْ ضِيقِ
الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الْآخِرَةِ ، وَمِنْ ظُلَمِ الْكُفَّانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ » ^(١) .

(١) من مقولة للصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه قالها لرستم قائد الفرس قبل معركة القادسية .

ينظر : « تاريخ الطبري » (٣ / ٥٢٠) ، « البداية والنهاية » (٩ / ٦٢٢) .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** عَلِمُوا أَنَّ لِلْجِهَادِ فَضْلًا لَا يُضَاهِي ،
وَحَيْرًا لَا يَتَنَاهَى ، وَأَيَقَنُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، وَأَنَّ الرَّيَّ الْأَعْظَمَ
فِي شُرْبِ كُؤُوسِ الْحُتُوفِ ، فَشَمَّرُوا لِلْجِهَادِ عَنْ سَاقِ الْجِتْهَادِ ، وَنَفَرُوا إِلَى
ذَوِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ مِنْ شَتَّى أَصْنَافِ الْعِبَادِ ، وَجَهَّزُوا الْجِيُوشَ وَالسَّرَايَا ،
وَبَذَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْعَطَايَا ، وَأَقْرَضُوا الْأَمْوَالَ لِمَنْ يُضَاعِفُهَا وَيُزَكِّيْهَا ،
وَدَفَعُوا سِلْعَ النَّفُوسِ مِنْ غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ لِمُشْتَرِيهَا ، وَضَرَبُوا الْكَافِرِينَ فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ ، وَاسْتَعَذَّبُوا مِنَ الْمَنِيَّةِ الْمَذَاقَ وَبَاعُوا الْحَيَاةَ الْفَانِيَةَ بِالْعَيْشِ الْبَاقِي
وَنَشَرُوا أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ فِي الْآفَاقِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** زَادَهُمُ التَّقْوَى ، وَشِعَارُهُمُ الْجِهَادُ ،
وَحِصْنُهُمُ الْإِيمَانُ ، وَخُلِقَهُمُ الْقُرْآنُ ، وَقُدُوتُهُمْ سَيِّدُ الْأَنَامِ ﷺ ،
وَأُمْنِيَّتُهُمُ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ الَّذِينَ مَلَأُوا الْأَعْيْنَ قَدْرًا وَجَلَالًا ،
وَالنُّفُوسَ تَقْدِيرًا وَإِجْلَالًا ، وَالْقُلُوبَ أَسْوَةً وَمِثَالًا ، حَيَّا اللَّهُ دِينًا أَنْجَبَكُمْ ،
وَرَسُولًا عَلَّمَكُمْ ، وَأُمًّا وَلَدَتْكُمْ ، وَاللَّهُ مَا عَقِمَتْ أُمَّةٌ وَلَدَتْ أَمْثَالَكُمْ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْكُمْ لَقَدْ أَتَعَبْتُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، نَدَعُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْمَعَنَا بِكُمْ وَمَعَكُمْ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** ضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ وَحُبِّهِمْ
لِلنَّبِيِّ ﷺ ، كَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِمُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ﷺ ، وَيَرُونَ
السَّعَادَةَ فِي فِدَاءِ نَفُوسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَحَرِصُوا

أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى صُحْبَتِهِ ، وَاخْتِيَارِهِمْ صُحْبَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَفَرَحِهِمْ بِمُرَافَقَتِهِ ، وَخَشْيَتِهِمْ عَلَى فِرَاقِهِ ، وَبُكَائِهِمْ عَلَى فِرَاقِهِ ﷺ .

* ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يُسَارِعُونَ إِلَى امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَإِنَّهُمْ جَعَلُوا أَنْفُسَهُمُ الْغَالِيَةَ رَخِيصَةً ، نُصْرَةً لِسُنَّتِهِ وَذَبًّا عَنِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ .

* ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُدْرِكُونَ تَمَامَ الْإِدْرَاكِ أَنَّ مِنَ الْأُمُورِ الْأَسَاسِ فِي الْحُبِّ أَنْ يَكُونَ هَوَى الْمُحِبِّ تَابِعًا لِأَمْرِ الْحَبِيبِ ، لِأَنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ ، إِنَّهُ يَسْعَى إِلَى فِعْلِ مَا يُحِبُّهُ حَبِيبُهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَبْغِضُهُ ، وَيَجِدُ فِي ذَلِكَ حَلَاوَةً وَلَذَّةً لَا تُوصَفَانِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ الْحَبِيبَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ ، وَالْقَائِدَ الْقُدْوَةَ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ يَحْرِصُ أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَيُسَارِعُ إِلَى تَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ ، وَيُبَادِرُ إِلَى اجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

* ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى اتِّبَاعِهِ الْمُتَابِعَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الشَّامِلَةِ ، وَالتَّائِسِيَةِ بِهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ ، فِي جِهَادِهِ ، وَأَقْوَالِهِ ، وَأَفْعَالِهِ ، وَفِي صَبْرِهِ ، وَمُصَابَرَتِهِ ، وَمُرَابَطَتِهِ ، وَفِي جَمِيعِ شُؤْنِهِ ﷺ .

* ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ شَتَمَهُمْ وَطَعَنَ فِيهِمْ فَهُوَ كَافِرٌ مُلْحِدٌ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، دَوَّاهُ السَّيْفِ إِنْ لَمْ يَتُبْ ، عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَبَّهُمْ فَهُوَ زَنَدِيقٌ بَاطِنِيٌّ مُجُوسِيٌّ ،
فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّبُّ وَالطَّعْنُ فِيهِمْ تَكْذِيبٌ لِمَا نَصَّ
عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنَ الرِّضَا عَنْهُمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ الْحَاصِلِ مِنْ نُصُوصِ
الْقُرْآنِ ، وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِهِمْ هِيَ قَطْعِيَّةُ الثُّبُوتِ ، وَمَنْ أَنْكَرَ
مَا هُوَ قَطْعِيٌّ الثُّبُوتِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْإِجْمَاعِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الطَّعْنُ فِيهِمْ إِنَّمَا هُوَ طَعْنٌ فِي حِكْمَتِهِ
تَعَالَى ، وَطَعْنٌ فِي الرَّسُولِ ﷺ ، وَطَعْنٌ فِي الدِّينِ نَفْسِهِ ، وَكَمَا هُوَ ثَابِتٌ
مُقَرَّرٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ : «الطَّعْنُ فِي النَّاقِلِ طَعْنٌ فِي الْمَنْقُولِ» ، وَهَذَا بِلَا
شَكٍّ كُفْرٌ بِالْإِجْمَاعِ ، وَهَذَا هُوَ الْهَدَفُ الْحَقِيقِيُّ لِهَؤُلَاءِ الزَّانِدَةِ الْبَاطِنِيَّةِ
الصَّفَوِيَّةِ فِي طَعْنِهِمْ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّبُّ وَالطَّعْنُ فِيهِمْ إِيْذَاءٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ،
لَأَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ وَخَاصَّتُهُ ، وَالطَّعْنُ فِيهِمْ يُؤْذِيهِ وَلَا شَكَّ ، وَأَذِيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ
كُفْرٌ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَحَبَّهُمْ ، وَتَوَلَّاهُمْ ، وَدَعَا لَهُمْ ، وَرَعَى
حَقَّهُمْ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُمْ ، فَازَ فِي الْفَائِزِينَ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ ، وَنَسَبَ
إِلَيْهِمْ مَا نَسَبَهُ الرِّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ ، فَقَدْ هَلَكَ فِي الْهَالِكِينَ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَقُّهُمْ عَلَيْنَا : حُبُّهُمْ وَالتَّرَضِّي عَنْهُمْ ،
وَاعْتِقَادُ عَدَالَتِهِمْ ، وَالشَّهَادَةُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَالاعْتِرَافُ بِسَابِقَتِهِمْ ، وَالْحِرْصُ

عَلَى نَشْرِ فَضَائِلِهِمْ وَجِهَادِهِمْ ، وَالْكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، وَنَجْعُلُهُمْ قُدْوَةً
تَتَّخَذُ فِي حَيَاتِنَا ، وَأَنْ نَدْرَأَ عَنْ سِيرَتِهِمْ كُلَّ مَا أُلْصِقَ بِهِمْ مِنْ إِفْكٍ ظُلْمًا
وَعُدْوَانًا ، فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ حُشِرْنَا مَعَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَأَفْضَلُ تَابِعٍ
لْخَيْرِ مَتَّبِعٍ ، وَهُمْ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ بِالسِّنَانِ وَالْقُلُوبَ بِالْإِيمَانِ . وَلَمْ
يَعْرِفِ التَّارِيخُ الْبَشَرِيُّ تَارِيخًا أَعْظَمَ مِنْ تَارِيخِهِمْ ، وَلَا رِجَالًا دُونَ الْأَنْبِيَاءِ
أَفْضَلَ مِنْهُمْ وَلَا أَشْجَعَ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ أَسَاسُ الْمُجْتَمَعِ ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ
اللَّهُ تَعَالَى بِـ «السَّابِقِينَ» .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ أَفْضَلُ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ
الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؛ فَأَدْنَاهُمْ صُحْبَةً هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ أَحَدِنَا دَهْرُهُ كُلَّهُ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةٍ أَفْضَلَ رُسُلِهِ ،
وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ فِي أَفْضَلِ كُتُبِهِ ؛ فَكُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِيهَا مَدِيحٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ،
الْمَقْصُودُ بِهَا أَوَّلًا الصَّحَابَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ، ثُمَّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ .

لِذَلِكَ كَانَ مِنْ أَسْسِ وَصْلِبِ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ : حُسْنُ الْإِعْتِقَادِ ، وَحُبُّ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** . فَمَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَمَنْ كَذَّبَ
الْقُرْآنَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ .

فَالصَّحَابَةُ حُبُّهُمْ دِينٌ ، وَإِيمَانٌ ، وَإِحْسَانٌ . وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ ،
وَنِفَاقٌ ، وَطُغْيَانٌ ^(١) .

* وَمِنْ أَصْدَقِ الْكَلِمَاتِ فِي وَصْفِ حَالِ الصَّحَابَةِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه
فَقَالَ : « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ
هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا ، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا ، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا ، وَأَحْسَنَهَا
حَالًا . قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صلوات الله عليهم ، فاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ ،
وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ » ^(٢) .

* وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ فِي الْإِصَابَةِ لِلْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ ، وَالْهَدْيِ الْمَتَّبِعِ ؛ فَهُمْ
أَحَقُّ الْأُمَّةِ فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ ، وَأَجْدَرُ الْخَلْقِ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ .
وَلَوْ لَمْ يَأْتِ الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَكَانَتْ سِيرَتُهُمْ وَهَجَرَتُهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ
كَافِيَةً فِي مَعْرِفَةِ قَدْرِهِمْ ، وَعِظَمِ مَنَزِلَتِهِمْ .

* قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ : « عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرِدْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ
شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ لَأَوْجَبَتْ الْحَالُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا مِنَ الْهَجَرَةِ وَالْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ ،
وَبَذَلِ الْمُهْجِ وَالْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ، وَالْمُنَاصَحَةِ فِي الدِّينِ ، وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ
وَالْيَقِينِ ، الْقَطْعَ عَلَى عَدَالَتِهِمْ ، وَالْإِعْتِقَادِ بِنَزَاهَتِهِمْ » ^(٣) .

(١) ينظر «شرح العقيدة الطحاوية» . ص : ٤٦٧ .

(٢) «مسند الإمام أحمد» ١ / ٣٧٩ . «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر ، (٢ / ٩٤٧) ، «الحجة في بيان
المحجة» : (٢ / ٥١٩) .

(٣) «الكفاية» : (ص ٤٩) .

* وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْمُفَضَّلَةَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ كَالصَّحَابَةِ الْكِرَامِ الَّذِينَ فَازُوا بِصُحْبَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ ؛ فَمُعْتَمِدُ الْقَوْلِ عَنْ أئِمَّةِ الشُّنَنِ : أَنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ عُذُولٌ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ ^(١) . فَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مِثْلُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ فِي الْفَضْلِ ؛ بِشَاهِدِ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » ^(٢) .

* وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مِعْفَلٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يُبْلَغُ الْحَاضِرُ الْغَائِبُ : اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي !! لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي ؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبُحِبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِئْغَضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ ، وَمَنْ يَأْخُذُهُ اللَّهُ فَيُوشِكُ أَنْ لَا يُفْلِتَهُ » ^(٣) .

فَمَنْ أَحَبَّهُمْ ، وَتَوَلَّاهُمْ ، وَدَعَا لَهُمْ ، وَرَعَى حَقَّهُمْ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُمْ ، فَازَ فِي الْفَائِزِينَ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ ، وَنَسَبَ إِلَيْهِمْ مَا نَسَبَهُ الرَّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ لَعَنَهُ اللَّهُ ، فَقَدْ هَلَكَ فِي الْهَالِكِينَ .

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٩

(٢) متفق عليه ، « صحيح البخاري » : (١٣٤٣ / ٣) ، (٣٤٧٠) ، « صحيح مسلم » : (٤ / ١٩٦٧) ، (٢٥٤١) .

(٣) « المسند » : (٥٤ / ٥) ، (٢٠٥٨٦) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (١) كَلَامًا نَفِيسًا فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

هَذَا الْحَدِيثُ وَأَمْثَالُهُ بَيَانُ حَالَةِ مَنْ جَعَلَهُمْ غَرَضًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَبَّهِمْ وَافْتَرَى عَلَيْهِمْ وَعَابَهُمْ وَكَفَّرَهُمْ وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِمْ ، وَقَوْلُهُ ﷺ : «اللَّهُ ... اللَّهُ» كَلِمَةُ تَحْذِيرٍ وَإِنْذَارٍ كَمَا يَقُولُ الْمُحَذَّرُ : «النَّارَ ... النَّارَ» ، وَقَوْلُهُ ﷺ : «لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي» أَي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا لِلْسَّبِّ وَالطَّعْنِ ، كَمَا يُقَالُ : «اتَّخَذْتُ فُلَانًا غَرَضًا لِسَبِّهِ» أَي هَدَفًا لِلْسَّبِّ ، وَقَوْلُهُ ﷺ : «فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبُحِبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبُغِضِي أَبْغَضَهُمْ» ، فَهَذَا مِنْ أَجْلِ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ لِأَنَّ مَحَبَّةَ الصَّحَابَةِ لَكُونِهِمْ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَنَصْرُوهُ وَآمَنُوا بِهِ ، وَعَزَّرُوهُ وَوَأَسَّوْهُ بِالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَإِنَّمَا أَحَبَّ النَّبِيَّ ﷺ ، فَحُبُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْوَانُ مَحَبَّتِهِ ، وَبُغْضُهُمْ عَنْوَانُ بُغْضِهِ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : «حُبُّ الْأَنْصَارِ مِنَ الْإِيمَانِ وَبُغْضُهُمْ مِنَ النِّفَاقِ» ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِسَابِقَتِهِمْ وَمُجَاهَدَتِهِمْ أَعْدَاءَ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَذَلِكَ حُبُّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَبُغْضُهُ مِنَ النِّفَاقِ .

وَإِنَّمَا تُعْرَفُ فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي تَدْبِيرِ أَحْوَالِهِمْ وَسِيرِهِمْ وَآثَارِهِمْ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَعْدَ مَوْتِهِ مِنَ الْمُسَابَقَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْمُجَاهَدَةِ لِلْكَفَّارِ ، وَنَشْرِ الدِّينِ ، وَإِظْهَارِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ،

وَتَعْلِيمِ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ ، وَلَوْلَاهُمْ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الدِّينِ أَصْلٌ وَلَا فَرْعٌ ، وَلَا
عَلِمْنَا مِنَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ سُنَّةً وَلَا فَرَضاً ، وَلَا عَلِمْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ
شَيْئاً .

الفصل الأول

المبحث الأول : عدالة الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم في القرآن الكريم
والسنة المطهرة .

المبحث الثاني : حكم سب الصحابة وشهادات بعض السلف في
الذب عن الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الثالث : واجب الأمة نحو الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الأول

عَدَالَةُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَفَضْلُهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ

الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُذُولٌ ؛ عَدَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَوَثَّقَهُمْ فِي كِتَابِهِ ، وَزَكَّاهُمْ نَبِيُّهُ صلی اللہ علیہ وسلم فِي أَحَادِيثَ عَدِيدَةٍ . وَمَعْنَى عَدَالَتِهِمْ : أَنَّهُمْ لَا يَتَعَمَّدُونَ الْكَذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم ؛ لِمَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ ، وَالتَّزَامِ التَّقْوَى ، وَالْمُرُوءَةِ ، وَسُمُوِّ الْأَخْلَاقِ ، وَالتَّرَفُّعِ عَنْ سَفَاسِفِ الْأُمُورِ .

وَعَدَالَةُ الصَّحَابَةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ الْقَطْعِيَّةِ ، أَوْ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ . وَلَمْ يُخَالَفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا شُدُوزٌ مِنَ الْبَاطِنِيِّينَ ، وَالْمُنَافِقِينَ ، وَالزَّانِدِقَةَ .

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رحمته اللہ : «عَدَالَةُ الصَّحَابَةِ ثَابِتَةٌ وَمَعْلُومَةٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ لَهُمْ ، وَإِخْبَارِهِ عَنْ طَهَارَتِهِمْ ، وَاخْتِيَارِهِ لَهُمْ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ ؛ فَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ تَعْدِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمُ الْمُطَّلِعِ عَلَى بَوَاطِنِهِمْ إِلَى تَعْدِيلِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ لَهُ . وَهَذَا مَذْهَبُ كَافَّةِ الْعُلَمَاءِ ، وَمَنْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ» ^(١) .

الطَّعْنُ فِي الصَّحَابَةِ طَعْنٌ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَعْنٌ فِي الرَّسُولِ ﷺ ، وَطَعْنٌ فِي الدِّينِ

الطَّعْنُ فِي الصَّحَابَةِ ﷺ طَعْنٌ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي اخْتِيَارِهِمْ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَتَبْلِيغِ شَرِيعَتِهِ . وَالطَّعْنُ فِي الصَّحَابَةِ أَيْضاً طَعْنٌ فِي الرَّسُولِ ﷺ ؛ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنْ أئِمَّةِ الْعِلْمِ : «هَلُولَاءِ طَعَنُوا فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لِيَقُولَ الْقَائِلُ : رَجُلٌ سُوءٌ كَانَ لَهُ أَصْحَابٌ سُوءٌ ، وَلَوْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا لَكَانَ أَصْحَابُهُ صَالِحِينَ» (١) . تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْكَافِرُونَ عُلوًّا كَبِيرًا .

* بَلْ الطَّعْنُ فِي الصَّحَابَةِ ﷺ طَعْنٌ فِي الدِّينِ نَفْسِهِ ؛ كَمَا هُوَ ثَابِتٌ وَمُقَرَّرٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ : «الطَّعْنُ فِي النَّاقِلِ طَعْنٌ فِي الْمَنْقُولِ» . فَإِذَا كَانَ مَنْ نَقَلَ إِلَيْنَا هَذَا الدِّينَ (وَهُمُ الصَّحَابَةُ ﷺ) مَطْعُونٌ فِيهِمْ ، وَجَرُّوْحُونَ فِي عَدَائِهِمْ ، وَمُتَكَلِّمٌ فِي ثِقَتِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ شَأْنُ هَذَا الدِّينِ ؟ ! بَلَا شَكٍّ سَيَكُونُ الدِّينُ ذَاتَهُ مَطْعُونًا فِيهِ .

* وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْجَلِيلُ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ زَنَدِيقٌ . وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنُ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَجْرَحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ . وَالْجَرَحُ بِهِمْ أَوْلَى ؛ فَهُمْ زَنَادِقَةٌ» (٢) .

(١) «مجموع الفتاوى» : (٤/ ٤٢٩) .

(٢) «الكفاية» : (ص ٤٩) .

* يجب أن نفهم حقيقة لا غموض فيها ولا لبس : أَنَّ الهدفَ مِنَ الطَّعْنِ فِي نَقَلَةِ الدِّينِ (وهم الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم) هو الطَّعْنُ فِي الدِّينِ نَفْسِهِ . وَهَذَا هو المَطْلَبُ الأساسُ لهؤلاءِ الزَّنادِقَةِ الباطِنِيَّةِ . وَيَجِبُ أَنْ نَعِيَ تَمَاماً أَنَّ نُصْرَةَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم هو مِنْ أَوْجَبِ واجِبَاتِنَا نَحْوَ دِينِنَا ؛ لِأَنَّهُمْ هم الذين نَقَلُوهُ إِلَيْنَا بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَصِدْقٍ ؛ فَإِذَا طُعِنَ فِيهِمْ طُعِنَ فِي الدِّينِ نَفْسِهِ .

* فَحُبُّ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَمُوالَاَتُهُمْ ، وَنُصْرَتُهُمْ ، وَالتَّرَضِّي عَنْهُمْ مِنْ أَكْدِ حُقُوقِهِمْ عَلَى الْأُمَّةِ ؛ لِأَنَّهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم ، وَحَمَلَةُ الدِّينِ ، وَنَقَلَةُ الشَّرِيعَةِ . فَهُمْ أَحِبَابُ مُحَمَّدٍ صلی اللہ علیہ وسلم ، وَأَنْصَارُهُ ، وَأَضْهَارُهُ . وَهُمْ صَفْوَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَهَذِهِ هِيَ آثَارُهُمْ : شَرِيعَةٌ مَحْفُوظَةٌ ، صَافِيَةٌ نَقِيَّةٌ ، وَبِلَادٌ مَفْتُوحَةٌ . فَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ أَكْثَرَ مِنْ مِليَارٍ وَنِصْفِ المِليَارِ ، وَقَبْلَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَأَجْدَادُهُمْ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً ، دَخَلُوا الْإِسْلَامَ بِسَبَبِهِمْ ، ثُمَّ كُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتٍ أَوْلَئِكَ الْأَصْحَابِ الْأَبْرَارِ الْأَنْجَابِ ، الشُّجْعَانِ الْأَفْذَادِ .

* فَنَحْنُ نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ ، وَنَشْهَدُ آثَارَهُمْ . هُمُ النُّجُومُ تَهْتَدِي بِهِمُ الْإِنَامُ ، وَيَنْجَابُ الظَّلَامُ . وَكُنْ قَابِساً مِنْ نَارِهِمْ جَذْوَةً ، وَطَرْ حَيْثُمَا طَارُوا ، وَرَفْرَفٌ وَغَرْدٌ ؛ فَهُمْ أَصْلٌ وَنَحْنُ لَهُمْ فُرُوعٌ ، وَهُمْ مَثْنٌ وَنَحْنُ لَهُمْ حَوَاشٍ .

* وَمَا أَرَوَعَ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رحمہ اللہ فِي رِسَالَتِهِ مُوضَّحاً فَضْلَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ؛ إِذْ يَقُولُ : «الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ ، هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ ، وَعَقْلٍ ، وَدِينٍ ، وَفَضْلِ . وَرَأَيْهِمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لَأَنْفُسِنَا» .

* وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم كُلَّهُمْ مُعَدَّلُونَ ؛ عَدَّ لَهُم رَبُّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَرَسُولُهُ صلی اللہ علیہ وسلم ؛ وَذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَفِي أَحَادِيثَ عَدِيدَةٍ عَنِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم .

* وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ كَلَامًا نَفِيسًا فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم :
«لَمْ شْهَدْ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم يُمَتِّعُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ لَوْ عُمِّرَ عُمَرُ نُوحَ عليه السلام »^(١) .

* زَادَ رَزِينُ بْنُ عُبَيْدٍ ^(٢) : ثُمَّ قَالَ : « لَا جَرَمَ لَمَّا انْقَطَعَتْ أَعْمَارُهُمْ ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا يَقْطَعَ الْأَجْرَ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَبْغَضَهُمْ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ أَحَبَّهُمْ » .

* وَأَجْمَعَ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ لَا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ ؛ لِمُشَاهَدَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم . تَكَحَّلَتْ أَعْيُنُهُمْ بِرُؤْيَيْتِهِ ، وَسَبَقُوا بِالذَّبِّ عَنْهُ ، وَالهَجْرَةِ إِلَيْهِ ، وَنُصْرَتِهِ ، وَبَذَلِ الْمُهَجِّ ، وَقَتْلِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ، وَضَبِطِ الشَّرْعِ الْمُتَلَقَّى لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْدِلُ أَحَدٌ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ خَصْلَةٍ مِنَ الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ إِلَّا وَلِلَّذِي سَبَقَ بِهَا مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ . فَظَهَرَ فَضْلُهُمْ .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٢) ابْنُ الْأَثِيرِ ، « جَامِعُ الْأَصُولِ » : (٥٥٤ / ٨) .

* قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْكَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْجَمِيعَ - أَيِ : الصَّحَابَةِ - عُذُولٌ ، وَلَمْ يُخَالَفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا شُدُوذٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ» ^(١) .

* وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَجَمَعَ أَهْلُ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) عَلَى أَنَّهُمْ - أَيِ : الصَّحَابَةِ - كُلُّهُمْ عُذُولٌ» ^(٢) .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضاً : «ثَبَّتَ عَدَاؤُهُمْ - أَيِ الصَّحَابَةِ - جَمِيعاً بِثَنَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَثَنَاءِ رَسُولِهِ ﷺ ، وَلَا أَعْدَلَ مِمَّنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ، وَلَا تَرْكِیَّةَ أَفْضَلٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا تَعْدِيلَ أَكْمَلَ مِنْهُ» .

* وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَلُوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «إِعْلَمَنَّ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ - إِلَّا مَنْ شَذَّ - أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ عُذُولٌ ؛ يَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ تَعْظِيمُهُمْ» ^(٣) .

* وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ : «إِنَّ الْأُمَّةَ مُجْمَعَةٌ عَلَى تَعْدِيلِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ ، وَمَنْ لَا بَسَّ الْفِتَنِ مِنْهُمْ . فَكَذَلِكَ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يُعْتَدُّ بِهِمْ فِي الْإِجْمَاعِ» ^(٤) .

وَكَذَلِكَ نَقَلَ الْعِرَاقِيُّ ، وَالْجَوِينِيُّ ، وَابْنُ الصَّلَاحِ ، وَابْنُ كَثِيرٍ ، وَغَيْرُهُمْ : إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ عُذُولٌ .

(١) «الإصابة» : (١٧/١) .

(٢) «الاستيعاب» : (٨/١) .

(٣) «الأجوبة الوافية» : (٤٧١) .

(٤) «مقدمة ابن الصلاح» : (ص ٤٢٨) .

وهذه بعض الأدلة القاطعة من القرآن والسنة الدالة على عدالة وفضل الصحابة رضي الله عنهم

أولاً : الأدلة القاطعة من القرآن الكريم في عدالة الصحابة رضي الله عنهم ،
وفضليهم :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ
تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١) .
قال البراء بن عازب رضي الله عنه : « كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً » (٢) .

فهذه الآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم ؛ تزكية لا يُخبر بها ولا يقدر
عليها إلا الله . وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم ؛ ومن هنا رضي عنهم ، ومن
رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر ؛ لأن العبرة بالوفاة على الإسلام ، فلا
يقع الرضى منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام (٣) .

ومما يؤكد هذا : ما ثبت في صحيح مسلم ، من قول رسول الله ﷺ :
« لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا
تَحْتَهَا » (٤) .

(١) سورة الفتح ، الآية : ١٨

(٢) « صحيح البخاري » : (٤/ ١٥٢٥) ، (٣٩١٩) .

(٣) الهيثمي ، « الصواعق المحرقة » : (ص ٣٦) .

(٤) « صحيح مسلم » : (٤/ ١٩٤٢) ، (٢٤٩٦) .

* قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ ، أَنَّهُمْ : «مِمَّنْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّهُ عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ ، وَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ . فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ التَّوَقُّفُ فِي أَمْرِهِمْ ، أَوْ الشَّكُّ فِيهِمْ ؛ الْبَيِّنَةُ» (١) .

* وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ أَيْضًا : «وَالرَّضَى مِنْ اللَّهِ صِفَةً قَدِيمَةً ، فَلَا يَرْضَى إِلَّا عَنْ عَبْدٍ عَلِمَ أَنَّهُ يُؤَافِيهِ عَلَى مُوجِبَاتِ الرِّضَى . وَمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَسْخَطْ عَلَيْهِ أَبَدًا . فَكُلُّ مَنْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (٢) .

* وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» (٣) .

وَهَذَا خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِأَنَّهُ رَضِيَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَقْرِيرَ إِيْمَانِهِمْ وَرِضَاهُ عَنْهُمْ ، وَإِذَا رَضِيَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ فَإِنَّهُ لَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّ رِضَاهُ - عَزَّ وَجَلَّ - دَلِيلٌ عَلَى اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الْإِيْمَانِ ، وَمَنْ أَبْغَضَ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ رَحْمَتِهِ ، مُتَعَرِّضٌ لِسَخَطِ اللَّهِ وَنِقْمَتِهِ وَغَضَبِهِ .

الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرُ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

(١) ابن حزم ، «الفصل في الملل والنحل» : (١٤٨ / ٤) .

(٢) ابن تيمية ، «الصارم المسلول» : (ص ٧٢) .

(٣) «تفسير ابن كثير» : (٣٤٢ / ٧) .

سَطَّعَهُ، فَأَزَرَهُ، فَاسْتَعَاظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيزَ بِهِمُ الْكُفَّارُ
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ (١)

تُبَيِّنُ لَنَا هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى الصَّحَابَةِ وَزَكَاهُمْ ،
وَعَدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ . وَفِي الْإِنْجِيلِ ثَنَاءً عَظِيمًا ، وَمَدْحٌ جَلِيلٌ ، وَتَرْكِیَّةٌ عَالِیَّةٌ لَهُوَلَاءِ
الْأَصْحَابِ الْأَخْيَارِ ، وَالْأُتَمَّةِ الْعُدُولِ ؛ فَأَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ثَنَاءً عَاطِرًا قَبْلَ
أَنْ يُوجَدُوا ، وَمَدَحَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقُوا ؛ حِينَما أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ،
وَحِينَما أَنْزَلَ كِتَابَهُ الْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ فِي كِتَابِهِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيْضًا : أَنَّهُ رَبَّاهُمْ وَرَعَاهُمْ - أَيِ : الصَّحَابَةِ - كَمَا يَرَعَى النَّبَتَةَ الَّتِي
تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ ؛ حَتَّى نَضَجَتْ وَاكْتَمَلَتْ . وَأَنَّ ذَلِكَ سَبَبًا لِيَغِيزَ الْكُفَّارَ .
فَمَنْ كَرِهَهُمْ أَوْ اغْتَاظَ مِنْهُمْ لِحَقِّهِ الْوَعِيدُ ، وَحُكْمِهِ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ .

* وَهَذِهِ الْآيَةُ تَشْمَلُ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؛ لِأَنَّهُمْ
جَمِيعًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَهَذَا الْوَصْفُ
لِجَمِيعِ الصَّحَابَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ» (٢) .

* وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : بَلَغَنِي أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوْا الصَّحَابَةَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ يَقُولُونَ : وَاللَّهِ لَهُوَلَاءِ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فِي مَا بَلَغَنَا .
وَصَدَّقُوا فِي ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مُعَظَّمَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَأَعْظَمُهَا
وَأَفْضَلُهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . وَقَدْ نَوَّهَ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِمْ فِي الْكُتُبِ

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٩

(٢) ابن الجوزي ، «زاد المسير» : (٤/ ٢٠٤) .

الْمُنَزَّلَةِ ، وَالْأَخْبَارِ الْمُتَدَاوِلَةِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هُنَا : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ ؛ أَي : فِرَاحَهُ . ﴿ فَتَازَرَهُ ﴾ أَي : شَدَّهُ . ﴿ فَاسْتَعْلَظَ ﴾ أَي : شَبَّ فَطَالَ . ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ أَي : فَكَذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَزْرَوْهُ وَأَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ ؛ فَهُوَ مَعَهُمُ كَالشَّطْءِ مَعَ الزُّرَّاعِ ؛ ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ ^(١) .

* وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ انْتَزَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ رِوَايَةٍ عَنْهُ - بِتَكْفِيرِ الرَّاوِفِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَمِنْ غَاظِهِ الصَّحَابَةَ فَهُوَ كَافِرٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَوَافَقَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى ذَلِكَ ^(٢) .

الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٣)

* وَالِدَّلَالَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ظَاهِرَةٌ . قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ : « فَرَضِي عَنْ السَّابِقِينَ مِنْ غَيْرِ اشْتِرَاطِ إِحْسَانٍ ، وَلَمْ يَرْضَ عَنِ التَّابِعِينَ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » ^(٤) .

* أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جَمِيعِ الْمُهَاجِرِينَ وَجَمِيعِ الْأَنْصَارِ بِدُونِ قَيْدٍ ؛ لِأَنَّ (ال) لِلْعُمُومِ فِي مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ . وَرَضِي عَنْ جَمِيعِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِ (إِحْسَانٍ) ؛ فَالْمُتَّبِعُونَ قَيَّدَهُمُ بِالْإِحْسَانِ . وَهَذَا أَصْلٌ ؛ فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَّا بِدَلِيلٍ قَطْعِيٍّ . وَالْآيَةُ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ .

(١) ابن عبد البر ، « الاستيعاب » : (٦ / ١) .

(٢) « تفسير ابن كثير » : (٢١٣ / ٤) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠

(٤) « الصارم المسلول » : (ص ٥٧٢) .

أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَذَلِكَ أَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ ثَقَاتٌ عُدُولٌ ،
وَلَأَنَّهُمْ أئِمَّةٌ خِيَارٌ ، وَلَأَنَّهُمْ مُعَدَّلُونَ وَمُزَكَّوْنَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَأَنَّهُمْ خَيْرُ هَذِهِ
الْأُمَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَأَنَّهُمْ مُبَلِّغُونَ الدِّينَ عَلَى أَمَّتِهِ وَجْهِهِ وَأَحْسَنِ حَالٍ .

وَهَذِهِ الْآيَةُ أَيْضاً شَامِلَةٌ لِّجَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ .

* وما أروع استدلال محمد بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الآية ؛ إِذْ قَالَ : « إِنَّ
اللَّهَ غَفَرَ لَجَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَوْجَبَ لَهُمُ الْجَنَّةَ فِي كِتَابِهِ ؛ مُحْسِنِهِمْ
وَمُئْتِهِمْ . قَالُوا : وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ أَوْجَبَ لَهُمُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠٠) ، (١) ، (٢) .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : « فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ الْعَظِيمُ
أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ ، فَيَا وَيْلَ مَنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ سَبَّهُمْ ، أَوْ أَبْغَضَ أَوْ سَبَّ بَعْضَهُمْ ، وَلَا
سِيَّما سَيِّدَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَيْرِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ ، أَعْنِي الصَّدِيقَ
الأكْبَرَ ، وَالْخَلِيفَةَ الأعْظَمَ ، أبا بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَخْذُولَةَ
مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ وَيَبْغِضُونَهُمْ وَيُسَبُّونَهُمْ ، عِيَاذاً بِاللَّهِ مِنْ
ذَلِكَ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُوبَهُمْ مَعْكُوسَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ مَنكُوسَةٌ ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ
مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ ، إِذْ يُسَبُّونَ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ !!؟

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠

(٢) « الدر المنثور في التفسير بالماثور » ، (٤ / ٢٧٢) .

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضُّونَ عَمَّنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَيُؤَالُونَ مَنْ يُؤَالِي اللَّهَ ، وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللَّهَ ، هُمْ مُتَّبِعُونَ
لَا مُبْتَدِعُونَ ، وَيَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدُونَ ، وَلِهَذَا هُمْ حِزْبُ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ وَعِبَادُهُ
الْمُؤْمِنُونَ» (١) .

* تَاللَّهِ لَقَدْ وَرَدُوا يُنْبِغَ الْحَيَاةَ عَذْبًا صَافِيًا زَلَالًا ، وَوَطَّدُوا قَوَاعِدَ الدِّينِ
الْمَعْرُوفِ ؛ فَلَمْ يَدْعُوا لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ مَقَالًا . فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ
وَالْإِيمَانِ ، وَالْقُرَى بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ ، وَبَذَلُوا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ فِي مَرْضَاةِ
الرَّحْمَنِ ؛ فَلَا مَعْرُوفَ إِلَّا مَا عَنْهُمْ عُرِفَ ، وَلَا بُرْهَانَ إِلَّا بِعِلْمِهِمْ كُشِفَ ،
وَلَا سَبِيلَ نَجَاةٍ إِلَّا مَا سَلَكَوهُ ، وَلَا خَيْرَ وَسَعَادَةٍ إِلَّا مَا حَقَّقُوهُ . فَرِضْوَانُ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَيْهِمْ مَا تَحَلَّتِ الْمَجَالِسُ بِنَشْرِ ذِكْرِهِمْ ، وَمَا تَنَمَّتِ الطُّرُوسُ بِعَرْفِ
مَدْحِهِمْ وَشُكْرِهِمْ .

الآيَةُ الرَّابِعَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ
أُولَيْكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (٢)

الْحُسْنَى : الْجَنَّةُ . قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ (٣) . وَفَسَّرَ السَّلَفُ الْحُسْنَى بِـ
(الْجَنَّةِ) . وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ
وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤)

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٩٩) .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ١٠

(٣) تفسير الطبري ، (٢٧/ ١٢٨) .

(٤) سورة يونس ، الآية : ٢٦

* واستدلَّ ابنُ حزم ^(١) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ^(٢) عَلَى الْقَطْعِ بِأَنَّ الصَّحَابَةَ جَمِيعاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

* وَقَالَ الرَّازِي : «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ مَنْ صَدَرَ عَنْهُ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالْقِتَالُ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ قَبْلَ الْفَتْحِ ، يَكُونُ أَعْظَمَ حَالاً مِمَّنْ صَدَرَ عَنْهُ هَٰذَانِ الْأَمْرَانِ بَعْدَ الْفَتْحِ ...» إِلَى أَنْ قَالَ : «وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ؛ أَيِ : الْمَثُوبَةِ . وَهِيَ : الْجَنَّةُ ؛ مَعَ تَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ» ^(٣) .

وَالْآيَةُ دَلَّتْ بِوُضُوحٍ عَلَى 'فَضْلِ مَنْ قَاتَلَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَأَنْفَقَ مِنْ مَالِهِ لِنُصْرَةِ دِينِهِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَعَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ مَعَ وَعْدِ كُلِّ مِنْهُمَا الْحُسْنَى ؛ وَهِيَ : الْجَنَّةُ . وَهَٰذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لْجَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَهَٰذِهِ شَهَادَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ نَبِيِّهِ وَأَرْضَاهُمْ ؛ مِنْ أَوْلَاهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ . وَلَوْ لَمْ يَأْتِ الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَكَانَتْ سِيرَتُهُمْ وَهَجَرَتُهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ ، وَبَذْلُ الْمُهْجِ وَقَتْلُ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ، وَضَبْطُ الشَّرْعِ الْمُتَلَقَّى لِمَنْ بَعْدَهُمْ كَافِيَةً فِي مَعْرِفَةِ قَدْرِهِمْ ، وَعَظِيمِ مَنَزَلَتِهِمْ .

* اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَعِدُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْجَنَّةَ ، وَهُؤُلَاءِ الزَّانِقَةُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْبَاطِنِينَ يَطْعَنُونَ فِيهِمْ وَيَسُبُّونَهُمْ بِأَقْبَحِ الْأَلْفَاظِ . وَهَٰذَا تَكْذِيبٌ

(١) «الفصل في الملل والنحل» : (١٤٨-١٤٩) .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ١٠

(٣) «التفسير الكبير» : (٢٩/٢٢٠) .

صريحٌ وقبيحٌ لكتاب الله تعالى ؛ بل هذا هو الكفر بعينه . تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

وكما ذكرنا أنّ الطَّعْنَ في الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم طَعْنٌ في الله تَبَارَكَ وتعالى ، وطَعْنٌ في النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله ؛ لِيُقَالَ : رَجُلٌ سُوءٌ ، له أصحابٌ سُوءٌ . وَلَوْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا لَكَانَ لَهُ أَنَاسٌ صَالِحُونَ . فَالطَّعْنُ بِهِمْ أَوْلَى ؛ فَهُمْ زَنَادِقَةٌ مُلْحِدُونَ .

* وكذلك الطَّعْنُ في الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم طَعْنٌ في الدِّينِ ، طَعْنٌ في الإسلام الذي رَضِيَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ ، ولا يَقْبَلُ مِنْهُمْ دِينًا سِوَاهُ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ^(١) ، وكما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٢) ، وكما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(٣) .

* فَهَؤُلَاءِ الزَّنَادِقَةُ الْبَاطِئُونَ وَالصَّفَوِيُّونَ يَطْعُنُونَ في هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ الْقَوِيمِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى ، عن طريقِ الطَّعْنِ في حَمَلَةِ هَذَا الدِّينِ وَنَقَلَتِهِ لِلأُمَّةِ (وهم أصحابُ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله) ، الذين شَرَّفَهُمُ اللهُ بِحَمْلِ هَذِهِ الأَمَانَةِ الْعَظِيمَةِ ، فَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا ؛ شَرَّفَهُمُ اللهُ تَعَالَى وَأَكْرَمَهُمْ بِسَمَاعِ دِينِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله ، وَشَرَّفَهُمُ كَذَلِكَ بِرُؤْيَا طَلْعَتِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ صلّى الله عليه وآله ، وَشَرَّفَهُمُ بِسَمَاعِ حَدِيثِهِ مِنْهُ بِدُونِ واسِطَةٍ ، فَرَأَوْهُ وَسَمِعُوا حَدِيثَهُ ، وَحَفِظُوهُ وَوَعَوْهُ وَنَقَلُوهُ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ ، وَبَلَّغُوهُ لِلأُمَّةِ بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَثِقَةٍ .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٣

الآيَةُ الْخَامِسَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

يُبينُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَحْوَالَ الْمُسْتَحِقِّينَ لِلْفِيءِ وَصِفَاتِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾

الْقِسْمُ الثَّانِي : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

الْقِسْمُ الثَّالِثُ : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾

وَمَا أَحْسَنَ مَا اسْتَنْبَطَ بِهِ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنَّ الَّذِي يَسُبُّ الصَّحَابَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ مَالِ الْفِيءِ نَصِيبٌ (٢) ؛ لَعَدَمِ اتِّصَافِهِ بِمَا مَدَحَ اللَّهُ بِهِ هَؤُلَاءِ فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (٣)

* قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ ، فَمَضَتْ مَنَزِلَتَانِ وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ . فَأَحْسَنُ مَا أَنْتُمْ كَائِنُونَ عَلَيْهِ : أَنْ تَكُونُوا بِهَذِهِ الْمَنَزِلَةِ الَّتِي بَقِيَتْ . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ

(١) سورة الحشر ، الآيات : ٨ - ١٠

(٢) «تفسير ابن كثير» : (٤/ ٢٢٧) .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ١٠

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴿١٠﴾ ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ . ثُمَّ قَالَ : هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ ، وَهَذِهِ مَنَزَلَةٌ قَدْ مَضَتْ . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

* ثُمَّ قَالَ : قَدْ مَضَتْ هَاتَانِ وَبَقِيَتْ هَذِهِ الْمَنَزَلَةُ ؛ فَأَحْسَنُ مَا أَنْتُمْ كَائِنُونَ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونُوا بِهَذِهِ الْمَنَزَلَةِ الَّتِي بَقِيَتْ . يَقُولُ : أَنْ تَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ^(١) .

* يُؤَكِّدُ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ آيَاتِ سُورَةِ الْحَشْرِ شَمَلَتْ الْأُمَّةَ بكَامِلِهَا ؛ إِذْ لَا يَخْلُو الْمُسْلِمُ أَنْ يَكُونَ : مُهَاجِرًا ، أَوْ أَنْصَارِيًّا ، أَوْ تَابِعًا لَهُمْ بِإِحْسَانٍ . وَأَهْلُ الشُّنَّةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْآيَاتِ تَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ . وَهَذِهِ لِسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ لِلْأُمَّةِ ؛ أَوَّلِهَا ، وَآخِرُهَا .

ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَبِي يَعْلَى أَثَرًا فِي آخِرِهِ : «كُنْ مُهَاجِرِيًّا . فَإِنْ قُلْتَ : لَا أَجِدُ ، فَكُنْ أَنْصَارِيًّا . فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَاعْمَلْ كَأَعْمَالِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاجِبْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ» ^(٢) .

* وَقَالَ السَّمَرَقَنْدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ : «وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَى الصَّحَابَةِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ لَهُمْ - فَلَهُ حَظٌّ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَلَهُ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِ الصَّحَابَةِ . وَمَنْ شَتَمَ أَوْ لَمْ يَتَرَحَّمْ عَلَيْهِمْ ، أَوْ كَانَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ لَهُمْ - فَلَيْسَ لَهُ حَظٌّ فِي الْمُسْلِمِينَ» ^(٣) .

(١) ابن تيمية ، «الصارم المسلول» : (ص ٥٧٤) .

(٢) «أحكام القرآن» : (٣١ / ٨) .

(٣) «تفسير السمرقندي» : (٤٢٢ / ٣) .

* وَقَالَ الرَّازِي : «وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ» (١) .

* وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : «فَالْتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ هُمُ الْمُتَّبِعُونَ لِأَثَارِهِمُ الْحَسَنَةِ ، وَأَوْصَافِهِمُ الْجَمِيلَةِ ، الدَّاعُونَ لَهُمْ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ» (٢) .

* وَقَالَ الْبَغَوِيُّ : «يَعْنِي : التَّابِعِينَ . وَهُمْ الَّذِينَ يَحِثُّونَ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...» إِلَى أَنْ قَالَ : «فَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَلَمْ يَتَرَحَّمْ عَلَى جَمِيعِهِمْ - فَإِنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ عَنَاهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ» (٣) .

هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ وَضَّحَتْ لَنَا هَذَا التَّقْسِيمَ الرَّبَّانِيَّ الْعَظِيمَ لِطَوَائِفِ الْمُؤْمِنِينَ : مُهَاجِرُونَ - أَنْصَارٌ - مُتَّبِعُونَ ؛ يُحِبُّونَهُمْ ، وَيَدْعُونَ لَهُمْ ، وَلَا يَكْرَهُونَهُمْ .
وكَذَلِكَ بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْمَنْهَجَ الرَّبَّانِيَّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ تَجَاهِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) .

* وَبِتَلَخُّصٍ وَاجِبٍ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَمَنْهَجُهُمْ تَجَاهِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
فِي أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ ، هُمَا :

الْأَوَّلُ : سَلَامَةُ الْقَلْبِ ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

الثَّانِي : سَلَامَةُ اللِّسَانِ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ .

(١) «تفسير الرازي» : (٥١٠ / ٢٩) .

(٢) «تفسير ابن كثير» : (٢٢٧ / ٤) .

(٣) «تفسير البغوي» : (٨١ / ٨) .

يَعْنِي : قَلْبٌ نَظِيفٌ سَلِيمٌ تَجَاهَ الصَّحَابَةِ ؛ لَيْسَ فِيهِ غِلٌّ وَلَا حِقْدٌ وَلَا ضَغِينَةٌ ، وَلَا بَغْضَاءٌ وَلَا عَدَاوَةٌ . وَإِنَّمَا فِيهِ الْمَحَبَّةُ وَالْإِحْسَانُ وَالْمُودَّةُ ، وَسَلَامَةُ اللِّسَانِ . أَي : لَا سَبٌّ وَلَا فُحْشٌ ، وَلَا لَعْنٌ ، وَلَا طَعْنٌ ، وَإِنَّمَا الدُّعَاءُ ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ (١)

هَذَا هُوَ التَّوَجُّهُ الرَّبَّانِيُّ ؛ بِالدُّعَاءِ لِلصَّحَابَةِ ، وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَالْمَحَبَّةِ لَهُمْ . فَاسْتَجَابَ أَهْلُ الْإِيمَانِ . وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ وَالزَّانِقَةَ وَالْبَاطِنِيَّ عَكَسُوا الْأَمْرَ وَقَلْبُوهُ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ ، ففَعَلُوا عَكْسَ مَا طَلَبَ مِنْهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ، وَعَكَسَ مَا طَلَبَ مِنْهُمْ النَّبِيُّ ﷺ فِي سُنَّتِهِ ، فَجَعَلُوا بَدَلَ الْإِسْتِغْفَارِ السَّبَّ ، وَبَدَلَ الثَّنَاءِ الطَّعْنَ ؛ فَوَقَعُوا فِي الْكُفْرِ الْبَوَاحِ ، وَالنِّفَاقِ الصَّرَاحِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ مَعَهُ أَيُّ تَأْوِيلٍ .

الْآيَةُ السَّادِسَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... إِلَى أَنْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٤) (٢) .

هَذَا ثَنَاءٌ عَاطِرٌ آخِرٌ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَتَأْكِيدٌ

(١) سورة الحشر ، الآية : ١٠

(٢) سورة الأنفال ، الآيات : ٧٢ - ٧٤

لِإِيْمَانِهِمْ بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلشَّكِّ فِيهِمْ . فَمَنْ شَكَّ فِيهِمْ فَقَدْ كَذَّبَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ كَذَّبَ اللَّهَ تَعَالَى فَقَدْ كَفَرَ . وَلَعَلَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَالِمَ الْغَيْبِ أَرَادَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ سَيَّأَتْ بَعْدُ فَيَطْعَنُ فِيهِمْ .

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى عُمُومَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَأَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ حَقًّا ﴾ ، وَمَنْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ فَقَدْ بَلَغَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْعَدَالَةِ .

* قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ : « هَذَا عَقْدُ مُوَالَاةٍ وَمَحَبَّةٍ ، عَقَدَهَا اللَّهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ ، وَأَعَانُوهُمْ فِي دِيَارِهِمْ وَأُمُورِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ . فَهَؤُلَاءِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ؛ لِكَمَالِ إِيْمَانِهِمْ ، وَتِمَامِ اتِّصَالِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ » . وَأَضَافَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « الْآيَاتُ السَّابِقَاتُ فِي ذِكْرِ عَقْدِ الْمُوَالَاةِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي بَيَانِ مَدَحِهِمْ وَثَوَابِهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ ﴾ أَي : الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴿ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ ؛ لِأَنَّهُمْ صَدَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بِمَا قَامُوا بِهِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْمُوَالَاةِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَجِهَادِهِمْ لِأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ » (١) .

الآيَةُ السَّابِعَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ (٢)

(١) «تفسير السعدي» : (ص ٣٠٤-٣٠٥) .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٥٩

الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم صَفْوَةُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ النَّبِيِّينَ عليهم السلام .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ : «هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلی اللہ علیہ وسلم» (١) .

* وَقَالَ سُفْيَانُ رحمہ اللہ فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةِ : «الصَّحَابَةُ هُمْ عِبَادُ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَلَى الثَّقَلَيْنِ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، أَبْرَهَا قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا ، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا» .

الْآيَةُ الثَّامِنَةُ : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٢)

قَالَ سُفْيَانُ رحمہ اللہ فِي تَفْسِيرِهَا : «هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلی اللہ علیہ وسلم» (٣) .

الْآيَةُ التَّاسِعَةُ : ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ (٤)

قَالَ قَتَادَةُ رحمہ اللہ : «هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلی اللہ علیہ وسلم ، آمَنُوا بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ» (٥) .

الْآيَةُ الْعَاشِرَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ ١٦﴾ (٦)

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ رحمہ اللہ : «هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلی اللہ علیہ وسلم» (٧) .

(١) «تفسير الطبري» : (٢٠ / ٢) ، «تفسير ابن كثير» : (٣٧٠ / ٣) .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٢٨

(٣) «سُئِنَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ» (٤٣٥ / ٥) ، «الدر المنثور» : (٤١٨ / ٨) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٢١

(٥) «فتح الباري» : (٥٠٨ / ١٣) .

(٦) سورة عبس ، الآيتان : ١٥ ، ١٦

(٧) «تفسير ابن كثير» : (٤٠٢ / ٤) ، «الدر المنثور» : (٤١٨ / ٨) .

الآية الحادية عشر : قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(١)

وقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ فيه أن خيرية الأمة مُبتدأ من صحابة رسول الله ﷺ ، أي : من أبي بكرٍ رضي الله عنه إلى آخر الصحابة موتاً رضي الله عنهم .

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : «هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة .

قال ابن كثير : والصحيح أن هذه الآية عامّة في جميع الأمة كل قرن بحسبه ، وخير قرونها الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» ^(٢) .

المراد بهذه الآية هم المخاطبون عند نزول الوحي ، وهم صحابة رسول الله ﷺ ، كما نصّ أكثر العلماء ، كابن حجرٍ والخطيب .

الآية الثانية عشر : كذلك بين الله تعالى عدالتهم وأتهم خير الناس ، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ^(٣)

أجمع المفسرون معنىً وسطاً : أي خياراً عدولاً ، فلا أحد أخير من صحابة رسول الله ﷺ ولا أحدل منهم ، فعدلهم الله في كتابه في آيات عديدة ،

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠

(٢) «تفسير ابن كثير» : (١ / ٣٩١) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣

وَيَنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَضَائِلَهُمْ وَمَنَاقِبَهُمْ فِي سُنَّتِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ثَنَاءً عَظِيماً . وَالْآيَةُ
إِنْ كَانَتْ فِي حَقِّ سَائِرِ الْأُمَّةِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُمْ الْمُشَافَهُونَ بِهَذَا الْخِطَابِ .

الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ : وَأَجْمَعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَعْدِيلِ الصَّحَابَةِ
وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النُّفُوزِ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا﴾ (١)

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النُّفُوزِ﴾ يَعْنِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .
وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ : هُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

الْآيَةُ الرَّابِعَةُ عَشَرَ : وَمَدَحَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَزَكَّى صِدْقَهُمْ وَيَقِينَهُمْ
وَتَوَكَّلَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ (٢)

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ صِدْقَ هَؤُلَاءِ فِي التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ؛ لِذَلِكَ جَعَلَهُمْ سَادَةً وَقَادَةً وَلَهُمْ
الرِّيَادَةُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٣)

الْآيَةُ الْخَامِسَةُ عَشَرَ : وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي مَوْقِفٍ مِنْ أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ خَطَرًا
يَوْمَ الْأَحْزَابِ ؛ حَيْثُ تَكَالَبَتِ الْجُمُوعُ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ مِنْ فَوْقِهِمْ

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٦

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٢

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣

وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ ، وَزَاغَتْ مِنْهُمْ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَظَنَّ الْمُنَافِقُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ، لَكِنْ مَاذَا قَالَ الصَّحَابَةُ الْأَبْرَارُ ، الْأَخْيَارُ الْأَبْطَالُ ، الشُّجْعَانُ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ؟ . قَالُوا كَمَا أَخْبَرَنَا تَعَالَى : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (١)

فَزَكَّاهُمْ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَزَكَّى صِدْقَهُمْ فِي بَيْعِهِمْ أَنْفُسَهُمْ لَهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يَبِيتُ وَيَقُولُ : أَيُّ مَتَا سِيرَاقِ دَمِهِ تَحْتَ هَذِهِ الرَّايَةِ الْعَظِيمَةِ ، أَيُّ : رَايَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يَصِيحُ وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِهِ .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ آيَاتٍ تُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مُعَدَّلًا لِلصَّحَابَةِ ، وَمُبَيِّنًا صِدْقَهُمْ ، وَمُتَّصِرًا لَهُمْ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ أَوْ لَمَزَهُمْ أَوْ غَمَزَهُمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ (٢)

و﴿ مِّنْ ﴾ هُنَا لِلتَّبَعِيضِ ، أَيُّ : هَؤُلَاءِ فَقَطْ هُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

الآيَةُ السَّادِسَةُ عَشَرَ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣)

أَيُّ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَأَقَرُّوا بِنُبُوَّتِهِ وَعَزَّرُوهُ وَعَظَّمُوهُ وَحَمُّوهُ ، وَأَعَانُوهُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِ بِجِهَادِهِمْ وَنَصَبِ الْحَرْبِ لَهُمْ

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٢




(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٣


(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

وَاتَّبِعُوا التَّوْرَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ وَهُوَ : الْقُرْآنُ وَالْوَحْيُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، الْمُدْرِكُونَ مَا طَلَبُوا .

وَوَجْهُ الاستِدْلَالِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ بِنُصْرَتِهِمْ لِنَبِيِّهِ وَتَوْقِيرِهِمْ لَهُ وَلَا تَبَاعِهِمُ الْقُرْآنَ وَالْوَحْيَ ، فَكَانُوا بِذَلِكَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ .

الآيَةُ السَّابِعَةُ عَشَرَ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ (١)

وَوَجْهُ الاستِدْلَالِ : أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُثْنِي عَلَى الصَّحَابَةِ  بِمُعَاوَنَتِهِمْ لِرَسُولِهِ  ، وَنُصْرَتِهِمْ لِدِينِهِ بِذَلِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ ، وَأَخْبَرَ عَنْ نَيْلِهِمُ الْخَيْرَاتِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَالْفَوْزِ الْجَلِيلِ الْأَبَدِيِّ . وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ عَدَالَتَهُمْ وَفَضْلَهُمْ وَعُلُوَّ مَكَانَتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ  .

فَهَذِهِ سَبْعَةُ عَشْرَةَ آيَةً فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ  ، وَهُمْ كَذَلِكَ أَوْلَى النَّاسِ بِالذُّخُولِ فِي الْآيَاتِ الْعَامَّةِ الَّتِي يَعِدُ اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْفَوْزِ بِالرَّضَى وَالْجَنَّاتِ ؛ لِأَنَّهُمْ سَادَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَكْثَرُ النَّاسِ حَظًّا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَافِضُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ ﴿١﴾

وقوله تعالى من سورة الكهف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ
جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ (٢)

وقوله تعالى في سورة مريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ (٣)

وقوله تعالى في سورة المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى
الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّحْضُومٍ
﴿٢٥﴾ خِتَمُهُمُ مِنِّسْكٌ ﴿٢٦﴾ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَرْاجُهُمُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٨﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (٤)

وقوله تعالى في سورة البينة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ
هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ (٥)

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ١٠

(٢) سورة الكهف، الآيات: ١٠٧، ١٠٨

(٣) سورة مريم، الآية: ٩٦

(٤) سورة المطففين، الآيات: ١٨ - ٢٨

(٥) سورة البينة، الآيات: ٧، ٨

والآيات في هذا المقام أكثر من أن تُحصى، وأولى الناس دُخولاً بها أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين، وفضائلهم أشهر من نارٍ على علم، وإنما تظهر لنا كي نتأسى بهم، ونحذو حذوهم، لننال شيئاً من الفضل الذي نالوه، ونحصل بعضاً مما حصلوه.

ويجب أن يعلم أن عدالة الصحابة رضي الله عنهم في القرآن لا تمثلها آيات محددة مخصوصة، إنما هو القرآن كله شاهد على عدالتهم وفضلهم واستقامتهم، من حيث أن الأمة التي حملت القرآن ورفعت لواءه وجاهدت من أجله، فكل الآيات التي أثبتت بالخير أو بينت طبيعة المجتمع المسلم، وسبل بدائه وتكوينه أو أظهرت صفات المجاهدين وما أعد الله لهم، أو بينت سمات المتقين ومآلهم أو أبرزت محاسن المفلحين الفائزين، يمكن أن نعدّها بجماليتها أدلة قرآنية على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

ثانياً : الأدلة القاطعة من السنة النبوية المطهرة

في فضل الصحابة رضي الله عنهم

الحديث الأول : «أهل بدرٍ من أفضل المسلمين» .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه : «وما يُدريكَ لعلَّ اللهَ أطلعَ على أهلِ بدرٍ ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم» ^(١) .

قال ابن حجر العسقلاني رحمته الله في قوله : «إعملوا» للتكريم ، وإنَّ المراد أنَّ كلَّ عملٍ عمله البدرِيُّ لا يُؤاخذُ به ؛ لذلك الوعد الصادق . وأنَّ أعمالهم السيئة تقع مغفورة ؛ فكأنَّها لم تقع ^(٢) .

قال ابن القيم رحمته الله : «إنَّ هذا خطابٌ لقومٍ قد علِمَ اللهُ تعالى أنَّهم لا يُفارقون دينهم ؛ بل يَمُوتون على الإسلام» ^(٣) .

وأخرج البخاري وغيره عن مُعَاذِ بْنِ رَافِعٍ الزُرْقِيِّ عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدرٍ - قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : «ما تُعدُّونَ أهلَ بدرٍ فيكم؟» قال : «من أفضل المسلمين» أو كلمة نحوها . قال : «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» ^(٤) .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» : (٣/ ١٠٩٥) ، (٢٨٤٥) ، «صحيح مسلم» : (٤/ ١٩٤١) ، (٢٤٩٤) .

(٢) العسقلاني ، «معرفة الخصال المكفرة» : (ص ٣١) .

(٣) ابن القيم ، «الفوائد» : (ص ١٩) .

(٤) «صحيح البخاري» : (٤/ ١٤٦٧) ، (٣٧٧١) .

الحديث الثاني : الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم أمانٌ للأُمَّة من الوُقُوعِ في الفِتَنِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ صلَّى الله عليه وآله : «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي ، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» ^(١) .

فَإِذَا كَانَ وُجُودُ الصَّحَابَةِ أَمَانًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ، كَمَا أَنَّ الرَّسُولَ صلَّى الله عليه وآله أَمَانٌ لَهُمْ ، كَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى عَدَالَتِهِمْ رضي الله عنهم .

وَهَذَا حَدِيثٌ عَامٌّ يَشْمَلُ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ ، وَلَمْ يُخَصَّ أَحَدًا مِنْهُمْ دُونَ أَحَدٍ . وَكَذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى الْفِتَنِ الَّتِي حَدَثَتْ بَعْدَ انْقِرَاضِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ ؛ مِنْ طَمَسِ الشُّنَنِ ، وَظُهُورِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ ، وَفُشُوِّ الْفُجُورِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ .

وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُثْنِي ثَنَاءً عَاطِرًا عَلَى صَحَابَةِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله ؛ فَعَنْ أَبِي رَاكَةَ ، قَالَ : صَلَّيْتُ خَلْفَ عَلِيٍّ صَلَاةَ الْفَجْرِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ انْتَقَلْتُ عَنْ يَمِينِهِ ، ثُمَّ مَكَثْتُ كَأَنَّ عَلَيْهِ الْكَابَةُ ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ عَلَى حَائِطِ الْمَسْجِدِ قَيْدَ رُمَحٍ ، قَالَ : «لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله ، فَمَا أَرَى الْيَوْمَ شَيْئًا يُشَبِّهُهُمْ . كَانُوا يُصْبِحُونَ ضُمْرًا شُعْنًا غُبْرًا ، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ أَمْثَالُ رُكَبِ الْمُغْزَى ، قَدْ بَاتُوا لِلَّهِ سُجَّدًا وَقِيَامًا ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيُرَاوِحُونَ بَيْنَ

(١) «صحيح مسلم» : (٤ / ١٩٦١) ، (٢٥٣١) .

جِبَاهُهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ ، فَإِذَا أَصْبَحُوا وَذَكَرُوا اللَّهَ مَادُوا كَمَا تَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ
الرَّيْحِ ، فَهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْتَلَّ ثِيَابُهُمْ» (١) .

وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه أَيْضًا فِي ثَنَائِهِ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم : «أُولَئِكَ مَصَابِيحُ
الْهُدَى ؛ يَكْشِفُ اللَّهُ بِهِمْ كُلَّ فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ ، سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ، لَيْسُوا
أُولَئِكَ بِالْمَذَائِبِ الْبُذْرِ ، وَلَا الْجَفَاءِ الْمُرَائِينَ» (٢) .

الْحَدِيثُ الثَّالِثُ : الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم سَبَبُ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه قَالَ : «يَأْتِي زَمَانٌ يَغْزُو فِيْنَامُ
مِنَ النَّاسِ ، فَيُقَالُ : فَيْكُم مِّنْ صَحْبِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه ؟ فَيُقَالُ : نَعَمْ . فَيُفْتَحُ
عَلَيْهِ . ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ ، فَيُقَالُ : فَيْكُم مِّنْ صَحْبِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلوات الله عليهم ؟
فَيُقَالُ : نَعَمْ . فَيُفْتَحُ . ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ ، فَيُقَالُ : فَيْكُم مِّنْ صَحْبِ مَن صَحِبَ مَن صَحَابَ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلوات الله عليهم ؟ فَيُقَالُ : نَعَمْ . فَيُفْتَحُ لَهُمْ» (٣) .

فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِثْبَاتٌ لِفَضِيلَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ، حَيْثُ أَنَّ الْبِلَادَ تُفْتَحُ أَمَامَ
الْجَمَاعَةِ الْغَازِيَةِ الَّتِي فِيهَا بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، كَرَامَةً لَهُمْ ،
وَيَبَانًا لِفَضْلِهِمْ ، وَذَلِكَ لِإِمَّا لَهُمْ مِنْ حُسْنِ قَصْدٍ ، وَسَلَامَةِ نِيَّةٍ ، وَصِدْقٍ فِي
نَشْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَدَالَتِهِمْ رضي الله عنهم ، وَإِنَّمَا نَالُوا ذَلِكَ الْفَضْلَ
لِصُحْبَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وَرُؤْيَيْهِ ، ثُمَّ نَالَ مَنْ بَعْدَهُمُ الْفَضْلَ أَيْضًا
لِرُؤْيَيْهِمْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليهم .

(١) أَبُو نَعِيمٍ ، «الْحَلِيَّةُ» : (١/٧٦) ، ابْنُ عَسَاكِرَ (٤٩٢/٤٢) ، الْخَطِيبُ فِي «الْمَوْضِعِ» : (٢/٣٣) .

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ : «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» : (٣/١٣١٦) ، (٣٣٩٩) ، «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» : (٤/١٩٦٢) ، (٢٥٣٢) .

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ : «هُوَ كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : «خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ» ؛ لِأَنَّهُ يُفْتَحُ لِلصَّحَابَةِ لِفَضْلِهِمْ ، ثُمَّ لِلتَّابِعِينَ لِفَضْلِهِمْ ، ثُمَّ لِتَابِعِيهِمْ لِفَضْلِهِمْ . قَالَ : وَذَلِكَ كَانَ الصَّلَاحُ وَالْفَضْلُ وَالتَّصَرُّ لِلطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ بَعْدَهُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ» (١) .

وَقَالَ ابْنُ حَبْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ أَيْضًا : «وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ : بَطْلَانُ قَوْلٍ مَنْ ادَّعَى فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخِّرَةِ الصُّحْبَةَ ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ يَتَضَمَّنُ اسْتِمْرَارَ الْجِهَادِ وَالْبُعُوثِ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ ، وَأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ : هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ؟ فَيَقُولُونَ : لَا . وَكَذَلِكَ فِي التَّابِعِينَ وَتَبَاعِ التَّابِعِينَ . وَقَدْ رُفِعَ كُلُّ ذَلِكَ فِي مَا مَضَى ، وَانْقَطَعَتِ الْبُعُوثُ عَنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ ؛ بَلْ انْعَكَسَ الْحَالُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا هُوَ مَعْلُومٌ مُشَاهِدٌ مِنْ مُدَّةٍ مُتَطَوَّلَةٍ ؛ وَلَا سِيَّما فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ» (٢) .

هَؤُلَاءِ هُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مَا أَنْجَبَتِ الْأَرْضُ أَكْفَأَ مِنْهُمْ فِي مَيَادِينِ الْوَعَى ، وَسَاحَاتِ الطَّعْنِ وَالطَّعَانِ ؛ شُجْعَانٌ أَفْذَاذٌ ، تَرَبَّوْا عَلَى عَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لِيَخْرُجُوا إِلَى الدُّنْيَا مَنَارَاتٍ شَاهِقَةٍ فِي الْبُطُولَةِ ، وَالْبَذْلِ وَالْفِدَاءِ ، وَالْفُرُوسِيَّةِ ، وَنُكْرَانِ الدَّاتِ ، مُتَحَلِّينَ بِالْعَقِيدَةِ الصَّافِيَةِ ، عَقِيدَةِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَيَّرُوا وَجْهَ التَّارِيخِ ؛ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ بِأَلْفٍ ؛ لَا بَلْ بِأُمَّةٍ ؛ وَاللَّهُ أُمَّةٌ ، قَادُوا جُيُوشَ الْإِسْلَامِ فِي مَعَارِكٍ أَغْرَبَ مِنَ الْخِيَالِ .

(١) ابن حبر ، «فتح الباري» : (٦/ ٣٥٥٤) .

(٢) «فتح الباري» : (٧/ ٤٢٣٠) .

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ، وَلَا فُتُونًا يَتَرَدَّدُ ؛ ذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَى التَّارِيخُ
أَنْبَاءَ أَعْظَمَ ثَلَاثَةٍ ظَهَرَتْ فِي دُنْيَا الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ .

قَادَةُ وَرِجَالُ شَاهِقُونَ ؛ هُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ
مِنْ أَصْحَابٍ .. عَظَمَةُ بَاهِرَةٌ ، لَيْسَتْ أَسَاطِيرَ ، وَإِنْ بَدَتْ مِنْ فَرَطٍ إِعْجَازُهَا
كَأَلْأَسَاطِيرَ !! .

وَهَذِهِ هِيَ آثَارُهُمْ : شَرِيعَةٌ مَحْفُوظَةٌ صَافِيَةً نَقِيَّةً ، وَبِلَادٌ مَفْتُوحَةٌ ،

الْحَدِيثُ الرَّابِعُ : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي »

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَسُبُّوا أَحَدًا
مِنْ أَصْحَابِي ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا
نَصِيفَهُ » ^(١) .

هَذَا الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ . وَفِيهِ يُحَذِّرُ النَّبِيُّ ﷺ الْأُمَّةَ وَيَنْصَحُهَا مِنْ
الْوُقُوعِ فِي أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، أَوِ التَّنْقِصِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ . وَيُنَبِّئُ إِلَى مَعْرِفَةِ عُلُوقِ
مَكَانَتِهِمْ ، وَعَظَمِ قَدْرِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﷺ ؛ بِحَيْثُ لَوْ أَنَّ
صَحَابِيًّا مِنْ الصَّحَابَةِ تَصَدَّقَ بِمُدٍّ مِنْ طَعَامٍ عَلَى فَقِيرٍ أَوْ مِسْكِينٍ ، وَتَصَدَّقَ
أَحَدُنَا بِمِثْلِ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا نَصِيفَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛
وَذَلِكَ لِأَنَّ :

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» : (٣/١٣٤٣) ، (٣٤٧٠) ، «صحيح مسلم» : (٤/١٩٦٧) ، (٢٥٤١) .

- فَضِيلَةُ الصُّحْبَةِ - وَلَوْ لَحْظَةً - لَا يُعَادِلُهَا أَيُّ عَمَلٍ مَهْمَا عَظُمَ ، وَلَا يَنَالُ دَرَجَتَهَا بَشِيءٌ . وَالْفَضَائِلُ لَا تُؤْخَذُ بِقِيَاسٍ ؛ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .
- قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه : « لَا تَسْبُوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ عُمُرُهُ » ^(١) .
- وَكَذَلِكَ سَبَبُ تَفْضِيلِ نَفَقَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي وَقْتِ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ ، وَضِيقِ الْحَالِ . بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ .
- وَلَأنَّ إِنْفَاقَهُمْ كَانَ فِي نُصْرَةِ نَبِيِّهِمْ صلوات الله عليهم وَحِمَايَتِهِ ؛ وَذَلِكَ مَعْدُومٌ بَعْدَهُ . وَكَذَلِكَ : جِهَادُهُمْ ، وَسَائِرُ طَاعَتِهِمْ .
- وَقِيلَ أَيْضاً : إِنَّ السَّبَبَ فِي تِلْكَ النَّفَقَةِ أَنَّهَا أَثْمَرَتْ فِي فَتْحِ الْإِسْلَامِ ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ مَا لَا يُثْمَرُ غَيْرُهَا . وَكَذَلِكَ الْجِهَادُ بِالنُّفُوسِ لَا يَصِلُ الْمُتَأَخَّرُونَ إِلَى فَضْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَقَلَّةِ أَنْصَارِهِمْ ؛ فَكَانَ جِهَادُهُمْ أَفْضَلَ ، وَلَأنَّ بَذْلَ النَّفْسِ مَعَ النُّصْرَةِ وَرَجَاءِ الْحَيَاةِ لَيْسَ كَبَذْلِهَا مَعَ عَدَمِهَا ^(٢) .
- وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الْبَيْضاوِيُّ رحمته الله عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ نَفْسِهِ : « لَا يَنَالُ أَحَدُكُمْ بِإِنْفَاقٍ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً مِنْ الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ مَا يَنَالُ أَحَدُهُمْ بِإِنْفَاقٍ مُدٍّ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَصِيفِهِ . وَسَبَبُ التَّفَاوُتِ مَا يُقَارَنُ الْأَفْضَلُ مِنْ مَزِيدِ الْإِحْلَاصِ وَالنِّيَّةِ » ^(٣) .

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» : (٦ / ٤٠٥) ، الامام أحمد ، «فضائل الصحابة» : (١ / ٥٧) ، ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» : (٢ / ٤٨٤) .

(٢) «تحفة الأحوزي» : (٣٨٨ / ٨) .

(٣) «فتح الباري» : (٣٤ / ٧) .

الْحَدِيثُ الْخَامِسُ : صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمْ الْجِيلُ الْقُرْآنِيُّ الْفَرِيدُ
الَّذِي لَا يَجُودُ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ أَبَدًا

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ ﷺ : « خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (١) .

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِ نَبِيِّكُمْ ﷺ !! فَإِنَّهُ أَوْصَى بِهِمْ » (٢) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ؛ فَلَمْ يَقَامْ أَحَدِهِمْ
سَاعَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً » ، وَفِي رِوَايَةٍ : « خَيْرٌ
مِنْ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ عُمُرُهُ » (٣) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَنْ كَانَ مُسْتَنًا فَلَيْسَتْ بَيْنَ قَدِّمَاتِ ،
أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ : أَبْرَهَا قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا ،
وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا . قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ لِنَقْلِ دِينِهِ . فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ ،
وَطَرِائِقِهِمْ ؛ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ » (٤) .

قَالَ ابْنُ حَبَرٍ : وَالْمُرَادُ بِ (قَرْنِ النَّبِيِّ ﷺ) فِي هَذَا الْحَدِيثِ : الصَّحَابَةُ .

(١) متفق عليه : « صحيح البخاري » : (٣/ ١٣٣٥) ، (٣٤٥٠) . « صحيح مسلم » : (٧/ ١٨٥) ، (٦٦٣٥) .

(٢) الهيثمي ، « الصواعق المحرقة » : (ص ١٥) .

(٣) إسناده صحيح ، أخرجه ابن ماجه : (١/ ٥٧) ، وحسنه الألباني ، أحمد بن حنبل في « فضائل الصحابة » (١٥) ،
وابن أبي عاصم في « السُّنَّة » : (٩٨) .

(٤) « حلية الأولياء » : (١/ ١٣٥) ، « شرح السُّنَّة » للبخاري ١/ ٢١٤ ، « جامع الأصول » ١/ ٢٩٢ ، « شرح
العقيدة الطحاوية » ١/ ٣٧٦ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : «وَبُعِثْتُ فِي خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ» ^(١) . وَفِي رِوَايَةٍ بُرِيدَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ : «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ : الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ» ^(٢) .

وَأَنَّمَا صَارَ أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَيْرَ الْقُرُونِ ؛ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ ، وَصَدَّقُوهُ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ ، وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ ، وَأَوَّوْهُ ، وَوَأَسَّوْهُ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَقَاتَلُوا غَيْرَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ الْإِسْلَامَ . فَالصَّحَابَةُ خَيْرُ الْقُرُونِ ، وَصَفْوَةُ الْأُمَّةِ ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ . وَهُمْ أَفْضَلُ جِيلٍ ، وَأَقْوَمُ رَعِيلٍ . قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَتَبْلِيغِ شَرِيعَتِهِ . هُمُ الَّذِينَ أَقَامُوا دِينَ اللَّهِ ، وَفَتَحُوا الْبُلْدَانَ وَالْأَمْصَارَ بِدِمَائِهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ حَفِظُوا الْوَحْيَيْنِ (الْكِتَابَ ، وَالسُّنَّةَ) ، وَبَلَّغُوهُمَا بِأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ لِمَنْ بَعْدَهُمْ . فَالصَّحَابَةُ هُمُ الْجِيلُ الْقُرْآنِيُّ الْمُبَارَكُ الْمَزَكِيُّ وَالْمُعَدَّلُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله مُوَضَّحاً بَعْضَ مَعَانِي هَذَا الْحَدِيثِ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ : «الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ خَيْرُ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَهُمْ الَّذِينَ تَلَقَّوْا الدِّينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِلَا وَاسِطَةٍ ، فَفَهَّمُوا مَقَاصِدَهُ ﷺ ، وَعَايَنُوا أَفْعَالَهُ وَسَمِعُوا مِنْهُ شِفَاهاً مَا لَمْ يَحْصُلْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

وَكَذَلِكَ يَسْتَفِيدُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مَا لَمْ يَحْصُلْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، وَهُمْ قَدْ فَارَقُوا جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَعَادُوهُمْ وَهَجَرُوا جَمِيعَ الطَّوَائِفِ وَأَدْيَانِهِمْ وَجَاهَدُوهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» ^(٣) .

(١) «الفتح» : (٧/ ٤٢٣٠) .

(٢) «صحيح أبي داود» : (٤٦٥٧) .

(٣) «مجموع الفتاوى» ، ٢٧/ ٣٨٨ .

وقد حَقَّقَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم حِفْظَ كِتَابِهِ ، وَنَشَرَ سُنَّتِهِ ، وَتَبْلِيغَ دِينِهِ ، وَشَرِيعَتِهِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ؛ فَأَقَامُوا حَضَارَةً لَمْ تَعْرِفْ الدُّنْيَا لَهَا مَثِيلاً . أَخْرَجُوا النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الْآخِرَةِ . وَكَسَرُوا الْأَكَاسِرَةَ ، وَهَزَمُوا الْقِيَاصِرَةَ ، وَأَقَامُوا حَضَارَةً كُبْرَى فِي مُدَّةٍ زَمَنِيَّةٍ قَصِيرَةٍ ، لَمْ تُعْهَدْ فِي تَارِيخِ الْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ ، فِي رُبْعِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ ، مِمَّا لَمْ يُعْرِفْ فِي مَاضِي التَّارِيخِ وَلَا حَدِيثِهِ .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ : «وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ : أَنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ لَا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ ؛ لِمُشَاهَدَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله . وَأَمَّا مَنْ اتَّفَقَ لَهُ الذَّبُّ عَنْهُ وَالسَّبْقُ إِلَيْهِ بِالْهَجْرَةِ ، أَوِ النَّصْرَةَ وَضَبِطَ الشَّرْعَ الْمُتَلَقَّى عَنْهُ ، وَتَبْلِيغُهُ لِمَنْ بَعْدَهُ فَإِنَّهُ لَا يَعْدِلُهَا أَحَدٌ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُ ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ خَصْلَةٍ مِنْ الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ إِلَّا وَلِلَّذِي سَبَقَ بِهَا مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدُ . فَظَهَرَ فَضْلُهُمْ» ^(١) .

الحديث السادس : الوعيد الشديد لمن آذى أصحاب النبي ﷺ

عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ : «يُلَغ الحاضر الغائب : الله الله في أصحابي ! لا تتخذوهم غرضاً بعدي ؛ فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» (١) .

يُحذِّرنا النبي ﷺ أشدَّ التحذير من الانتقاص من أصحابه ؛ لأنهم هم الصفوة المختارة من الله تعالى لصحبته . قال المناوي (٢) رحمته الله : «الله الله في أصحابي !» ، أي : اتقوا الله فيهم ، ولا تلمزوهم بسوء . أو : اذكروا الله فيهم ، وفي تعظيمهم وتوقيرهم . وكرره إيداناً بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقصة . «لا تتخذوهم غرضاً» : هدفاً ترمونهم بقيح الكلام كما يرمى الهدف بالسهم ، وهو تشبيه بليغ . «بعدي» أي : بعد وفاتي . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «الله الله في أصحاب نبيكم ؛ فإنه أوصى بهم» (٣) .

(١) «مسند الإمام أحمد» : (٥٤ / ٥) ، (٢٠٥٨٦) .

(٢) «فيض القدير» : (٩٨ / ٢) .

(٣) الهيثمي ، «الصواعق المحرقة» : (ص ١٥) .

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ أَنَّ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم قَالَ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ : «أَلَا لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ» ^(١) .

وَجْهُ الاستِدْلَالِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى عَدَالَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم : أَنَّ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم قَالَ ذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم ، كُلُّهُمْ أَوْ جُلُّهُمْ ، وَفِي قَوْلِهِ صلی اللہ علیہ وسلم هَذَا لَهُمْ أَعْظَمُ دَلِيلٍ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ عُذُولٌ لَيْسَ فِيهِمْ مَجْرُوحٌ وَلَا ضَعِيفٌ ، إِذْ لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَجْرُوحٌ أَوْ ضَعِيفٌ ، أَوْ كَانَ فِيهِمْ أَحَدٌ غَيْرُ عَدِلٍ لَاسْتَشْنِي فِي قَوْلِهِ صلی اللہ علیہ وسلم ، وَقَالَ : «أَلَا لِيُبْلَغَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ مِنْكُمْ الْغَائِبَ» ، فَلَمَّا جَمَعَهُمْ فِي الذِّكْرِ بِالْأَمْرِ بِتَبْلِيغِ مَنْ بَعْدَهُمْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُذُولٌ ، وَكَفَى بِمَنْ عَدَّلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم شَرْفًا .

الحديث السابع :

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ صلی اللہ علیہ وسلم : «أَكْرِمُوا أَصْحَابِي ؛ فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ» ^(٢) . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : «احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي» ^(٣) .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (١٢٦/٥) ، ١٠٥ . «صحيح مسلم» ، (١٤١/٤) ، ٦٠٤ .

(٢) «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح ، تحقيق أحمد شاكر (١/١١٢) ، و«مسند بن حميد» : (ص ٣٧) ، (٢٣) ، ورواه النسائي والحاكم .

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١/٨١) ، و«سنن ابن ماجه» : (٢/٧٩١) ، (٢٣٦٣) ، ورواه الحاكم (١/١١٤) ووافقه الذهبي .

الحديث الثامن :

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا ، فَجَعَلَ لِي مِنْهُمْ وُزَرَءَ وَأَنْصَارًا وَأَصْهَارًا ؛ فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» ^(١) .

الحديث التاسع :

عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ صلى الله عليه وسلم : «لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى ، وَصَحْبَنِي . وَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى وَصَاحِبَنِي» ^(٢) .

الحديث العاشر :

الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ هِيَ : «مَا كَانَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم»
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «... وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» قَالُوا : مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ : «مَا أَنَا عَلَيْهَا وَأَصْحَابِي» ^(٣) .

(١) «المستدرک علی الصحیحین» ، (٧٣٢/٣) ، (٦٦٥٥) ، والحديث حسنه الألباني في «الصحیحة» (٢٣٤٠) ، الطبراني في «الكبير» (١٢/٤٣٤) ، أبو نعيم في «الحلیة» ، من حديث ابن عمر ، الخطيب في «التاريخ» (١٤/٢٤١) ، من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) «مسند الإمام أحمد» : (١٢٦، ١٢٧/٤) ، وصححه الألباني .

(٣) «سنن الترمذی» ، (٢٦/٥) ، (٢٦٤١) ، وصححه الألباني .

وَقَدْ وَرَدَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَادِيثُ تُقَرِّرُ افْتِرَاقَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى بَضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ أَوِ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَّةُ ، الَّتِي هِيَ عَلَى مِثْلِ مَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا : التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ وَلِهَذَا كَانَ اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَّةِ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَصْحَابُهُ ؛ كَمَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ : «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهَا وَأَصْحَابِي» .

هَذِهِ شَهَادَةٌ أُخْرَى لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ نَبِيِّهِمْ وَقَائِدِهِمْ ﷺ ؛ شَهِدَ لَهُمْ بِالْفَضْلِ وَالْخَيْرِيَّةِ سَيِّدُ الْبَشَرِ وَإِمَامُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ ، فَقَدْ كَانَ شَاهِدًا عَلَيْهِمْ فِي حَيَاتِهِ ، يَرَى تَضَحِيَّاتِهِمْ ، وَيَقِفُ عَلَى صِدْقِ عَزَائِمِهِمْ ، فَأَرْسَلَ ﷺ كَلِمَاتٍ بَاقِيَّةً فِي شَرَفِ أَصْحَابِهِ وَحُبِّهِ لَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَّةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَأَنْ يَجْرِصَ عَلَى قِرَاءَةِ سِيرَتِهِمْ ؛ لِلتَّشَبُّهِ بِهِمْ . قَالَ ﷺ : «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» ^(١) . وَكُلَّمَا كُنَّا بِالصَّحَابَةِ أَشْبَهَ كُنَّا إِلَى الْخَيْرِ أَقْرَبَ ، وَكُلَّمَا ازْدَدْنَا تَشَبُّهًا بِالصَّحَابَةِ بَسُلُوكِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ ، كُنَّا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٢) ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي» . فَالصَّحَابَةُ شَهِدَ اللَّهُ لَهُمْ بِالْخَيْرِيَّةِ ، وَشَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا ؛ فَكُلَّمَا ازْدَدْنَا تَشَبُّهًا بِهِمْ كُنَّا إِلَى الْخَيْرِ وَإِلَى الْجَنَّةِ أَقْرَبَ .

(١) «مسند الإمام أحمد» ، (٢٠٥/٥) ، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٠٩/٥) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠

الحديث الحادي عشر :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ : « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفَرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ ، فَاعْزِزْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » . فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِيَْنَا أَبَدًا

وفي لفظ آخر : جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، وَيَنْقِلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ ، وَيَقُولُونَ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِيَْنَا أَبَدًا

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُجِيبُهُمْ وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ ، فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » ^(١) .

الحديث الثاني عشر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ ﷺ : « قَرِشُ وَالْأَنْصَارُ وَجُھَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمٌ وَأَشْجَعُ وَغِفَارُ مَوَالِيٍّ ، لَيْسَ لَهُمْ مَوْلَى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » ^(٢) .

(١) متفق عليه : « صحيح البخاري » : (٣/١٠٤٣) ، (٢٦٧٩) . « صحيح مسلم » : (١/١٧٣) ، (١٢٠١) .

(٢) متفق عليه : « صحيح البخاري » : (٩/١٥) ، (٣٥٠٤) . « صحيح مسلم » : (٧/٧١٧) ، (٦٥٩٩) .

الحديث الثالث عشر :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «رَأَى النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله النَّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ مُقْبِلِينَ - قَالَ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ عُرْسٍ - فَقَامَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله مُثَلًّا فَقَالَ : «اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ ^(١) .

الحديث الرابع عشر :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله : «الْأَنْصَارُ كَرِشِي ^(٢) وَعَيْبَتِي ^(٣) ، وَالنَّاسُ سَيَكْثُرُونَ وَيَقْلُونَ ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» ^(٤) .

الحديث الخامس عشر :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ ، وَلِلْأَنْبَاءِ الْأَنْصَارِ ، وَلِلْأَنْبَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» ^(٥) .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» : (١٣٧٧ / ٣) ، (٣٥٧٤) . «صحيح مسلم» : (١٧٤ / ٧) ، (٦٥٧٣) .
(٢) ، (٣) «كرشي وعيبي» : قيل أراد بالكرش الجماعة ، أي جماعتي وصحابتي ، والبطن مستودع مكتوم السر ، والعيبة مستودع مكنون المتاع .

الأول : أمر باطن ، والثاني : أمر ظاهر .

قال في النهاية : أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره .

(٤) متفق عليه : «صحيح البخاري» : (٣٦٩ / ٩) ، (٣٨٠١) . «صحيح مسلم» : (١٧٤ / ٧) ، (٦٥٧٦) .

(٥) متفق عليه : «صحيح البخاري» : (٢٢٦ / ١٢) ، (٤٩٠٦) . «صحيح مسلم» : (١٧٣ / ٧) ، (٤٩٠٦) .

الحديث السادس عشر :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ » ^(١) .

الحديث السابع عشر :

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ » ^(٢) .

الحديث الثامن عشر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا يَبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ^(٣) .

فَمَنْ سَبَّهُمْ فَقَدْ زَادَ عَلَى بُغْضِهِمْ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُنَافِقًا لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ .

(١) متفق عليه : « صحيح البخاري » : (٣/١٣٧٧) ، (٣٥٧٥) . « صحيح مسلم » : (١/٦٠) ، (٢٤٢) .

(٢) متفق عليه : « صحيح البخاري » : (٣/١٣٧٧) ، (٣٥٧٢) . « صحيح مسلم » : (١/٦٠) ، (٢٤٦) .

(٣) « صحيح مسلم » : (١/٨٥) ، (٧٦) .

الحديث التاسع عشر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أو قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : «لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا ، لَسَلَكْتُ وَادِي الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ» ^(١) . فقال أبو هريرة رضي الله عنه : ما ظلمتم - بأبي وأمي - أووه ونصروه ، أو كلمة أخرى .

وفي الحديث : بيان فضل الأنصار ، بل وعدائهم ، إذ كيف يسلك الرسول صلى الله عليه وسلم مسلك الأنصار لو لم يكونوا عدولاً ، ولذلك عدّ الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر ، حبهم إيماناً وبغضهم نفاقاً ، فقال صلى الله عليه وسلم : «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغُضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ» ^(٢) .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه بيان فضل الهجرة والمهاجرين ، إذ جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم مانعاً عن دخوله في شعب الأنصار ، وما ذلك إلا لِمَا فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَكَانَةِ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «لَسَلَكْتُ وَادِي الْأَنْصَارِ» أراد بذلك حسن موافقتهم له لِمَا شَاهَدَهُ مِنْ حُسْنِ الْجَوَارِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَصِيرُ تَابِعاً لَهُمْ ، بَلْ هُوَ الْمَتَّبِعُ الْمَطَاعُ الْمَفْتَرِضُ الطَّاعَةَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ» ^(٣) .

(١) «صحيح البخاري» ، (٣٦٠٣) .

(٢) متفق عليه ، «صحيح البخاري» ٣/ ١٣٧٧ ، (٣٥٧٢) . «صحيح مسلم» ١/ ٦٦ ، (٢٤٦) .

(٣) «فتح الباري» .

الحديثُ العِشْرُونُ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُشَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمَنَ بِي ، طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمَنَ بِي» ^(١) .

الحديثُ الحادي والعِشْرُونُ :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يُدْرِكُ قَوْمٌ بَعْدَكُمْ صَاعَكُمْ وَلَا مُدَّكُمْ» ^(٢) .

الحديثُ الثاني والعِشْرُونُ :

مَنْ يَسُبُّ الصَّحَابَةَ فَهُوَ مَلْعُونٌ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» ^(٣) .

الحديثُ الثالثُ والعِشْرُونُ :

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَا إِنَّكُمْ تُوَفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ^(٤) .

(١) «صحيح الجامع» (٣٩٢٦) ، «السلسلة الصحيحة» (١٢٥٤) .

(٢) «صحيح الجامع» (١٣٢٥) ، «السلسلة الصحيحة» (٨٥٤٣) .

(٣) «صحيح الجامع» (٦٢٨٥) ، حديث حسن .

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٠٠٤١) ، إسناده حسن .

هَذِهِ بَعْضُ الشَّهَادَاتِ الْعُلْيَا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِمَّا يَرْفَعُ مَقَامَ الصَّحَابَةِ إِلَى الذَّرْوَةِ ، وَمَا لَا يَتْرُكُ لِبَطَائِنٍ فِيهِمْ دَلِيلًا وَلَا شِبْهَ دَلِيلٍ .

هَذَا الشَّانُ الْعَظِيمُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى جِيلِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ جَاهَدُوا لِرَفْعِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ .

هَؤُلَاءِ الْأَصْحَابُ الْأَبْرَارُ الْأَخْيَارُ ، الْأَفْذَاذُ الشُّجْعَانُ ، الثَّقَاتُ الْعُدُولُ ، الَّذِينَ ثَبَّتَ عَدَالَةً جَمِيعَهُمْ بِنَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ، وَثَنَاءِ رَسُولِهِ ﷺ . وَلَا أَعْدَلَ مِمَّنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَنُصْرَتِهِ ، وَلَا تَزَكِيَّةَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا تَعْدِيلَ أَكْمَلَ مِنْهُ .

وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ شَاهِدٌ فَضْلَ وَعَدَالَةَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَمَا نَرَاهُ الْيَوْمَ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ خَيْرٍ وَدِينٍ فَهُوَ بِسَبَبِهِمْ ، ثُمَّ جَاءَتْ أَجْيَالُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ لِتُكْمِلَ الْمَسِيرَةَ ، فَنَقَلَتِ الدِّينَ ، وَفَتَحَتِ الْأَرْضَ ، وَعَلَّمَتِ النَّاسَ دِينَهُمْ وَإِسْلَامَهُمْ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لَهُمْ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ الشَّنْقِيطِي :

وَصَاحِبُهُ فِي الْغَارِ مَنْ جَاَزَ مَفْخَرَا	أَلَا إِنَّ حُبَّ الْمُصْطَفَى صَفْوَةُ الْوَرَى
وَحَيْدَرَ الْغَطْرِيفِ وَالسَّتَّةَ الذُّرَى	وَحُبُّ أَبَا حَفْصٍ وَعُثْمَانُ ذِي النَّدَى
وَأَزْوَاجِهِ فِي اللَّهِ مِنْ أَوْثَقِ الْعُرَى	وَسَائِرُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَآلِهِ

وَمَنْ كَانَ لِلصَّحْبِ الْأَمَاجِدِ مُبْغِضًا فَذَاكَ لِعَيْنٍ فِي الْغَوَايَةِ قَدْ جَرَى
تَبَرًّا مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ وَدَيْنُ الْهُدَى مِنْ خُبْتِ نَحْلَتِهِ بَرَا
فَنَالَ مِنَ اللَّهِ الْعِقَابَ مُعْجَلًا وَمَثْوَى بِأُطْبَاقِ الْجَحِيمِ مُسْعَرَا

نَسْتَنْتِجُ مِنَ الْعَرَضِ السَّابِقِ لِلآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ مَا يَلِي :
أَوَّلًا : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَكَّى ظَاهِرَهُمْ وَبَاطِنَهُمْ .

فَمِنْ تَزْكِيَةِ ظَوَاهِرِهِمْ : وَصَفُهُمْ بِأَعْظَمِ الْأَخْلَاقِ ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١﴾

وَمِنْ تَزْكِيَةِ بَوَاطِنِهِمْ (وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اخْتَصَّ بِالْعِلْمِ بِمَا فِي الْبَوَاطِنِ ، وَهُوَ
وَحْدَهُ الْعَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ) : مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ صِدْقِ بَوَاطِنِهِمْ ، وَصَلَحِ
نِيَّاتِهِمْ ؛ فَقَالَ - عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ - : ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿٢﴾ ،
﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ ﴿٤﴾

ثَانِيًا : بِسَبَبِ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ لِأَعْظَمِ خِلَالِ الْخَيْرِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
أَخْبَرَنَا أَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ وَتَابَ عَلَيْهِمْ ، وَوَعَدَهُمُ الْحُسْنَى . وَالْحُسْنَى هِيَ الْجَنَّةُ .

ثَالِثًا : بِسَبَبِ كُلِّ مَا سَبَقَ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ ، وَأَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ

(١) سورة الحشر ، الآية : ٨

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١٨

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٩

(٤) سورة الفتح ، الآية : ٢٩

بِأَكْرَامِهِمْ ، وَحِفْظِ حُقُوقِهِمْ ، وَمَحَبَّتِهِمْ . وَنُهَيْنَا عَنْ سَبِّهِمْ وَبُغْضِهِمْ ؛ بَلْ جُعِلَ حُبُّهُمْ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِيمَانِ ، وَبُغْضُهُمْ مِنْ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ . جَاءَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه فِي حَقِّ الْأَنْصَارِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ » ^(٤) .

رَابِعاً : بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ كَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم خَيْرَ الْقُرُونِ ، وَأَمَاناً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ اقْتِدَاءُ الْأُمَّةِ بِهِمْ وَاجِباً ؛ بَلْ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي » ^(٥) . وَقَالَ ﷺ : « سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ ، إِلَّا وَاحِدَةً » . قَالُوا : مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » ^(٦) .

هَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ الَّذِي نُوْمِنُ بِهِ فِي النَّظَرِ إِلَى الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ؛ فَهُمْ الطَّلِيعَةُ الَّتِي حَمَلَتْ إِلَيْنَا كَلِمَةَ اللَّهِ ، وَأَقَامَتِ الْبِنَاءَ ، وَوَضَعَتْ لَنَا أُصُولَ حَيَاتِنَا كُلِّهَا . فَالسَّعِيدُ مَنْ اتَّبَعَ صِرَاطَهُمُ الْمُسْتَقِيمَ ، وَاقْتَفَى مَنَهِجَهُمُ الْقَوِيمَ . وَالتَّعِيسُ مَنْ عَدَلَ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِتَحْقِيقِهِمْ .

خَامِساً : لَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ الْكِرَامِ فِي الْمَعْرُوفِ (وَهُوَ : اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا عُرِفَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى) ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ ، وَكُلِّ مَا نَدَبَ إِلَيْهِ الشَّرْعُ ، وَنَهَى عَنْهُ مِنَ الْمَحْسَنَاتِ وَالْمُقْبَحَاتِ . وَلَا يَرْتَابُ

(٤) «صحيح البخاري» : (١٣٧٧/٣) ، (٣٥٧٢) .

(٥) «مسند أحمد» : (١٢٦/٤) ، (١٧١٢٨) .

(٦) «سنن الترمذي» : (٢٦/٥) ، (٢٦٤١) ، وصححه الألباني .

أَحَدٌ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَنَّ الصَّحَابَةَ الْكِرَامَ هُمُ الَّذِينَ حَازُوا قَصَبَ السَّبْقِ ،
وَاسْتَوَلَوْا عَلَى مَعَانِي الْأُمُورِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ .

سَادِسًا : لَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ فِي الْإِصَابَةِ لِلْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ ، وَالْهَدْيِ
الْمَتَّبَعِ ؛ فَهُمْ أَحَقُّ الْأُمَّةِ فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ ، وَأَجْدَرُ الْخَلْقِ بِمُوَافَقَةِ
السُّنَّةِ وَالكِتَابِ .

* قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ : «وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُونَ
فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ هُوَ بَدْعٌ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا
إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا» .

سَابِعًا : لَيْسَ فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْمُفَضَّلَةِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ كَالصَّحَابَةِ الْكِرَامِ
الَّذِينَ فَازُوا بِصُحْبَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ .

فَالصَّحَابَةُ تَحَمَّلُوا الْأَذَى مِنْ قَوْمِهِمْ بِسَبَبِ إِسْلَامِهِمْ ، وَهَجَرَتِهِمْ مِنْ بِلَادِهِمْ
مَرَّتَيْنِ ، وَجَاهَدَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْدَاءَهُ حَتَّى نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ ،
وَحَفِظَهُمْ لِدِينِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ بِأَنَّهُمْ :

١- حَفِظُوا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَجَمَعُوهُ فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اسْتَنْسَخَ النُّسخَ
مِنْهُ وَإِرْسَالَهَا إِلَى الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

٢- حَفِظُوا سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَبَادَرُوا إِلَى تَمْحِصِ كُلِّ رِوَايَةٍ تَمْحِصًا دَقِيقًا
والتَّحْذِيرِ مِنْ قَبُولِ كُلِّ رِوَايَةٍ تُنْسَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، خَاصَّةً بَعْدَ
الْفِتْنَةِ خَوْفًا مِنْ تَسَلُّلِ غَيْرِ أَحَادِيثِهِ إِلَى النَّاسِ ، ثُمَّ تَوَارَثَ هَذَا الْجَهْدَ
عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فَكَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ وَقَصَبُ السَّبْقِ ، فَحَفِظُوا
السُّنَّةَ وَحَمَوْهَا مِنْ كُلِّ غَرِيبٍ ، وَدَوَّنُوهَا فِي مَوْسُوعَةٍ خَاصَّةٍ بِهَا .

٣- مُسَارَعَتُهُمْ إِلَى نَصَبِ خَلِيفَةٍ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مُبَاشَرَةً ، حَتَّى يَجْمَعَ
الْأُمَّةُ وَيُوَحِّدَ شَمْلَهَا وَيَحْمِيَ بَيْضَتَهَا ، فَقَدْ نَصَبُوا الْخَلِيفَةَ الْأَكْبَرَ ، وَالْإِمَامَ
الْأَعْظَمَ ، سَيِّدَ الصَّحَابَةِ وَخَيْرَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ ، أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقِ (رضي الله عنه) ،
وَاتَّفَقَتْ كَلِمَةُ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِ (رضي الله عنه) ، وَبَايَعَهُ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ ، لَقَدْ كَانَ
اجْتِمَاعُ عَشْرَةِ آلَافٍ صَحَابِيٍّ ، وَهُمْ مِنْ قِبَائِلَ شَتَّى عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
دُونَ إِشْهَارِ سِلَاحٍ وَلَا بَذْلِ مَالٍ وَلَا اسْتِنْفَارِ عَشِيرَةٍ ، لَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ
عَلَى نُضْجِ هَذَا الْجِيلِ الْفَرِيدِ الَّذِي رَبَّاهُ مُعَلِّمُ الْبَشَرِيَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ .

٤- الصَّحَابَةُ (رضي الله عنهم) جَيَّشُوا الْجُيُوشَ لِإِخْضَاعِ الْمُرتدِّينَ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَى الدِّينِ
مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ وَأَعَادَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ الْإِنْطِلَاقِ إِلَى الْعَالَمِ وَنَشَرُوا
الْإِسْلَامَ ، وَكَانَ نَصْرُ اللَّهِ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ مَعَ قَلَّةِ عَدَدِهِمْ وَضَعْفِ عُدَّتِهِمْ
أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ ، فَفَتَحُوا الْعَالَمَ وَأَخْضَعُوا أَعْظَمَ الدُّوَلِ آنَ ذَاكَ لِلْإِسْلَامِ ،
وَامْتَدَّ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الصِّينِ شَرْقًا إِلَى فَرَنْسَا وَأُسْبَانِيَا

غرباً ، وهذا هو أكبر شاهد تاريخي لهذا الجيل العظيم ، فهل هناك أحد غير هؤلاء الصحابة الفاتحين الأفاضل الشجعان أو تلامذتهم من بعدهم فتحوا هذا العالم ؟ ، هؤلاء الأبطال الفاتحين هم الذين عظموا التاريخ من ذكرهم وبطولاتهم وشجاعتهم على مدار التاريخ الإسلامي .

ثامناً : هنا لا بُد من التنبيه على أمر عام ، وهو : أنه لا يلزم من العدالة العِصمة ؛ فلا بُد أن نعلم أن الصحابة ليسوا بمعصومين (وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة) ، وإنما هم بشرٌ يجوزُ عليهم ما يجوزُ على غيرهم . فالواجب علينا أن نعتقد أن الصحابة خير البشر بعد الأنبياء عليهم السلام ، وأن نعتقد أنهم غير معصومين ، وأن ما صدر من بعضهم من الخطأ فهو مغمورٌ في بحور حسناتهم ، والحسنات يُذهبن السيئات . ومقام أحد من الصحابة رضي الله عنه في سبيل هذا الدين لا يعدله شيء .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في هذا المقام كلاماً نفيساً : « وأهل السنة تحسن القول فيهم (أي : الصحابة رضي الله عنهم) وترحم عليهم ، وتستغفر لهم ، لكن لا يعتقدون العِصمة من الإفراق على الذنب والخطأ . لكن هم كما قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ ^(١) . وفصائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها ؛ لا بصدرها » ^(٢) .

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ١٦

(٢) « مجموع الفتاوى » : (٤ / ٤٣٤) .

تَاسِعًا : عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّهُ لَوْلَا مَنْ أَقَامَهُمُ اللَّهُ مِنَ الصَّحَابَةِ
والتَّابِعِينَ ، وَمَنْ أَقْتَفَى سُنَنَهُمْ مِنَ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، أَنْصَارُ الدِّينِ وَحُمَاتِهِ ،
وَشُجْعَانُ الْإِسْلَامِ وَحُمَاتِهِ ، الطَّعَنَ وَالضَّرْبَ ، وَفَاتَحُوا الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ ، لَوْلَا
جُهُودُهُمْ وَجِهَادُهُمْ لَمَا كُنَّا قَاطِنِينَ فِي أَطْلَالِ نَعْمِهِمْ ، بِغَمِّهِمْ فِيهَا وَهَمِّهِمْ ،
وَلَمَّا عَشْنَا آمِنِينَ فِي ظِلَالِ هِمَمِهِمْ ، بِجُودِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَكَرَمِهِمْ !! .

فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّهُمْ وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ ، وَتَرْضَى عَنْهُمْ ، وَيَا وَيْلَ مَنْ أَبْغَضَهُمْ ، أَوْ
أَبْغَضَ بَعْضَهُمْ ، وَذَلِكَ مِنْ عِلَامَاتِ الْخُذْلَانِ ، وَأَمَارَاتِ الْخَبِيَةِ وَالْخُسْرَانِ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنَا مِنْ هَذِهِ الْوَرُطَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَوَقَّعَنَا بِحُبِّ جُمْلَتِهِمْ
إِلَى سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ .

فَالسَّعِيدُ مَنْ تَوَلَّى جُمْلَتَهُمْ ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَاهْتَدَى بِهَدْيِهِمْ ،
وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهِمْ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ تَعَرَّضَ لِلْخَوْضِ فِيهَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، وَاقْتَحَمَ
خَطَرَ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ ، وَاتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا فِي سَبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ
أَنْ أَعَاذَنَا مِنْ ذَلِكَ ، وَنَسْأَلُهُ دَوَامَ نِعْمَتِهِ وَتَمَامَهَا . آمِينَ (١) .

قَالَ التَّبَّانِيُّ الْمَغْرِبِيُّ : عَلَى أَنْ مُبْغِضَهُمْ وَمُتَّقِدَهُمْ نَابِحُ الْكَوَكِبِ النَّيِّرَاتِ ،
وَنَاطِحُ الْجِبَالِ الثَّابِتَاتِ .

فَمَا الْعِزُّ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا بِظِلِّهِمْ وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا مَا بَنَوْهُ فَشَيَّدُوا (٢)

(١) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» ، للمحب الطبري : (٣٣/١) .

(٢) «إنحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسُّنَّة من فضائل الصحابة» : (ص ٥-٦) .

عَاشِرًا : كَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم مُعَايِشِينَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ،
وَكَانُوا مُعَايِشِينَ لَوَقْتِ التَّشْرِيعِ ، فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ بِنُصُوصِ الْقُرْآنِ
وَالسُّنَّةِ ، وَلِذَلِكَ هُمْ :

- ١ - أَكْثَرُ النَّاسِ إِيمَانًا بِالنُّصُوصِ .
- ٢ - وَأَكْثَرُهُمْ فَهْمًا لِلنُّصُوصِ .
- ٣ - وَأَكْثَرُهُمْ عَمَلًا بِالنُّصُوصِ .
- ٤ - وَكُلُّهُمْ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مُخَالِفٌ لِفَهْمِ الصَّحَابَةِ ، فَهُوَ رَدٌّ مَرْدُودٌ
عَلَى صَاحِبِهِ .

كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله : «مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَأْخُذُ مِنَ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِدُونِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِالصَّحَابَةِ وَيَتَّبِعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ فَهُوَ
مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ» ^(١) .

وَقَالَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما : «تَعَلَّمْنَا
الْإِيمَانَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، فَازْدَدْنَا إِيمَانًا» ^(٢) ، فَالصَّحَابَةُ أَخَذُوا عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ ؛ بَلْ كَانَتْ عِنَايَتُهُمْ بِأَخْذِ
الْمَعَانِي أَعْظَمَ مِنْ عِنَايَتِهِمْ بِالْأَلْفَافِ ، يَأْخُذُونَ الْمَعَانِيَ أَوَّلًا ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ

(١) «مختصر الفتاوى المصرية» .

(٢) الطبراني ، «المعجم الكبير» (١٣٧٨) ، البيهقي ، «السنن الكبرى» (٥٤٩٨) ، وصححه الألباني في
«صحيح ابن ماجه» (٦٠) .

الألفاظ ليضبطوا بها المعاني حتى لا تشذ عنهم ؛ فإذا كان الصحابة تلقوا عن نبيهم معاني القرآن كما تلقوا عنه ألفاظه لم يحتاجوا بعد ذلك إلى لغة أحد . فنقلت معاني القرآن عنهم كنقل ألفاظه سواء .

٥ - فالصحابة عرب أفحاح فصحاء : يفهمون المعاني بلغة العرب ، والذين جاؤوا من بعدهم اختلطت عليهم العجمة واللكنة ، فالعريضة طريقتهم وسليقتهم ، والمعاني الصحيحة مركزة في فطريهم وعقولهم ، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة ، وعلل الحديث والجرح والتعديل ، ولا إلى النظر في قواعد الأصول ، وأوضاع الأصوليين ، فقد أغنوا عن ذلك كله ، فليس في حقهم إلا أمران :

أحدهما : قال الله تعالى كذا ، وقال رسوله كذا .

والثاني : معناه كذا وكذا ، وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين ، وأحظى الأمة بهما ، فقواهم متوافرة مجتمعة عليها ؛ فإنهم - أي الصحابة الكرام - قد شاهدوا وصحبوا المختار ﷺ ، وعايّنوا في صحبتهم للنبي ﷺ الأسرار القرآنية ، وعلموا من الحضرة النبوية ، وعلموا التنزيل وأسبابه ، والتأويل وآدابه ، وعايّنوا الأنوار القرآنية ، والأشعة المصطفوية ، فهم أسعد الأمة بإصابة الصواب ، وأجدرها بعلم فقه السنة والكتاب .

٦ - سَلَامَةُ جِيلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ : انْتَهَى جِيلُ الصَّحَابَةِ وَهُوَ خَيْرُ الْقُرُونِ كَمَا أَخْبَرَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ عَلَيْهِ السَّلَام ، وَلَمْ يَقَعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي بِدْعَةٍ مِنَ الْبِدْعِ صَغِيرَةً أَوْ كَبِيرَةً ، فَارْقُوا الدُّنْيَا وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِمْ أَيْ بِدْعَةٍ تُذَكَّرُ ، فَهُمْ جِيلٌ قُرْآنِيٌّ فَرِيدٌ ، لَا يَجُودُ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ أَبَدًا .

وما أَحَسَّنَ مَا سَطَّرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يَقُولُ : «فَإِنَّمَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ وَالْفِتْنُ لَمَّا خَفِيَتْ آثَارُ الصَّحَابَةِ ، فَإِنَّهُمْ خَيْرُ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ» (١) .

٧ - قُرْبُ عَهْدِ الصَّحَابَةِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَفَاهُمْ مِنَ الْإِسْنَادِ : وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ اخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ، وَاخْتَلَطَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ بِالضَّعِيفِ ، كَمَا جَاءَ فِي مُقَدِّمَةِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «كُنَّا إِذَا أَحَدٌ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتَدَرْتُهُ الْأَبْصَارُ» (٢) .

شِدَّةُ الشَّوْقِ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْحَدِيثِ ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا وَقَعَتِ الْفِتْنُ بَعْدَ الصَّحَابَةِ ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ سِيرِينَ سَمُّوا لَنَا رِجَالًا حَتَّى نَعْرِفَ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فَلَا نَأْخُذُ مِنْهُمْ .

(١) «جامع الرسائل المسائل» ، ١٨٥ / ٥ .

(٢) «صحيح مسلم» : (٨ / ١) .

المبحث الثاني

حكم سب الصحابة

وشهادات بعض السلف في الذب عن الصحابة رضي الله عنهم

لقد عرف السلف الصالح فضل الصحابة الكرام ، وبينوا ذلك بوضوح ،
ودافعوا كل من أراد أن ينتقص منهم رضي الله عنهم :

وعن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى ، قال :
« سألت أبي عن رجل شتم رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ، فقال : « ما أراه
على الإسلام »^(١) .

وقال الإمام أحمد رحمهما الله : « إذا رأيت رجلاً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ
بسوء فاتهمه بالإسلام »^(٢) .

وقال أيضاً رحمهما الله : « لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ، ولا يطعن
على أحد منهم بعيب ولا نقص ؛ فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه
وعقوبته . ليس له أن يعفو عنه ؛ بل يعاقبه ويستتيبه ، فإن تاب قبل منه ، وإن
ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت ، أو يرجع »^(٣) .

(١) « السنة » للخلال ، (١/ ٤٩٣) .

(٢) « الصارم المسلول » : (٢١٥) ، « شرح أصول الاعتقاد » : (٧/ ١٢٥٢) .

(٣) « الصارم المسلول » : (٢١٥) .

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : « مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ أَبَا بَكْرٍ أَوْ عُمَرَ أَوْ عُثْمَانَ أَوْ مُعَاوِيَةَ أَوْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ، فَإِنْ قَالَ : كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ ، قُتِلَ » (١) .

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ : « مَنْ شَتَمَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فهو كَافِرٌ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » (٢) .

وَقَالَ السَّرْحِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « فَمَنْ طَعَنَ فِيهِمْ (أَي : الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) فهو مُلْحِدٌ ، مُنَابِذٌ لِلْإِسْلَامِ ، دَوَاءُهُ السَّيْفُ إِنْ لَمْ يَتُبْ » (٣) .

وَقَالَ أَيْضًا بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ : « لَوْ أَنَّ الرُّومَ سَبَّتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا ، ثُمَّ فَدَاهُمْ رَجُلٌ كَانَ فِي قَلْبِهِ سُوءٌ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ » (٤) .

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « لَا يَغْلُ قَلْبُ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِلَّا كَانَ فِي قَلْبِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَغْلٌ » (٥) .

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُبَارَكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَسَأَلَهُ : أَمْعَاوِيَةُ أَفْضَلُ ، أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ . فَقَالَ : لَتُرَابٌ فِي مَنْخَرِي مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ » (٦) .

(١) «الصارم المسلول» ، ص : (٥٠٣) .

(٢) ابن بطة ، «الإبانة» : (١٦٢) .

(٣) «أصول السرخسي» : (٢ / ١٣٤) .

(٤) «المجالسة» ، (١ / ٤١٢) .

(٥) «الإبانة الكبرى» لابن بطة .

(٦) ابن عساكر ، «تاريخ دمشق» : (٢٠٨ / ٥٩) ، «منهاج السنة» : (٢٢٧ / ٦) .

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْإِمَامِ أَبِي زُرْعَةَ ، فَقَالَ : «أَنَا أَبْغِضُ مُعَاوِيَةَ!» . قَالَ : «إِنَّ رَبَّ مُعَاوِيَةَ رَبُّ رَحِيمٍ ، وَخَصَمُ مُعَاوِيَةَ خَصَمٌ كَرِيمٌ . فَمَا دَخَلَكَ أَنْتَ بَيْنَهُمَا؟ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ» (١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ صُبَيْحٍ بْنُ السَّمَّاكِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، لِمَنْ انْتَقَصَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : «عَلِمْتُ أَنَّ الْيَهُودَ لَا يَسُبُّونَ أَصْحَابَ مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَأَنَّ النَّصَارَى لَا يَسُبُّونَ أَصْحَابَ عِيسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَمَا بِأَلَاكَ يَا جَاهِلٌ سَبَبَتْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ . وَقَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتَيْتَ : لَمْ يَشْغَلْكَ ذَنْبُكَ ! أَمَا لَوْ شَغَلَكَ ذَنْبُكَ لَخِفْتَ رَبَّكَ ، وَلَقَدْ كَانَ فِي ذَنْبِكَ شُغْلٌ عَنِ الْمُسِيئِينَ ، فَكَيْفَ لَمْ يَشْغَلْكَ عَنِ الْمُحْسِنِينَ؟ . أَمَا لَوْ كُنْتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَمَا تَنَاوَلْتَ الْمُسِيئِينَ؛ فَمِنْ ثَمَّ عُبِتَ الشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحِينَ . أَتَيْهَا الْعَائِبُ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، لَوْ نِمْتَ لَيْلَكَ ، وَأَفْطَرْتَ نَهَارَكَ لَكَ خَيْرٌ أَلَّاكَ مِنْ قِيَامِ لَيْلِكَ وَصَوْمِ نَهَارِكَ مَعَ سُوءِ قَوْلِكَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . فَوَيْحُكَ! لَا قِيَامَ لَيْلٍ ، وَلَا صِيَامَ نَهَارٍ ، وَأَنْتَ تَتَنَاوَلُ الْأَخْيَارَ؟! فَأَبْشِرْ بِمَا لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْبُشْرَى إِنَّ لَمْ تَتُبْ مِمَّا تَسْمَعُ وَتَرَى . وَبِمَ تَحْتَجُّ يَا جَاهِلٌ إِلَّا بِالْجَاهِلِينَ . وَشَرُّ الْخَلْفِ خَلْفُ شَتَمِ السَّلَفِ؛ الْوَاحِدُ مِنَ السَّلَفِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ مِنَ الْخَلْفِ» (٢) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «مَنْ شَتَمَ عُثْمَانَ أَوْ طَلَحَةَ أَوْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دَجَّالٌ لَا يُكْتَبُ عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (٣) .

(١) ابن عساكر ، «تاريخ دمشق» : (١٤١ / ٥٩) ، «فتح الباري» : (١٣ / ٨٦) .

(٢) رواه المعافى ، في «الجليس الصالح» : (٣٩٢ / ٢) .

(٣) «تهذيب التهذيب» ، (١ / ٤٤٧) .

اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا تَقُولُ فِي مَنْ يَنْتَقِصُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : قُلْتُ : زَنَادِقَةٌ . قَالَ : مَا سَمِعْتُ أَحَدًا قَالَ هَذَا قَبْلَكَ . قَالَ : قُلْتُ : هُمْ قَوْمٌ أَرَادُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْقُصُ ، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ يُتَابِعُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَنْقُصُوا هَؤُلَاءِ . وَهَؤُلَاءِ عِنْدَ أَبْنَاءِ هَؤُلَاءِ ؛ فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْحَبُهُ صَحَابَةُ الشُّوءِ ، وَمَا أَقْبَحَ الرَّجُلَ أَنْ يَصْحَبَهُ صَحَابَةُ الشُّوءِ . فَقَالَ : مَا أَرَى إِلَّا كَمَا قُلْتُ .

وَيُؤَيِّدُ قَوْلَ الْخَطِيبِ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الْحُجَّةُ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ . إِنَّهَا كَلِمَاتُ وَاللَّهِ أَعْلَى مِنْ الذَّهَبِ ، أَوْضَحَ فِيهَا الْهَدَفَ الْحَقِيقِيَّ لِهَؤُلَاءِ الزَّنَادِقَةِ فِي الطَّعْنِ بِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ . قَالَ : «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ زَنْدِيقٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنُ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا آدَى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَجْرَحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ . وَالْجَرَحُ بِهِمْ أَوْلَى ؛ فَهُمْ زَنَادِقَةٌ» (١) .

وَمَا أَحْسَنَ مَا سَطَرَهُ أَيُّوبُ السَّخْتْيَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ثَنَائِهِ الْعَاظِرِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ . قَالَ : «مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ مَنَارَ الدِّينِ ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ فَقَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ اللَّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ، وَمَنْ قَالَ الْحَسَنَى فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ بَرِيَ مِنَ النِّفَاقِ» (٢) .

(١) «الكفاية» : (٤٩) .

(٢) الذهبي ، «الكبائر» ، ص (٢٠٨) ، ابن حبان ، «الثقات» ، ص (٦٨٠) .

* وَقَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَتَوَلَّيْهَا ^(١) وَأَبْرَأُ مِنْ عَدُوِّهِمَا » ^(٢) .

* وَقَالَ أَيْضاً الْإِمَامُ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « بَرِئَ اللَّهُ مِنْ تَبْرَأَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ » ^(٣) .

وَعَلَّقَ الذَّهَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «السَّيَرِ» : « هَذَا الْقَوْلُ مُتَوَاتِرٌ عَنْ جَعْفَرٍ ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَبَارٌّ فِي قَوْلِهِ ، فَضَحَ اللَّهُ الرَّافِضَةَ » ^(٤) .

وَهَذَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ يَرُدُّ بِالذَّلِيلِ الْقَاطِعِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُفْرِ مَنْ انْتَقَصَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ فَيَقُولُ : « وَأَمَّا مَنْ جَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا نَفَرًا قَلِيلاً بِضْعَةَ عَشَرَ نَفَرًا ، أَوْ أَنَّهُمْ فَسَقُوا عَامَّتُهُمْ ، فَهَذَا لَا رَيْبَ فِي كُفْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَذَّبَ مَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الرِّضَى عَنْهُمْ ، وَالشَّاءِ عَلَيْهِمْ . بَلْ مَنْ يَشْكُ فِي كُفْرٍ مِثْلِ هَذَا فَإِنَّ كُفْرَهُ مُتَعَيَّنٌ ؛ فَإِنَّ مَضْمُونَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنَّ نَقْلَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كُفَّارٌ أَوْ فُسَّاقٌ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي هِيَ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٥) (وَحَيْرُهَا هُوَ الْفَرِيقُ الْأَوَّلُ) ، كَانَ عَامَّتُهُمْ كُفَّارًا

(١) يعني أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) «الإبانة الكبرى» لابن بطه .

(٣) عبدُ اللَّهِ بن الإمام أحمد ، «السُّنَّة» .

(٤) «سير أعلام النبلاء» ، الذهبي .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠

أَوْ فُسَاقًا ، وَمَضْمُونُهَا : أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ شَرُّ الْأُمَمِ ، وَأَنَّ سَابِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ هُمْ شِرَارُهُمْ . وَكُفِرَ هَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بِاضْطِرَارٍ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ . وَلِهَذَا تَجَدُّ عَامَّةٌ مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فَإِنَّهُ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ» (١) .

إِنِّي أَحِبُّ أَبَا حَفْصٍ وَشِيعَتَهُ كَمَا أَحِبُّ عَتِيقًا صَاحِبَ الْغَارِ
وَقَدْ رَضِيتُ عَلَيَّا قُدُوءَ عِلْمًا وَمَا رَضِيتُ بِقَتْلِ الشَّيْخِ فِي الدَّارِ
كُلُّ الصَّحَابَةِ سَادَاتِي وَمُعْتَمِدِي فَهَلْ عَلَيَّ بِهَذَا الْقَوْلِ مِنَ الْعَارِ!

الإمام الذَّهَبِيُّ (٢) رَحِمَهُ اللَّهُ يَبْرَهْنُ بِالْأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ يَطْعَنُ بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فيقول :

فَمَنْ طَعَنَ فِيهِمْ (٣) ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الدِّينِ ، وَمَرَقَ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّ الطَّعْنَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ اعْتِقَادٍ مَسَاوِيهِمْ ، أَوْ إِضْمَارِ الْحَقِّدِ فِيهِمْ ، وَإِنْكَارِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ ثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ ، وَمَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ ثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ وَحُبِّهِمْ ، وَلِأَنَّهُمْ أَرْضَى الْوَسَائِلِ مِنَ الْمَأْثُورِ وَالْوَسَائِلِ مِنَ الْمَنْقُولِ .

وَالطَّعْنُ فِي الْوَسَائِلِ طَعْنٌ فِي الْأَصْلِ ، وَالْإِزْدِرَاءُ بِالنَّاقِلِ إِزْدِرَاءٌ

(١) «الصارم المسلول» ، ابن تيمية .

(٢) «الكبائر» ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٣) أي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

بِالْمَقُولِ ، هَذَا ظَاهِرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَسَلِمَ مِنَ التَّفَاقِ وَالزَّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ فِي عَقِيدَتِهِ ، وَحَسْبُكَ مَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَنِي أَصْحَابًا فَجَعَلَ لِي مِنْهُمْ وُزَرَءَ وَأَنْصَارًا وَأَصْهَارًا فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» (١) .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا» (٢) .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ مَنْ فَحَصَ سِرَّ الْقَدَرِ فِي الْخَلْقِ وَهُوَ : الْإِمْسَاكُ عَلَامَةُ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهَا فَعَالَةٌ أَوْ لَهَا تَأْثِيرٌ مِنْ إِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ مُشْرِكٌ .

وَكَذَلِكَ مَنْ ذَمَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ وَتَبَعَ عَثْرَاتِهِمْ وَذَكَرَ عَيْبًا وَأَضَافَهُ إِلَيْهِمْ ، كَانَ مُنَافِقًا ، بَلْ الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ حُبُّ اللَّهِ وَحُبُّ رَسُولِهِ ، وَحُبُّ مَا جَاءَ بِهِ ، وَحُبُّ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِ ، وَحُبُّ مَنْ يَأْخُذُ بِهَدْيِهِ ، وَيَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ ، وَحُبُّ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَأَوْلَادِهِ وَغِلْمَانِهِ وَخُدَّامِهِ ، وَحُبُّ مَنْ يُحِبُّهُمْ ، وَبُغْضُ مَنْ يَبْغِضُهُمْ ، لِأَنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضُ فِي اللَّهِ .

(١) سبق تخريجه في الفصل الأول ، المبحث الأول ، الحديث الثامن .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٩٦ / ٢ ، وأبو نعيم في الحلية ١٠٨ / ٤ ، والألباني في الصحيحة ٣٤ .

وَقَالَ الْإِمَامُ السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ سَبَّ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ لَا شَكَّ أَنَّهُ كُفْرٌ ... وَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُ الطَّحَاوِيِّ : «وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ» ، فَإِنَّ بُغْضَ الصَّحَابَةِ بِجُمْلَتِهِمْ لَا شَكَّ أَنَّهُ كُفْرٌ ... إِلَى أَنْ قَالَ : «وَهَكَذَا إِذَا سَبَّ وَاحِدًا مِنَ الصَّحَابَةِ حَيْثُ هُوَ صَحَابِيٌّ ، لِأَنَّ ذَلِكَ اسْتِخْفَافٌ بِحَقِّ الصَّحَابَةِ ، فِيهِ تَعْرِيزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَا شَكَّ فِي كُفْرِ السَّابِّ ... وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَوْ أَبْغَضَ وَاحِدًا مِنْهُمَا (أَيَ الشَّيْخَيْنِ : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ) لِأَجْلِ صُحْبَتِهِ فَهُوَ كَافِرٌ ، بَلْ مَنْ دُونَهُمَا فِي الصُّحْبَةِ إِذَا أَبْغَضَهُ لِصُحْبَتِهِ كَانَ كَافِرًا قَطْعًا» (١) .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَكَاثَّرَتْ فِي فَضْلِهِمْ ، وَالْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ بِمَجْمُوعِهَا نَاصَةٌ عَلَى كِبَالِهِمْ ، فَمَنْ اعْتَقَدَ فِسْقَهُمْ أَوْ فِسْقَ جَمْعِهِمْ وَإِرْتِدَادِهِمْ ، أَوْ إِرْتِدَادَ مُعْظَمِهِمْ عَنِ الدِّينِ ، أَوْ اعْتَقَدَ حَقِيقَةَ سَبِّهِمْ وَإِبَاحَتِهِ ، أَوْ سَبَّهُمْ مَعَ اعْتِقَادِ حَقِيقَةِ سَبِّهِمْ أَوْ حِلِّيَّتِهِ ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ فِيمَا أَخْبَرَ مَنْ فَضْلِهِمْ وَكَمَالَتِهِمُ الْمُسْتَلْزِمَةَ لِبِرَائَتِهِمْ عَمَّا يُوجِبُ الْفِسْقَ وَالْإِرْتِدَادَ وَحَقِيقَةَ السَّبِّ أَوْ إِبَاحَتِهِ . وَمَنْ كَذَّبَ بِهَا فِيمَا ثَبَتَ قَطْعًا صُدُورُهُ عَنْهُمَا فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ خَصَّ بَعْضَهُمْ بِالسَّبِّ : فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ تَوَاتَرَ الثَّقَلُ فِي فَضْلِهِ وَكَمَالِهِ كَالْخُلَفَاءِ ؛ فَإِنْ اعْتَقَدَ حَقِيقَةَ سَبِّهِ أَوْ

إِبَاحَتِهِ فَقَدْ كَفَرَ ؛ لِتَكْذِيبِهِ مَا ثَبَتَ قَطْعاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُكَذِّبِهِ كَافِرٌ ، وَإِنْ سَبَّ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ حَقِّيَّةِ سَبِّهِ أَوْ إِبَاحَتِهِ فَقَدْ تَفَسَّقَ ؛ لِأَنَّ سَبَابَ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقَدْ حَكَمَ بَعْضُهُمْ فِيمَنْ سَبَّ الشَّيْخِينَ بِالْكُفْرِ مُطْلَقاً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَإِنْ كَانَ مَنْ لَمْ يَتَوَاتَرَ الثَّقَلُ فِي فَضْلِهِ وَكَمَالِهِ ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ سَابَّهُ فَاسِقٌ ، إِلَّا أَنْ يَسْبَهُ مَنْ حَيْثُ صُحْبَتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ ، وَغَالِبُ هَؤُلَاءِ الرَّافِضَةُ الَّذِينَ يَسُبُّونَ الصَّحَابَةَ لِاسِيَّاءِ الْخُلَفَاءِ يَعْتَقِدُونَ حَقِّيَّةَ سَبِّهِمْ أَوْ إِبَاحَتِهِ بَلْ وَجُوبِهِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يُوجِبُ لَهُمْ خُسْرَانُ الدِّينِ . وَاللَّهُ الْحَافِظُ ^(١) . انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ : سَبُّ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْعَظِيمَةِ ، بَلْ رِدَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ ، مَنْ سَبَّهُمْ وَأَبْغَضَهُمْ فَهُوَ مُرْتَدٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّهُمْ هُمْ نَقْلَةُ الشَّرِيعَةِ ، هُمْ نَقَلُوا لَنَا حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَّتَهُ ، وَهُمْ نَقْلَةُ الْوَحْيِ ، نَقَلُوا الْقُرْآنَ ، فَمَنْ سَبَّهُمْ وَأَبْغَضَهُمْ أَوْ اعْتَقَدَ فِسْقَهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ . نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ ^(٢) .

(١) «رسالة في الرد على الرافضة» .

(٢) «مجموع فتاوى ابن عثيمين» .

بَعْضُ الْأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ الْقَاطِعَةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ
الْأَعْلَامِ عَلَى كُفْرِ وَقْتِلِ سَابِّ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ رضي الله عنهم :

١- الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ
بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ ^(١) . فَمَنْ غَاظَ اللَّهَ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم فَقَدْ وَجَبَ فِي
حَقِّهِ مُوجِبُ ذَلِكَ وَهُوَ الْكُفْرُ .

٢- وَقَوْلُهُ صلوات الله عليهم : « مَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ
آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ » ^(٢) .

٣- وَقَالَ صلوات الله عليهم : « فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ،
لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا » ^(٣) . وَأَذِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كُفْرٌ مُوجِبٌ
لِلْقَتْلِ ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ لَا شَكَّ فِيهِ .

٤- وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ رحمته الله : « إِنَّمَا هَؤُلَاءِ أَقْوَامٌ أَرَادُوا الْقَدْحَ فِي النَّبِيِّ صلوات الله عليهم
فَلَمْ يُمْكِنَهُمْ ذَلِكَ ، فَقَدَحُوا فِي أَصْحَابِهِ ، حَتَّى يُقَالَ : رَجُلٌ سُوءٌ لَهُ أَصْحَابٌ
سُوءٌ ، وَلَوْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا لَكَانَ أَصْحَابُهُ صَالِحِينَ » ، ثُمَّ قَالَ رحمته الله : « أَمَّا

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٩

(٢) «مسند الإمام أحمد» : (٥٤ / ٥) ، (٢٠٥٨٦) .

(٣) «المستدرک علی الصحیحین» : (٧٣٢ / ٣) ، (٦٦٥٥) .

مَنْ اقْتَرَنَ بِسَبِّهِ دَعَا إِلَى أَنْ عَلِيًّا إِلَهُ أَوْ أَنَّهُ كَانَ هُوَ النَّبِيُّ ، وَإِنَّمَا غَلَطَ جَبْرِيلُ فِي الرِّسَالَةِ ، فَهَذَا لَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ ، وَلَا شَكَّ فِي كُفْرِ مَنْ تَوَقَّفَ فِي تَكْفِيرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : «وَأَمَّا مَنْ جَاوَزَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ زَعَمَ أَنَّهُم ارْتَدُّوا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا ، لَا يَلْبِغُونَ بِضِعَّةٍ عَشْرَ نَفْسًا ، أَوْ أَنَّهُمْ فَسَقُوا عَامَّتُهُمْ فَهَذَا لَا رَيْبَ أَيْضًا فِي كُفْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَذَّبَ مَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الرِّضَى عَنْهُمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، بَلْ مَنْ يَشْكُ فِي كُفْرِ مِثْلِ هَذَا فَإِنَّ كُفْرَهُ مُتَعَيِّنٌ ، فَإِنَّ مَضْمُونَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنَّ نَقْلَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كُفْرًا أَوْ فُسَاقًا ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي هِيَ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) ، وَخَيْرُهَا هُوَ الْقَرْنُ الْأَوَّلُ كَانَ عَامَّتُهَا كُفْرًا أَوْ فُسَاقًا ، وَمَضْمُونُهَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ شَرُّ الْأُمَمِ ، وَأَنَّ سَابِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ هُمْ شِرَارُهَا ، وَكُفْرُ هَذَا بِمَا يَعْلَمُ بِالاضْطِرَّارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ » ^(٢) .

٥ - إِنَّ الطَّعْنَ فِي الصَّحَابَةِ تَكْذِيبٌ لِمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنَ الرِّضَا عَنْهُمْ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، فَالْعِلْمُ الْحَاصِلُ مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِهِمْ قَطْعِيٌّ ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا هُوَ قَطْعِيٌّ فَهُوَ كَافِرٌ .

٦ - إِنَّ شَتَمَ الصَّحَابَةِ ﷺ إِذَاءٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ وَخَاصَّتُهُ ، فَسَبُّ خَاصَّةِ الْمَرْءِ وَالطَّعْنُ فِيهِمْ يُؤْذِيهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ آذَى النَّبِيَّ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ .

٧ - يَلْزَمُ مِنْ سَبِّ الصَّحَابَةِ ﷺ أَوْ تَكْفِيرِهِمْ : الشَّكُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَدِينِ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّ الطَّعْنَ فِي النَّاقِلِ طَعْنٌ فِي الْمَقُولِ ، فَالصَّحَابَةُ ﷺ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠

(٢) «الصارم المسلول» ، ابن تيمية ، (ص ٥٠٢) ، مختصراً .

هُم الَّذِينَ نَقَلُوا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ إِلَيْنَا ، فَالطَّعْنُ فِيهِمْ طَعْنٌ فِي الْقُرْآنِ
وَالسُّنَّةِ وَفِي دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَهَذَا كُفْرٌ بِوَاحٍ لَا شَكَّ فِيهِ .

٨ - فَيَكُونُ الطَّعْنُ فِي الصَّحَابَةِ (رضي الله عنهم) أَوْ شَتْمُهُمْ أَوْ الْإِنْتِقَاصُ مِنْهُمْ كُفْرًا
بَوَاحًا ، وَنِفَاقًا صَرَّاحًا ، وَزَنْدَقَةٌ مَجُوسِيَّةٌ فَارِسِيَّةٌ بَاطِنِيَّةٌ .

ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ (رحمته الله) قَالَ : «مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ قُتِلَ ، وَمَنْ
سَبَّ عُمَرَ قُتِلَ ، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ
أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ^(١) ، فَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ خَالَفَ الْقُرْآنَ ،
وَمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ قُتِلَ ، وَكُلُّ مَنْ سَبَّهَا مِمَّا بَرَّأَهَا اللَّهُ بِهِ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ ، وَمَنْ
كَذَّبَ اللَّهَ فَهُوَ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ» ^(٢) .

وَقَالَ السُّبْكِيُّ إِمَامُ الشَّافِعِيَّةِ : وَأَمَّا الْوَقِيعَةُ فِي عَائِشَةَ (رضي الله عنها) ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ
فَمُوجِبَةُ الْقَتْلِ ؛ لِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَشْهَدُ بِبِرَائَتِهَا ، فَتَكْذِيبُهُ كُفْرٌ ، وَالْوَقِيعَةُ فِيهَا
تَكْذِيبٌ لَهُ .

الثَّانِي : أَنَّهَا فِرَاشُ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، وَالْوَقِيعَةُ فِيهَا تَنْقِصٌ لَهُ ، وَتَنْقِصُهُ كُفْرٌ ^(٣) .

حَكَى الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ (رحمته الله) إِتِّفَاقَ الْأُئِمَّةِ عَلَى كُفْرِ قَازِفِ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) ؛
حَيْثُ قَالَ : «وَاتَّفَقَتِ الْأُئِمَّةُ عَلَى كُفْرِ قَازِفِهَا» .

(١) سورة النور ، الآية : ١٧

(٢) «تفسير القرطبي» (٦ / ٥٠٤) ، «الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة» ، الهيثمي (ص ٣٨٤) .

(٣) «فتاوى السبكي» (٢ / ٥٩٢) .

وَقَالَ بَدْرُ الدِّينِ الزَّرْكَشِيُّ : «مَنْ قَذَفَهَا فَقَدْ كَفَرَ ؛ لِتَصْرِيحِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِبَرَاءَتِهَا» .

وَقَالَ إِمَامُ الْحَنَابِلَةِ بَيْغَدَادِي عَصْرِهِ ، وَهُوَ أَبُو مُوسَى ، عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ عِيسَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ الشَّرِيفِ الْهَاشِمِيِّ ؛ حَيْثُ يَقُولُ : «وَمَنْ رَمَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ فَقَدْ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ» ^(١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «بَرَاءَةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنَ الْإِفْكِ ، وَهِيَ بَرَاءَةٌ قَطْعِيَّةٌ بَنَصِّ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ ، فَلَوْ تَشَكَّكَ فِيهَا إِنْسَانٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ صَارَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ» ^(٢) .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرُهُ : «لَمْ تَزِنْ إِمْرَأَةُ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَهَذَا إِكْرَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ» ^(٣) .

قَالَ السَّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : عِنْدَ آيَاتِ سُورَةِ النُّورِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ ^(٤) ، نَزَلَتْ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِيهَا قُذِفَتْ بِهِ ، فَاسْتَدَلَّ بِهَا الْفُقَهَاءُ : عَلَى أَنَّ قَاذِفَهَا يُقْتَلُ ؛ لِتَكْذِيبِهِ لِنَصِّ الْقُرْآنِ ^(٥) .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : قَذَفُ عَائِشَةَ كُفْرٌ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَ نَفْسَهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ ،

(١) «الصارم المسلول» ، ابن تيمية ، (ص ٥٦) ، بإختصار .

(٢) «شرح صحيح مسلم» ، (١١٧ / ٧) .

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٧ / ١١٧ - ١١٨) .

(٤) سورة النور ، الآية : ١١

(٥) السيوطي ، «الإكليل» ، تفسير سورة النور .

فَقَالَ : ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٦) ، كَمَا سَبَّحَ نَفْسَهُ عِنْدَ ذِكْرِ مَا وَصَفَهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ .

وَالسَّابُّ لِلصَّحَابَةِ لَا يَخْلُو مِنْ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ ؛ هِيَ :

١- الْقِسْمُ الْأَوَّلُ : حُكْمٌ مَنْ كَفَرَ الصَّحَابَةَ إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا :

مَنْ سَبَّوْا صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَفَرُوا بِهِمْ وَقَالُوا : ارْتَدُّوا بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مُسْلِمٌ إِلَّا أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ نَفَرٌ ، فَهَؤُلَاءِ كَفَرُوا بِالْإِجْمَاعِ ، وَدَلِيلُ كُفْرِهِمْ هُوَ : مُخَالَفَتُهُمْ لظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَصَرِيحِ آيَاتِهِ ، وَمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ فَقَدْ كَفَرَ بِالْإِجْمَاعِ .

٢- الْقِسْمُ الثَّانِي : حُكْمٌ مَنْ فَسَّقَ الصَّحَابَةَ لِأَجْلِ دِينِهِمْ :

الَّذِينَ يَسُبُّونَ كُلَّ الصَّحَابَةِ وَيُفْسِقُونَهُمْ لِدِينِهِمْ ، وَلِنَصْرَتِهِمْ لَهُ ، فَهَؤُلَاءِ أَيْضًا كُفَّارٌ بِالْإِجْمَاعِ .

٣- الْقِسْمُ الثَّلَاثُ : حُكْمٌ مَنْ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

- فَهَؤُلَاءِ كَفَرَةٌ ؛ لِأَنَّ سَبَّ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَهُمَا أَفْضَلُ الْأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَهَذَا كُفْرٌ لَا شَكَّ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ كَذَلِكَ تَكْذِيبٌ لَصَرِيحِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ ، كَمَا وَضَحْنَا سَابِقًا .

- وَأَمَّا سَبُّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي شَرَفِهَا فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ مُلْحِدٌ زَنَدِيقٌ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ بَرَّاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، وَلَئِنَّهَا فِرَاشُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالْوَقِيعَةُ فِيهَا تَنْقِصُ لَهُ ، وَتَنْقِصُهُ كُفْرٌ ، فَمَنْ رَمَى عَائِشَةَ بِالْإِفْكِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لِأَنَّهُ كَافِرٌ يَسْتَحِقُّ الْخُلُودَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

٤- الْقِسْمُ الرَّابِعُ : حُكْمُ مَنْ سَبَّ أَحَادَ مِنَ الصَّحَابَةِ لَا لِدِينِهِمْ أَوْ شَرَفِهِمْ :

الَّذِي يَسُبُّ أَحَادَ الصَّحَابَةِ لَا لِدِينِهِ أَوْ شَرَفِهِ ، وَإِنَّمَا حِقْدًا عَلَيْهِ ، أَوْ لِتَقْدِيمِ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ ، كَمَنْ يَسُبُّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيَقُولُ : سَرَقَ الْخِلَافَةَ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْسَبَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَهَذَا لَيْسَ بِكَافِرٍ لَكِنَّهُ فَاسِقٌ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ سَيْنَهَارٌ بِهِ إِنْ لَمْ يَتُبْ ؛ بَلْ هُوَ ذَرِيعَةٌ لِلْكَفْرِ ، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِهِ ، نَقُولُ بِحَقِّهِ : فَاسِقٌ مُبْتَدِعٌ زَنَدِيقٌ مَنْ سَبَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

خُلَاصَةُ حُكْمِ السَّبِّ وَالطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

- إِنَّ فِي هَذَا السَّبِّ وَالطَّعْنِ تَكْذِيبٌ لِمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنَ الرِّضَا عَنْهُمْ ،
وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ الْحَاصِلِ مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى
فَضْلِهِمْ هِيَ قَطْعِيَّةُ الثُّبُوتِ : وَمَنْ أَنْكَرَ مَا هُوَ قَطْعِيٌّ الثُّبُوتِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْإِجْمَاعِ .

- إِنَّ فِي هَذَا السَّبِّ وَالطَّعْنِ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِيْذَاءٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِأَنَّهُمْ
أَصْحَابُهُ وَخَاصَّتُهُ ، وَالطَّعْنُ فِيهِمْ يُؤْذِيهِ وَلَا شَكَّ ، وَأَذْيَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كُفْرٌ ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ .

- وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَلِيلٌ أَوْ أَنَّهُمْ فَسَقُوا فَهَذَا لَا
شَكَّ فِي كُفْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَذَّبَ مَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ .

- إِذَا حُكِمَ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ لَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ .

وَهَذَا فَيُضُّ مِنْ غَيْضٍ ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى كُفْرِ سَابِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَكْثَرُ
مِنْ أَنْ تُحْصَرَ .

فَلَا رَحِمَ الرَّحْمَنُ مَنْ لَا يُحِبُّهُمْ وَأَخْزَى مُعَادِيهِمْ بِدُنْيَا وَآخِرَةِ

وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَا أَرَى مَثَلًا لَهُؤُلَاءِ الْمُتَوَرِّينَ الزَّانِدَةَ الَّذِينَ
يَتَظَاوَلُونَ عَلَى الْقِمَمِ السَّمَاءِ إِلَّا كَذُبَابَةٍ حَقِيرَةٍ سَقَطَتْ عَلَى نَخْلَةٍ عِمْلَاقَةٍ ،
فَلَمَّا هَمَّتْ بِالْانْصِرَافِ قَالَتْ فِي اسْتِعْلَاءٍ : أَيَّتُهَا النَّخْلَةُ تَمَاسَكِي ، فَإِنِّي رَاحِلَةٌ
عَنْكَ !!

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْثَ لَيْسَ يُضِيرُهُ إِذَا نَبَحَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ كِلَابٌ

لَا يَضِيرُ السَّمَاءَ الْعُورَاءُ ، وَلَا أَنْ تَمْتَدَّ لَهَا يَدٌ شَلَاءٌ .

وَإِطْفَاءُ نُورِ الشَّمْسِ أَدْنَى لِرَاغِبٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِطْفَاءِ نُورِ الشَّرِيعَةِ ^(١)

(١) ينظر : «قطرات الينابيع» ، للشيخ علي القرني ، القطرة الثامنة ، حروف نجر الحتوف ، ص ٢٢ .

الصَّحَابَةُ جِيلٌ فَرِيدٌ لَا يَتَكَرَّرُ

لقد خَرَّجَتْ تِلْكَ الْعَقِيدَةُ جِيلاً فِي ذَلِكَ الْقَرْنِ فَرِيداً مُتَمِّزاً فِي تَارِيخِ
الإِسْلَامِ ؛ بَلْ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ جَمِيعِهِ ، جِيلاً فَرِيداً فِي تَصَوُّرِهِ وَشُعُورِهِ وَانْتِمَائِهِ
وَوُضُوحِهِ ، جِيلاً اخْتَارَهُ اللَّهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ ، وَلِصُحْبَةِ رَسُولِهِ ﷺ ، جِيلاً
جَاءَهُ الْوَحْيُ عَلَى وَعْيٍ فَتَأَسَّسَ عَلَى تَوْحِيدٍ ، وَأَنْطَلَقَ بِعَقِيدَةٍ ، وَسَارَ عَلَى مَنْهَجٍ
صَحِيحٍ ، حَمَلَ فِكْراً سَامِياً لِمَا غَايَةً أَسْمَى .

زَادَهُ التَّقْوَى ..

وَشِعَارُهُ الْجِهَادُ ..

وَحِصْنُهُ الْإِيمَانُ ..

وَعُدَّتُهُ الصَّبْرُ ..

وَخُلِقَهُ الْقُرْآنُ ..

وَقُدُوتُهُ سَيِّدُ الْأَنْامِ ﷺ ..

أُمْنِيَّتُهُ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ..

وَمَا غَايَتُهُ تِلْكَ مَعَ الْجَنَّةِ وَرِضْوَانِ اللَّهِ ..

وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ لَا النَّقْلُ الصَّحِيحُ الْمُتَوَاتِرُ الْقَطْعِيُّ لَقِيلَ : ذَاكَ طَيْفٌ

خَيَالٍ ؛ بَلْ هُوَ الشَّيْءُ الْمَحَالُ ..

قَدْ تَقُولُونَ : مَجَالُ ذَاكَ ضَرْبٌ مِنْ خَبَالٍ ..

قَدْ تَقُولُونَ وَلَكِنِّي أَقُولُ : إِنَّهَا تَرْبِيَةُ السَّبْعِ الطَّوَالِ لَا مُحَالٍ ..

إِنَّهُ هَدْيُ الْكِتَابِ ، لَا مُحَالٍ ..

فَعَلَى وَقَعِ التَّلَاوَاتِ تَخَضُّرُ التَّلَالِ ، لَا مُحَال ..
 إِنَّهُمْ جَيْلُ الْمَصَاحِفِ ، لَا مُحَال ..
 إِنَّهُمْ جَيْلُ الْمَحَارِبِ وَأَسَادُ النَّبَالِ ، لَا مُحَال ..
 إِنَّهُمْ شُمُ الْجِبَالِ ، لَا مُحَال ..

والسُّؤال : لِمَ لَمْ تَعُدْ الْأُمَّةُ تُخْرِجْ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّرَازِ ؟ ! . أما إِنَّهُ قد يُوجَدُ
 أَفْرَادٌ وَفَتَّةٌ مِنْ ذَلِكَ الطَّرَازِ عَلَى مَدَى التَّارِيخِ ، لَكِنَّهُ لَا يَحْدُثُ أَنْ تَجْمَعَ مِثْلَ ذَلِكَ
 الْعَدَدُ الضَّخْمُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ كَمَا وَقَعَ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ ، هَذِهِ ظَاهِرَةٌ وَاضِحَةٌ ،
 ذَاتُ مَدْلُولٍ تَسْتَحِقُّ أَنْ نَقِفَ أَمَامَهَا طَوِيلًا ، لَعَلَّنَا نَهْتَدِيَ إِلَى السَّرِّ (١) .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَدْحِهِ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

يَا بَاغِيَ الْإِحْسَانِ يَطْلُبُ رَبَّهُ	لِيُفَوِّزَ مِنْهُ بِغَايَةِ الْأَمَالِ
انْظُرْ إِلَى هَدْيِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِي	كَانُوا عَلَيْهِ فِي الزَّمَانِ الْخَالِي
وَاسْلُكْ طَرِيقَ الْقَوْمِ أَيْنَ تَيَمَّمُوا	خُذْ يَمَنَّهُ مَا الدَّرْبُ ذَاتَ الشَّالِ
تَاللَّهِ مَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ سِوَى	سُبُلِ الْهُدَى فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ
دَرَجُوا عَلَى نَهْجِ الرَّسُولِ وَهَدْيِهِ	وَبِهِ اقْتَدُوا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ
مَا شَابَهُمْ فِي دِينِهِمْ نَقْصٌ وَلَا	فِي قَوْلِهِمْ شَطْحُ الْجَهْلُولِ الْغَالِ
عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا وَلَمْ يَتَكَلَّفُوا	فَلِذَاكَ مَا شَابُوا الْهُدَى بِضَلَالِ
وَسِوَاهُمْ بِالضَّدِّ حَتَّى أَنَّهُمْ	رَدُّوا الْهُدَى وَدَعَوْا إِلَى الْإِضْلَالِ

(١) يُنْظَرُ : «مَعَالِمُ فِي الطَّرِيقِ» ، سَيِّدُ قُطْبٍ .

فَهُمُ الْأَدِلَّةُ لِلْحَيَارَى مَنْ يَقْلُ
وَهُمُ النُّجُومُ هِدَايَةً وَإِضَاءَةً
يَمْشُونَ بَيْنَ النَّاسِ هَوْنًا نُطْقُهُمْ
حِلْمًا وَعِلْمًا مَعَ ثِقَى وَتَوَاضَعٍ
يُحْيُونَ لَيْلَهُمْ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ
وَعُيُونُهُمْ تَجْرِي بِفَيْضِ دُمُوعِهِمْ
فِي اللَّيْلِ رُهْبَانٌ وَعِنْدَ جِهَادِهِمْ
بُؤْجُوهُمْ أَثَرُ السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ
وَلَقَدْ أَبَانَ لَكَ الْكِتَابُ صِفَاتَهُمْ
وَبِرَافِعِ السَّبْعِ الطَّوَالِ صِفَاتَهُمْ
وَبِرَاءَةِ وَالْحَشْرِ فِيهِ صِفَاتَهُمْ
بِهْدَاهُمَا لَمْ يَخْشَ مِنْ إِضْلَالٍ
وَعُلُوٍّ مَنَزَلَةٍ وَبُعْدُ مَنَالٍ
بِالْحَقِّ لَا بِجَهَالَةِ الْجُهَّالِ
وَنَصِيحَةٍ لَا بِجَهَالَةِ الْجُهَّالِ
بِتِلَاوَةٍ وَتَضَرُّعٍ وَسُؤَالٍ
مِثْلَ إِنْهَامِ الْوَابِلِ الْهَطَّالِ
لِعَدُوِّهِمْ مِنْ أَشْجَعِ الشُّجْعَانِ
وَبِهَا أَشْعَةُ نُورِهِ الْمُتَلَالِي
فِي سُورَةِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ الْعَالِي
قَوْمٌ يُحِبُّهُمْ ذَوُو آمَالٍ
وَبِهَلْ أَتَى وَبِسُورَةِ الْأَنْفَالِ

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَلَامًا قَيِّمًا ، مُوضِّحًا فَضْلَ الصَّحَابَةِ عَلَيْنَا إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ : «وَكُلُّ خَيْرٍ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالْإِسْلَامُ ، وَالْقُرْآنُ ، وَالْعِلْمُ
وَالْمَعَارِفُ ، وَالْعِبَادَاتُ ، وَدُخُولُ الْجَنَّةِ ، وَالتَّجَاةُ مِنَ النَّارِ ، وَالانْتِصَارُ عَلَى
الْكُفَّارِ ، وَعُلُوُّ كَلِمَةِ اللَّهِ - فَإِنَّهَا هِيَ بَرَكَةٌ مَا فَعَلَهُ الصَّحَابَةُ ، الَّذِينَ بَلَّغُوا الدِّينَ
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَكُلُّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِاللَّهِ فَلِلصَّحَابَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ الْفَضْلُ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (١) .

المبحث الثالث

واجب الأمة نحو الصحابة رضي الله عنهم

أولاً : وجوب محبة الصحابة رضي الله عنهم :

حب الصحابة رضي الله عنهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان ، فحبهم دين تتعبد الله تعالى به . فوجوب حب الصحابة رضي الله عنهم قال فيه عليه السلام : «آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار» ^(١) . فقد ربط عليه السلام الإيمان بحبهم وجعله علامة له .

فأول واجب على الأمة المحمدية هو حب صحابة رسول الله عليه السلام ، وتعميق ذلك وزرعه في قلوبنا ، وفي قلوب الأولاد والأهل والأقرباء والأصدقاء والأحباب ؛ لأن ثمرة هذا الحب هو : أن تكون معهم في الفردوس الأعلى في الجنة - إن شاء الله تعالى - .

قال أنس رضي الله عنه كما في الصحيحين : قال رسول الله عليه السلام : «المرء مع من أحب» ^(٢) .

فمن أحب سكون معه ؛ فإن كنت تحب أهل الكفر والضلال والطاعة والفئانين والفئات - والعياد بالله - فأنت معهم ، وإن كنت تحب صحابة رسول الله عليه السلام تكون معهم في أعلى الجنان ؛ لأنه : «من أحب قوماً حشر معهم» ^(٣) .

(١) «صحيح البخاري» (١٣٧٩/٣) ، (٣٥٧٣) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٥٥٧/١٠) ، (٦٢٦٩) ، «صحيح مسلم» (٢٠٣٤/٤) ، (٢٦٤٠) .

(٣) رواه الحاكم في «المستدرک» جازماً به ، ويشهد له من الصحيحين حديث أنس «المرء مع من أحب» .

وَسُئِلَ الْحَسَنُ : حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ سُنَّةٌ؟ . قَالَ : «لَا فَرِيضَةٌ ، وَكَذَلِكَ فَرِيضَةُ حُبِّ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ» ^(١) .

وَسُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : مَنْ الْجَمَاعَةُ؟ فَقَالَ : «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» .

فَنَحْنُ نَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحُبِّهِمْ وَحُبِّ مَنْ يُحِبُّهُمْ ، وَبُغْضِ وَمُعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُمْ وَأَبْغَضَهُمْ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ عَقِيدَةُ (الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ) : أَصْلُ دِينِ الْإِسْلَامِ ؛ فَعَلَامَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الصَّحَابَةِ ، وَعَلَامَةُ النِّفَاقِ بُغْضُهُمْ ؛ بَلْ مِنْ تَوْقِيرِهِ ﷺ وَبِرِّهِ وَمَحَبَّتِهِ ، تَوْقِيرُ أَصْحَابِهِ وَبِرُّهُمْ وَمَحَبَّتُهُمْ . وَالْإِمَامُ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ يُبَيِّنُ لَنَا كَيْفَ نَحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحَابَتَهُ الْكِرَامَ ، فَيَقُولُ : «كَانَ السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ صِبْيَانَهُمْ حُبَّ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» .

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضاً : «كَانَ السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَمَا يُعَلِّمُونَهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ» ^(٢) .

ثَانِياً : نَشْرُ فُضَائِلَهُمْ وَجِهَادِهِمْ وَالْاِقْتِدَاءَ بِهِمْ ، وَمَذْحُحُهُمْ بِمَا فِيهِمْ :

كَمَا قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَمِنَ السُّنَّةِ تَوَلَّى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَحَبَّتُهُمْ ، وَذِكْرُ مَحَاسِنِهِمْ ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ» ^(٣) .

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ، ٢٣٢٢ .

(٢) اللالكائي ، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ، ص ٢٣٢٥ .

(٣) «لمعة الاعتقاد» ، ص ١٥٠ .

وفي ذلك طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وأبلغ ردّ على أولئك الزنادقة والباطنيين الذين باعوا دينهم ، وهبوا حياتهم للطعن في الصحابة رضي الله عنهم . وقد أثبتنا بدليل القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة كفر كل من يَغْضُهم .

* فالواجب علينا الاقتداء بهم وجعلهم أسوة لنا ؛ فنغرس في أبنائنا أنهم هم القدوة والأسايد والقادة الأفاضل بحق ، وهم الذين كان لهم الريادة المطلقة ، كان الرجل منهم أمة لا بألف ؛ بل والله أمة . كيف استطاعوا مثل سرعة الضوء أن يضيئوا الضمير الإنساني بحقيقة التوحيد ، وينكسوا إلى الأبد وثنية القرون ؟!

* فالواجب علينا نشر فضائل أعظم جيل عرفته البشرية إلى قيام الساعة ، نحكي لأولادنا بطولاتهم الفذة ، وشجاعتهم النادرة ، نحكي لهم عن العشرة المبشرين بالجنة وشجاعتهم وصدقهم وجهادهم ، ونحفظهم من هم شهداء الصحابة الذين دافعوا عن الإسلام ونبي الإسلام بدمايهم الزكية الطاهرة ، ومن هم شهداء بدر وأحد وبئر معونة ، وشهداء قادة معركة مؤتة وشهداء يوم اليمامة والقادسية واليرموك ، و

* ونحكي لهم عن أولئك الذين ائتمنهم النبي ﷺ على قيادة جيوش المسلمين في السرايا ، ومن هم قادة الفُتُوح الإسلامية لبلاد العراق وفارس والشام والجزيرة ومصر ، أولئك الشجعان الأفاضل الذين تربوا على عين رسول الله ﷺ ؛ ليخرجوا إلى الدنيا منارات شاهقة في البطولة والبذل والفداء ، والفروسيّة ونكران الذات ، متحلين بالعقيدة الصافية ؛ عقيدة الصحابة رضي الله عنهم .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَمِنَ السُّنَّةِ ذِكْرُ مُحَاسِنِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ» .

نُعَلِّمُ أَوْلَادَنَا وَنُرِيِّيهِمْ عَلَى سِيرَةِ وَحْبِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَحَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَطَلْحَةَ ، وَالزُّبَيْرِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، وَالْقَعْقَاعِ ، وَالْمُسْتَنَى بْنِ حَارِثَةَ ، وَنُعْمَانَ بْنِ مُقَرَّنٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ ، وَسَالِمُ بْنُ عُمَيْرِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسِ الْجُهَنِيِّ ، وَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضُّمَرِيِّ .

هَؤُلَاءِ غِيْضٌ مِنْ فَيْضٍ مِنَ الصَّحَابَةِ . وَغَيْرُهُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ ذَكَرْنَاهُ ، لَا تَسْعُهُمُ الْمَجْلَدَاتُ ، أُولَئِكَ رُهْبَانُ اللَّيْلِ وَفُرْسَانُ النَّهَارِ ، مَلَأُوا الْمَحَارِبَ طَاعَةً وَسُجُودًا ، وَالْمَيَادِينَ بِطَوْلَةٍ تَأْخُذُ الْأَلْبَابَ ، أُولَئِكَ الْقُدُورَةُ وَالْأَسُوءَةُ الَّذِينَ نَفَتَخِرُ بِهِمْ بَأَنَّهُمْ أَجْدَادُنَا حَقًّا .

فَوَاجِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ تُحَدِّثَ أَبْنَاءَهَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَخْيَارِ الْأَبْطَالِ ، الشُّجْعَانِ الْأَفْذَادِ ، وَأَنْ تُبَيِّنَ سِيرَتَهُمْ ، وَأَنْ تَمْدَحَهُمْ وَتَجْعَلَهُمْ قُدُورَةً تُتَّخَذُ فِي حَيَاتِنَا . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ حَشَرْنَا مَعَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَنَحْنُ فِي هَذَا الْبَحْثِ الْمُتَوَاضِعِ ذَكَرْنَا نَمَازِجَ يَسِيرَةٍ مِنْ شَجَاعَةِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ شُجْعَانٌ أَفْذَادٌ ، لِأَنَّا نُدْرِكُ يَقِينًا أَنَّ مَا

يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَهُمْ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الدِّينِ ، وَجُزْءٌ مِنَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَجُزْءٌ مِنَ الْإِيْمَانِ الَّذِي تَعَبَّدْنَا لِلَّهِ تَعَالَى بِهِ .

إِنَّ الْعِنَايَةَ بِدِرَاسَةِ وَقِرَاءَةِ سِيرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَنَشْرِ مَنَاقِبِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ وَجِهَادِهِمْ فِيهِ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ ؛ مِنْهَا :

١ - فِي دِرَاسَةِ وَقِرَاءَةِ سِيرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نَزْدَادُ حُبًّا لَهُمْ ، وَثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْضِيًّا عَلَيْهِمْ ، وَاسْتِغْفَارًا لَهُمْ ، وَذِكْرًا لَهُمْ بِالْخَيْرِ .

٢ - عِنْدَ دِرَاسَةِ وَقِرَاءَةِ سِيرِهِمُ الْعَطْرَةُ نَحْرِصُ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ ، وَاتِّخَاذِهِمْ أُسْوَةً لَنَا ، وَنَتَشَبَّهُ بِهِمْ ، فَكُلَّمَا كُنَّا بِالصَّحَابَةِ أَشْبَهُ كُنَّا إِلَى الْخَيْرِ أَقْرَبَ ، وَكُلَّمَا أَزْدَدْنَا تَشَبُّهًا بِالصَّحَابَةِ عَقِيدَةً وَسُلُوكًا وَمَنْهَجًا كُنَّا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ ، وَكُنَّا مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ : « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » ^(١) .

٣ - فِي دِرَاسَةِ وَقِرَاءَةِ سِيرِهِمْ نَكُونُ بَعِيدِينَ أَشَدَّ الْبُعْدِ مِنَ النَّيْلِ مِنْهُمْ أَوْ الْوَقِيعَةِ فِيهِمْ ؛ بَلْ نَأْخُذُ عَلَى يَدٍ مَنْ يُحَاوِلُ الْاِنتِقَاصَ مِنْهُمْ وَنُخْرِسُ لِسَانَهُ . وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ الثَّلَاثُ الَّذِي سَنَذْكُرُهُ فِي وَاجِبِ الْأُمَّةِ نَحْوِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

٤ - فِي دِرَاسَةِ سِيرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نُحَصِّنُ أَوْلَادَنَا وَطُلَّابَنَا مِنَ الْاِقْتِدَاءِ وَالتَّشَبُّهِ بِأَوْلَئِكَ الْمُنْحَرِفِينَ .

(١) «سنن الترمذي» (٢٦/٥)، (٢٦٤١)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِي .

ثالثاً : الذَّبُّ عَنْهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ :

الذَّبُّ عَنِ الصَّحَابَةِ وَنُصْرَتُهُمْ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ؛ فَاَلْمُسْلِمُ الَّذِي رَضِيَ بِاللَّهِ تَعَالَى رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، وَهُوَ يَسْمَعُ مَنْ يَنْتَقِصُ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقِفَ هَكَذَا بَارِدَ الْقَلْبِ ، سَاكِتَ اللِّسَانِ ؛ فَهَذَا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - نِفَاقٌ مَا بَعْدَهُ نِفَاقٌ . فَأَيُّ دِينٍ وَأَيُّ إِسْلَامٍ هَذَا ، وَهُوَ يَسْمَعُ الطَّعْنَ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَهُوَ لَا يُنْكِرُ؟! إِنَّ الطَّعْنَ بِالصَّحَابَةِ - كَمَا بَيَّنَّا - إِنَّهَا هِيَ طَعْنٌ فِي الدِّينِ الَّذِي نَقُلُوهُ ، وَبِالنَّبِيِّ ﷺ ؛ بَلْ وَطَعْنٌ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا . بَلْ نَقُولُ : «اللَّهُمَّ الْعَنِ مَنْ لَعَنَهُمْ ، وَانْتَقِمْ مِنْهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ» .

فَعَلَى أَكْتَافِ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ ﷺ وَصَلَّتْنَا الشَّرِيعَةُ غُرَاءَ صَافِيَةٍ لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ . أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ الْقُرْآنَ غَضًّا طَرِيًّا فَلْيَأْخُذْهُ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ؟!»^(١) إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . إِذَنْ مَنْ الَّذِي أَوْصَلَ إِلَيْنَا الْقُرْآنَ غَضًّا طَرِيًّا؟ مَنْ هُمُ الَّذِينَ حَفِظُوا الدِّينَ وَحَفِظُوا أَحَادِيثَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ وَبَلَّغُواهَا لِلأُمَّةِ صَافِيَةً نَقِيَّةً تَامَّةً كَامِلَةً ، بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَثِقَةٍ ، وَبِكُلِّ دِقَّةٍ وَعِنَايَةٍ؟! هَكَذَا كَانَ شَأْنُهُمْ ﷺ .

(١) «مسند الإمام أحمد» : (٤/ ٥٧٦ ، ٥٧٧) ، و «سنن ابن ماجه» ، و «مستدرک الحاکم» .

هَلْ يُوجَدُ حَدِيثٌ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ سِوَاءِ الْقَوْلِيَّةِ أَوْ الْفِعْلِيَّةِ وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الصَّحَابَةِ؟ . إِذَا فَتَحْتَ كُتُبَ السُّنَّةِ (صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ) أَوْ (صَحِيحَ مُسْلِمٍ) أَوْ (السُّنَنِ) أَوْ (المَسَانِيدِ) أَوْ (المَجَامِيعِ) أَوْ (الأجزاء الحديثية) تَجِدُ الْإِسْنَادَ يَبْدَأُ مِنَ الْمُؤَلِّفِ : حَدَّثَنَا فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّحَابِيِّ ثُمَّ الصَّحَابِيُّ يَرْوِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَمِيعُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي صَحَّحَتْ وَثَبَّتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ .

مَا أَعْلَى قَدْرَهُمْ ! وَمَا أَجَلُ مَكَانَتِهِمْ ! وَمَا أَرْفَعَ شَأْنُهُمْ ! وَمَا أَعْظَمَ وَاجِبَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَهُمْ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ !!

فَوَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَذُبَ عَنْهُمْ وَأَنْ نَنْصَرَهُمْ ، وَإِذَا سَمِعْنَا مَنْ يَقْدَحُ فِي عِرْضِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عِرْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، نَقْطَعُ لِسَانَهُ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ كَفَرَ بِرَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا ، الَّذِي بَرَّأَهَا فِي كِتَابِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَآوَاتٍ . وَمَنْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ فَهُوَ كَافِرٌ زَنْدِيقٌ .

وَعَلَيْنَا أَنْ نَغَارَ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَلَا نَقْبَلُ وَلَا نَدْعُ مَنْ يُرِيدُ الطَّعْنَ فِيهِمْ غَمَزاً وَلَمْزاً ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ حَقِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَيْنَا ، وَهُوَ مَنْ أَوْجَبَ وَاجِبَاتِنَا نَحْوَهُمْ فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ وَالتُّصَرَّةَ لَهُمْ ، وَمُعَاقِبَةُ مَنْ يَطْعَنُ فِيهِمْ .

رابعاً: **وُجُوبُ الْكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ** رضي الله عنهم:

منهَجُ السَّلَفِ فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ الْكَفُّ عَنِ الْخَوْضِ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم؛ كَمَوْقِعَةِ الْجَمَلِ، وَصِفِّينَ، وَمَقْتَلِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، وَغَيْرِهَا مِنْ الْفِتَنِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم؛ فَلَا نَخُوضُ فِيهَا. وَقَدْ لَخَّصَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمہ اللہ بِقَوْلِهِ: «أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى وُجُوبِ الْكَفِّ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْفِتَنِ الَّتِي حَدَّثَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم». وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - عِنْدَمَا سَأَلُوهُ: مَاذَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الْفِتَنِ؟ فَقَالَ: مَا أَقُولُ إِلَّا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(١).

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمہ اللہ: «حُرُوبُ رَحِمَ اللَّهُ أَجْسَادَنَا مِنْهَا، فَتَبَرَّئُ أَلْسِنَتَنَا وَأَقْلَامَنَا مِنَ الْخَوْضِ فِيهَا».

فَيَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ الْكَفُّ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْفِتَنِ الَّتِي حَدَّثَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَاعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ الصَّحَابَةِ عُدُوٌّ، وَأَنَّهُمْ اجْتَهَدُوا، فَمَنْ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ. يَعْنِي: لَيْسَ فِيهِمْ مَأْزُورٌ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا تَأْصِيلُ شَرْعِيٍّ، وَهُوَ أَصْلُ عِنْدَ السَّلَفِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

وَمَا أَرَوَعَ مَا أَصْلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؛ فَقَالَ: «تِلْكَ فِتْنَةٌ طَهَّرَ اللَّهُ مِنْهَا سُيُوفَنَا، فَلْنُطَهِّرْ مِنْهَا أَلْسِنَتَنَا» ^(٢). وَفِي

(١) «السُّنَّةُ»، لِلْخَلَالِ، (٢/ ٤٨١)، وَالْآيَةُ رَقْمٌ: ١٣٤، مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

(٢) «حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ»، (٩/ ١١٤).

لفظ آخر : «تِلْكَ دِمَاءُ طَهَّرَ اللَّهُ يَدَيَّ مِنْهَا ، فَمَا لِي أَخْضِبُ لِسَانِي فِيهَا» ^(١) .
هَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ السَّلِيمُ لِمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

خَامِساً : سَلَامَةُ قُلُوبِنَا وَالسِّتِنَا تَجَاهَ الصَّحَابَةِ عليهم السلام :

سَلَامَةُ قُلُوبِنَا : أَنْ تَكُونَ قُلُوبُنَا سَلِيمَةً تَجَاهَهُمْ ، لَا غِلَّ ، وَلَا حِقْدَ ، وَلَا
ضَغِينَةَ ، وَلَا بَغْضَاءَ ، وَلَا عَدَاوَةَ ، وَإِنَّهَا فِيهَا الْمَحَبَّةُ وَالْإِحْسَانُ ، وَالرَّفْقُ وَالْمَوَدَّةُ ؛
كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ^(٢) أَي : اجْعَلْ قُلُوبَنَا
سَلِيمَةً تَجَاهَ مَنْ سَبَقْنَا بِالْإِيمَانِ ، وَهُمْ إِخْوَانُنَا ؛ بَلْ هُمْ خَيْرُ إِخْوَانِنَا رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ . قَالَ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ
لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ^(٣) . فَهُمْ إِخْوَانُنَا ، وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ
مُيزُوا بِمِيزَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَشَرَّفُوا بِتَشْرِيفٍ كَبِيرٍ : ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ،
وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى قَالَ : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ ^(٤) ، هَذَا
خَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ . وَلَكِي تَعْرِفَ قَدْرَهُمْ اسْتَحْضِرْ سَابِقَتَهُمُ الَّتِي مَدَحَهُمُ
اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهَا : ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ^(٥) .

سَلَامَةُ اللِّسَانِ : لَا سَبَّ وَلَا طَعْنَ ، وَلَا لَعْنَ وَلَا فُحْشَ ، وَلَا غَمَزَ وَلَا

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الحشر ، الآية : ١٠

(٣) سورة الحشر ، الآية : ١٠

(٤) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠

(٥) سورة الحشر ، الآية : ١٠

لَمْزَ، وَإِنَّمَا الدُّعَاءُ كَمَا أَمَرَنَا تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (١).

وَقَالَ الْإِمَامُ الْحَمِيدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ مِنَ السُّنَّةِ التَّرَحُّمُ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلِّهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾» (٢).

وَيَتَلَخَّصُ مِنْهُجُ أَهْلِ الْإِيمَانِ تَجَاهَ الصَّحَابَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي أَمْرَيْنِ:
الْأُولَى: سَلَامَةُ الْقَلْبِ.
الثَّانِيَّة: سَلَامَةُ اللِّسَانِ.

قَلْبٌ نَظِيفٌ، وَلِسَانٌ نَقِيٌّ تَجَاهَ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، كَمَا وَجَّهَنَا تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٣). وَقَدْ جَمَعَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ سَلَامَةَ اللِّسَانِ وَسَلَامَةَ الْقَلْبِ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي الْوَاسِطِيَّةِ (٤): «وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠

(٢) «أصول السُّنَّة» ذيل مسند الحميدي، (٢/١٧٦).

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠

(٤) «شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية»، محمد خليل هراس، (ص ١١٦-١١٨).

سَلَامَةٌ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ ^(١) .

سَادِسًا : مِنْ وَاجِبِ الْأُمَّةِ نَحْوِ الصَّحَابَةِ مَعْرِفَةُ التَّفَاضُلِ بَيْنَهُمْ :

فَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم بَيْنَهُمْ تَفَاضُلٌ ؛ كَمَا أَخْبَرَنَا تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢﴾﴾ ، فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِلصَّحَابَةِ مَرَاتِبٌ ، وَأَنَّ الْفَضْلَ لِلسَّابِقِ . فَتَنْزِلُ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ ، وَنَرَى أَنَّ أَفْضَلِيَّةَ الْعَمَلِ عَلَى قَدَرِ رُجُوعِ مَنْفَعَتِهِ لِلإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

فَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ : الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ رضي الله عنهم .

وَأَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ : الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا رضي الله عنهم .

وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ : الْعَشْرَةُ الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ رضي الله عنهم .

وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةِ : الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ رضي الله عنهم .

وَأَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما .

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، صِدِّيقُ الْأُمَّةِ رضي الله عنه ، الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ ، وَالْخَلِيفَةُ الْأَعْظَمُ .

وَفِي الْفَصْلِ الْقَادِمِ تَفْصِيلٌ لَذَلِكَ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) سورة الحشر ، الآية : ١٠

(٢) سورة الحديد ، الآية : ١٠

سَابِعاً : مِنْ الْوَاجِبِ تَجَاهِ الصَّحَابَةِ الشَّهَادَةُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ :

الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ ^(١) ، وَالْحُسْنَىٰ : هِيَ الْجَنَّةُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ^(٢) . وَفَسَّرَ السَّلَفُ الْحُسْنَىٰ بِالْجَنَّةِ .

ثَامِناً : وَمِنْ أَوْجِبِ وَاجِبَاتِنَا نَحْوِ الصَّحَابَةِ إِثْبَاتُ عَدَالَتِهِمْ :

فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ ، عَدَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، وَزَكَاهُمْ نَبِيُّهُ صلی الله علیه وسلم فِي سُنَّتِهِ ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ عَدَالَتِهِمْ . فَاللَّهُ تَعَالَى زَكَّىٰ ظَاهِرَهُمْ وَبَاطِنَهُمْ ، وَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ تَعْدِيلِ اللَّهِ لَهُ إِلَىٰ تَعْدِيلِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ . وَقَدْ بَيَّنَّا عَدَالَتَهُمْ مُفَصَّلَةً فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ .

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٠

(٢) سورة يونس ، الآية : ٢٦

الفصل الثاني

حُبُّ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَاتِّبَاعُهُمْ الشَّدِيدُ لَهُ

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ : صور من اتباع الصحابة للنبي ﷺ

الْمَبْحَثُ الثَّانِي : صور رائعة لأحاد الصحابة ﷺ في اتباعهم

لقائدهم وأسوتهم ﷺ

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ : حب الصحابة للنبي ﷺ

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ : شجاعة النبي ﷺ وشجاعة صحابته ﷺ

تمهيد

كَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم صَادِقِينَ فِي حُبِّهِمْ لِلْحَبِيبِ وَالْقَائِدِ الْمُعَلِّمِ الْمُصْطَفَى صلی اللہ علیہ وسلم ،
فَكَانَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ صلی اللہ علیہ وسلم وَمُرَافَقَتُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا ،
وَكَانُوا يَرَوْنَ السَّعَادَةَ فِي فِدَاءِ نَفْسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ دُونَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صلی اللہ علیہ وسلم ، وَكَانَ
الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ مُبَادِرَةً إِلَى تَنْفِيزِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، كَانُوا يُتَبِعُونَ
الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ ، وَيُفَسِّرُونَ الْأَقْوَالَ بِالْأَعْمَالِ ، كَانُوا يُسَارِعُونَ إِلَى امْتِثَالِ أَوْامِرِهِ
وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، إِنَّهُمْ جَعَلُوا أَنْفُسَهُمُ الْعَالِيَةَ رَخِيسَةً ؛ نُصْرَةً لِسُنَّتِهِ وَذَبًّا عَنِ
الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ .

لَقَدْ ضَرَبَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ وَحُبِّهِمُ لِلنَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم ، كَمَا
فِي حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ ، حِينَ فَاوَضَ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم فِي صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ،
فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ قَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ الْعَجَبَ ، فَوَاللَّهِ
مَا تَنْخَمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا
أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ
خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحَدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ ، أَيُّ قَوْمٍ ، وَاللَّهِ
لَقَدْ وَفِدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَفِدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللَّهِ مَا
رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظَّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظَّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا » ^(١) .

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٣١) .

والتَّعْظِيمُ : أَعْلَى مَنْزِلَةٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ ، لِأَنَّ الْمَحْبُوبَ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مُعْظِماً ، كَالْوَالِدِ يُحِبُّ وَلَدَهُ ، فَحُبُّهُ يَدْعُوهُ إِلَى تَكْرِيمِهِ دُونَ تَعْظِيمِهِ ، بِخِلَافِ مَحَبَّةِ الْوَلَدِ لِأَبِيهِ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى تَعْظِيمِهِ .

وما أروع ما وصف به الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه حُبَّهُ الصَّادِقَ لِلنَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم حِينَ يَقُولُ : «وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنَيَّ مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالاً لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا طَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» ^(١) .

لذَلِكَ ثَبَتَ لِلصَّحَابَةِ رضي الله عنهم الْبَشَارَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ^(٢) ، وَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَفْضَلَ مِنَ الثَّانِيَةِ ؛ بَلْ الشَّرْفُ لَهُمْ أَنْ يَرْضَوْا عَنِ اللَّهِ ، لَيْسَ الشَّرْفُ أَنْ يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ فَحَسَبَ ؛ إِذْ لَوْ سَخِطَ الْخَلْقُ جَمِيعاً عَلَى اللَّهِ لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ ، لَكِنْ الشَّرْفُ لَهُمْ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ لَهُمْ : ﴿أَنْتُمْ رَضِيتُمْ عَنِّي﴾ ، فَهَذَا هُوَ الشَّرْفُ الَّذِي تَشَرَّفَ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم . وَمَا نَالُوا هَذَا الشَّرْفَ ، وَلَا حَازُوا هَذَا السَّبْقَ إِلَّا بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى تَنْفِيزِ أَمْرِهِ وَمُتَابَعَتِهِ صلی اللہ علیہ وسلم .

وَكَانُوا يَفْتَدُونَهُ بِكُلِّ غَالٍ وَنَفِيسٍ ؛ حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم لَمَّا قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلُولٍ : «لَقَدْ غَبَرَّ عَلَيْنَا بْنُ أَبِي كَبْشَةَ» - يَقْصِدُ الرَّسُولَ صلی اللہ علیہ وسلم - ، فَسَمِعَ

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٣٩) .

(٢) سورة البينة ، الآية : ٨

هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلُولِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : « وَالَّذِي أَكْرَمَكَ ، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِنُنْ أَمْرَتَنِي لَا تَيْسَنَّكَ بَعُثُهُ » ^(١) .

فِي مَوْقِفِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ صَاحِبِ الْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ ، وَصَاحِبِ (الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ) اتَّضَحَ أَنَّ وِلَاءَ الصَّحَابَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ الْوَلَاءِ لِلْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ . فَقَدْ أَعْلَنَ الْوَلَاءَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْبَرَاءَ مِنْ أَبِيهِ الْمُنَافِقِ ، الَّذِي هَمَّ بِقَتْلِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَقِيدَةَ فَوْقَ الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ . هَذِهِ هِيَ التَّرْبِيَةُ النَّبَوِيَّةُ فِي الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ .

وَقَدْ هَمَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَتْلِ وَلَدِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقَتْلَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرِ أَخَاهُ عُبَيْدَ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَقَتْلَ عُمَرَ وَحَمْزَةَ وَعَلِيٍّ وَعُيَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَقْرِبَاءَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ ؛ مُتَجَرِّدِينَ مِنْ عِلَاقِ الدَّمِ وَالْقَرَابَةِ إِلَى آصِرَةِ الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ .

كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُدْرِكُونَ تَمَامَ الْإِدْرَاكِ أَنَّ مِنْ الْأُمُورِ الْأَسَاسِ فِي الْحُبِّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُحِبُّ تَابِعًا لِأَمْرِ الْحَبِيبِ . وَلَا يَخْتَلِفُ اِثْنَانِ فِي أَنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ ، إِنَّهُ يَسْعَى إِلَى فِعْلِ مَا يُحِبُّهُ حَبِيبُهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَبْغُضُهُ ، وَيَجِدُ فِي ذَلِكَ حِلَاوَةً وَلَذَّةً لَا تُوصَفَانِ . وَكَذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ الْحَبِيبَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ، الْقَائِدَ وَالْقُدْوَةَ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ - يَحْرِصُ أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى اتِّبَاعِهِ ، وَيُسَارِعُ إِلَى تَنْفِيزِ أَوْامِرِهِ ، وَيُبَادِرُ إِلَى اجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

(١) «صحيح ابن حبان» (٤٢٨) ، «مجمع الزوائد» (١/١١٤) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٧٧/٧) .

وليس في الأمة كالصَّحَابَةِ رضي الله عنهم في الإصَابَةِ لِلْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ ، والهدى المتَّبوع ؛
فَهُمْ أَحَقُّ الْأُمَّةِ فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ ، وأَجْدَرُ الْخَلْقِ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ .
وَيَشْهَدُ لِهَذَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : « مَنْ كَانَ مُتَأَسِّيًا
فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله ؛ فَإِنَّهُمْ أَبْرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقُهَا
عِلْمًا ، وَأَقْلَلَهَا تَكَلُّفًا ، وَأَقْوَمُ لَهُمْ هَدْيًا ، وَأَحْسَنُهُمْ حَالًا . قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ
لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ ؛ فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ ، وَاتَّبِعُوا آثَارَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا
عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ » ^(١) .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله مُوضِّحًا أَهَمِّيَّةَ الْإِتِّبَاعِ وَعِلَاقَتَهُ
بِالتَّوْحِيدِ ، فيقول : « كُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَتْبَعَ لِمُحَمَّدٍ صلی الله علیه و آله ، كَانَ أَعْظَمَ
تَوْحِيدًا لِلَّهِ وَإِخْلَاصًا لَهُ فِي الدِّينِ ، وَإِذَا بَعُدَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ نَقَصَ مِنْ دِينِهِ
حَسَبَ ذَلِكَ » ^(٢) .

فَإِذَا كَانَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ - مُقَيَّدَةً بِاتِّبَاعِ
النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله ، فَمِنْ الْأَوَّلَى أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةُ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله مُقَيَّدَةً بِذَلِكَ ،
وَالنَّبِيُّ صلی الله علیه و آله قَيِّدَهَا بِذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ إِذَا لَمْ تُثْمَرْ النَّجَاةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كَانَتْ دَعْوَى كَاذِبَةٍ ، وَأَهْلُهَا أَدْعِيَاءٌ ؛ كَمَا قِيلَ :

وَالدَّعَاوَى مَا لَمْ يُقَيَّمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَصْحَابُهَا أَدْعِيَاءُ

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٤٧) ، «الحجة في بيان المحجة» (٢/٥١٩) .

(٢) «مجموع الفتاوى» ، (١٧/٤٥) .

فالحُبُّ الصَّحِيحُ مُقَيَّدٌ بِالِاتِّبَاعِ ، كما قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ :
«فَكُلُّ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَلَمْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﷺ فَقَدْ كَذَبَ» (١) .

فَالْعِبْرَةُ بِالِاتِّبَاعِ وَلَيْسَ بِالِدَّعْوَى ، وَكُلَّمَا قَوِيَ الْإِتِّبَاعُ صَحَّتِ الْمَحَبَّةُ .
وَإِتِّبَاعُهُ ﷺ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى حُبِّهِ تَعَالَى ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٢)

كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا أُرْسِلَ بِشَيْراً وَنَذِيراً ،
فَكَانُوا فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ يَمْتَثِلُونَ أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ وَيَقْتَدُونَ بِهِ ، وَيَتَّبِعُونَهُ فِي جَمِيعِ
أَقْوَالِهِ ؛ فَهُوَ حُجَّةٌ يَلْزَمُ اتِّبَاعُهَا . وَكَانَ ﷺ يُحِثُّ أُمَّتَهُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ ،
وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ مُخَالَفَتِهَا .

فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى اتِّبَاعِهِ ﷺ . وَفِي مَا يَلِي
شَيْءٌ مِنْ صُورِ عِنَايَتِهِمْ بِاتِّبَاعِهِ ﷺ :

(١) «مجموع الفتاوى» ، (٨ / ٣٦٠) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٣١ .

المبحث الأول

صُورٌ من اتِّباعِ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

أَوَّلًا : مُسَارَعَةُ الصَّحَابَةِ ﷺ إِلَى تَوَلِيَةِ وُجُوهِهِمْ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَهُمْ رُكُوعٌ

ذَكَرَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ ^(١) ، فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ ، وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَنَّهُ قَدْ وُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ . فَاَنْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ » ^(٢) .

لَقَدْ كَانَ اتِّبَاعُ الْجِيلِ الْأَوَّلِ لِكَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَفْعَالِهِ غَايَةً فِي الرُّوعَةِ ، مَا أَسْرَعَهُمْ تَأْسِيًا بِالرَّسُولِ الْقَائِدِ الْحَبِيبِ الْكَرِيمِ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ! سَمِعَ الصَّحَابَةُ الْخَبَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ رُكُوعٌ فَلَمْ يَنْتَظِرُوا رَفْعَ رُؤُوسِهِمْ مِنَ الرُّكُوعِ فَبَادَرُوا بِالتَّوَجُّهِ إِلَى حَيْثُ تَوَجَّهَ قَائِدُهُمْ وَرُسُلُهُمْ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ وَهُمْ رُكُوعٌ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤ .

(٢) «صحيح البخاري» (٦/٦٨٢٥) .

ثانياً : مُبَادَرَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى تَنْفِيذِ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَانْضِمَامِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ عِنْدَ النَّزُولِ فِي سَفَرٍ

لَمْ يَكُنْ اتِّبَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّسُولَ الْقَائِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ وَفَهْمِ الدِّينِ فَحَسَبَ ؛ بَلْ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الْحَيَاةِ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ . تِلْكَ هِيَ الْمُتَابَعَةُ الْمَمْرُوجَةُ بِالْحُبِّ الصَّادِقِ .

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ» ، فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدُ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ : لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ» ^(١) .

هَؤُلَاءِ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي حُبِّهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثالثاً : مُبَادَرَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى تَنْفِيذِ خَلْعِ نِعَالِهِمْ فِي الصَّلَاةِ حِينَمَا رَأَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلَعُ نَعْلَيْهِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ قَالَ : «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَائِكُمْ نِعَالَكُمْ؟» ، قَالُوا : رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي

(١) «سنن أبي داود» (٢/ ٢٢٨٨) ، (٤٩٨) .

فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهَا قَدْرًا ، وَقَالَ : «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ ؛ فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَدْرًا أَوْ أَذَى فَلْيَمْسَحْهُ ، وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا» ^(١) .

هَذِهِ هِيَ الْمُتَابَعَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ الَّتِي لَا يَرَقَى إِلَيْهَا إِلَّا أَصْحَابُهُ ﷺ .

وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ ﷺ فِي الْحِرْصِ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالتَّأْسِي بِالنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ يَقْفُوا عِنْدَ امْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، بَلْ كَانُوا يُتَابِعُونَ أَفْعَالَهُ ، وَيُلَاحِظُونَ تَصَرُّفَاتِهِ بِحُبٍّ وَشَوْقٍ ؛ حِرْصًا عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِ . فَإِذَا وَجَدُوهُ ﷺ فَعَلَ شَيْئًا سَارِعُوا إِلَى فِعْلِهِ ، وَإِذَا رَأَوْهُ ابْتَعَدَ أَوْ تَرَكَ شَيْئًا كَانُوا أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ . هَؤُلَاءِ هُمْ أَحَقُّ الْأُمَّةِ إِصَابَةً لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ . رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

رَابِعًا : مُرَاعَاةُ الصَّحَابَةِ ﷺ عَهْدَهُمْ مَعَ الْعَدُوِّ تَنْفِيذًا لِلأَمْرِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ

وَعَنْ مُرَاعَاةِ الصَّحَابَةِ ﷺ عَهْدَهُمْ مَعَ الْعَدُوِّ تَنْفِيذًا وَتَطْبِيقًا فِعْلِيًّا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ : جَاءَ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : «كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ ، وَكَانَ يَسِيرُ نَحْوَ بِلَادِهِمْ ، حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْعَهْدُ غَزَاهُمْ . فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَوْ بَرْدُونٍ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَفَاءٌ لَا غَدْرُ ! فَتَنَظَرُوا فَإِذَا عَمْرُ بْنُ عَبْسَةَ ﷺ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ ﷺ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يُحْلِلُهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ أَمْدُهَا أَوْ يُنْبَذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» ، فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ ﷺ» ^(٢) .

(١) «صحيح سنن أبي داود» (١/١٢٨) ، (٦٠٥) .

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (٢/٥٢٨) ، (٢٣٩٧) .

خَامِسًا : إلتصاق نساء الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم بِالْجِدَارِ تَنْفِيزًا لِأَمْرِهِ صلوات الله عليه بِالْمَشْيِ فِي حَافَاتِ الطَّرِيقِ

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وَهُوَ خَارِجٌ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَاخْتَلَطَ رِجَالُ مَعَ النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : «اسْتَأْخِرْنَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْفُقْنَ الطَّرِيقَ ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ» . فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنْ ثَوْبَهَا يَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ ^(١) .

هَذَا تَوْجِيهُ نَبَوِيٍّ عَظِيمٍ مِنَ النَّبِيِّ الْحَكِيمِ صلوات الله عليه لِلْمُسْلِمَاتِ جَمِيعًا ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُبَيِّنُ لَنَا سُرْعَةَ اسْتِجَابَةِ الصَّحَابِيَّاتِ لِأَمْرِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه . وَهَذِهِ الْمُسَارَعَةُ فِي تَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ صلوات الله عليه هِيَ الَّتِي يَفْتَقِدُهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ فِي يَوْمِنَا هَذَا!!

وَهُنَالِكَ أَمْثَلَةٌ كَثِيرَةٌ وَرَائِعَةٌ تُوضِّحُ لَنَا سُرْعَةَ الصَّحَابَةِ وَمُبَادَرَتِهِمْ إِلَى مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه ، نَذْكُرُ مِنْهَا بِإِخْتِصَارٍ :

اِمْتِنَاعُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم اسْتِخْدَامَ الْحَرِيرِ ؛ تَمْشِكًا بِأَمْرِ الرَّسُولِ صلوات الله عليه ^(٢) .

وَمِنْهَا : إِكْفَاءُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم الْقُدُورَ وَهِيَ تَقُورُ بِاللَّحْمِ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِمْ بِتَحْرِيمِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ ^(٣) .

وَمِنْهَا : جَزْيُ الْخَمْرِ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ عِنْدَ إِعْلَانِ تَحْرِيمِهَا ^(٤) .

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٩٨٩/٣) ، (٤٣٩٢) .

(٢) «تاريخ الطبري» (٤٠٣/٣) ، «البداية والنهاية» (١٠٠٩/٧) .

(٣) «صحيح البخاري» (٤٦٧/٧) ، (٤١٩٩) .

(٤) «صحيح البخاري» (١١٢/٥) ، (٢٤٦٤) .

المبحث الثاني

صُورُ رَائِعَةٍ لَّاحَادٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي اتِّبَاعِهِمْ لِقَائِدِهِمْ وَأُسُوتِهِمْ ﷺ

* هَذَا الصِّدِّيقُ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : «لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ ، إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» ^(١) .

* وَهَذَا فَارُوقُ الْأُمَّةِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَظُلُّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الزُّهْدِ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ ، فَتَقُولُ لَهُ ابْنَتُهُ حَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ اكَتَسَيْتَ ثَوْبًا هُوَ أَلَيْنُ مِنْ ثَوْبِكَ ، وَأَكَلْتَ طَعَامًا هُوَ أَطْيَبُ مِنْ طَعَامِكَ ؛ فَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَأُخَاصِمُكَ إِلَى نَفْسِكَ ، أَمَا تَذْكُرِينَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْعَيْشِ ، وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَمَا زَالَ يُذَكِّرُهَا حَتَّى أَبْكَاهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَمَا وَاللَّهِ لَأُشَارِكَنَّهَا فِي مِثْلِ عَيْشِهَا الشَّدِيدِ ، لَعَلِّي أُدْرِكُ عَيْشَهُمَا الرَّخِيَّ ^(٢) .

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٩٨٩/٣) رقم الحديث (٤٣٩٢) .

(٢) «تاريخ دمشق» ، لابن عساكر ، حديث رقم (٤٧٠٥٧) ، وذكره أحمد في «الزهد» (ص ١٥٥) .

* وَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَضْرِبُ لَنَا مَثَلًا رَائِعًا فِي اتِّبَاعِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَلِيًّا أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ . فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ . ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ كَبَّرَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ؛ قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي . ثُمَّ ضَحِكَ ، فَقُلْتُ : ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ . قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّ مِثْلًا فَعَلْتُ ثُمَّ ضَحِكَ ، فَقُلْتُ : لِمَ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : تَعَجَّبَ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ : اغْفِرْ لِي . يَقُولُ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ» . فَنَبَذَهُ ، فَقَالَ : «إِنِّي لَنْ أَلْبِسَهُ أَبَدًا» . فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ ^(١) .

وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «اجْلِسُوا» ، فَجَلَسَ فِي الطَّرِيقِ ، فَمَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : «مَا شَأْنُكَ ؟» ، فَقَالَ : سَمِعْتُكَ تَقُولُ : اجْلِسُوا فَجَلَسْتُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا عَلَىٰ طَوَاعِيَّتِهِ وَطَوَاعِيَةِ رَسُولِهِ» ^(٢) .

(١) «صحيح البخاري» (٥٥٣٨) .

(٢) البيهقي ، «دلائل النبوة» (٢٥٦/٦) .

جاء في الصحيحين :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعهُ ، قال أنس بن مالك : « فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام ، فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خُبْزاً ومِرقاً فيه دُبَّاءٌ وقديد ، فرأيت النبي ﷺ يتبَّع الدُّبَّاءَ من حوالي القصعة ، قال : فلم أزل أحبُّ الدُّبَّاءَ من يومئذٍ » (١) .

وجاء في المسند أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما ما يُحدِّثه عن نفسه : « ما أتيت على الرُّكن - مَذْرَأَتِ رسول الله ﷺ - يمسحُه - في شِدَّةٍ ولا رِخاءٍ إلا مسحته » (٢) .

وعن نافع رضي الله عنه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو تركنا هذا الباب للنساء » . قال نافع : فلم يدخل ابن عمر حتى مات (٣) .

وموقف آخر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يُبين لنا شِدَّةَ اتِّباعه وحُبِّه للنبي ﷺ ، يقول مُحاطباً الحَجَرَ الأسودَ : « والله إني لأعلم أنك حجرٌ ، ولو لم أر حبيبي قَبْلَكَ أو استلمك ما استلمتك ولا قبْلَكَ » (٤) .

ما يحكيه حذيفة رضي الله عنه ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، يقول : « إنَّ أشبه النَّاسِ دَلاً وسمْتاً وهدياً برسول الله ﷺ لآبَنُ أُمِّ عَبْدِ ؛ حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه . ولا ندري ما يصنع في أهله إذا خلا » (٥) .

(١) متفق عليه : « صحيح البخاري » (٥٤٣٩) ، « صحيح مسلم » (٢٠٤١) .

(٢) « مسند أحمد » (٧١٨٣) .

(٣) « سنن أبي داود » (٥٧١) ، وصحَّحه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٢٥٨) .

(٤) « صحيح البخاري » ، (٥٤١ / ٣) ، حديث رقم (١٦٠٥) .

(٥) « صحيح البخاري » (٦٠٩٧) .

وفي رواية الترمذي : «وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» (١).

وهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ رَوَى حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْوَصِيَّةِ : «مَا حَقُّ أَمْرِي مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : «مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي» (٢).

وهَذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عَنِ الْخَلِّ : «فَإِنَّ الْخَلَّ نِعَمَ الْأُذْمِ» (٣). قَالَ جَابِرٌ فَمَا زِلْتُ أَحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا يَدْعُونَ سُنَّةَ حَفْظُهَا أَوْ سَمِعُوهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَفَعَلُوهَا. فَهَذَا زَيْدُ بْنُ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَالِكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ». قَالَ : فَكَانَ زَيْدٌ يَرُوحُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَسِوَاكِهِ عَلَى أَذُنِهِ بِمَوْضِعِ قَلَمِ الْكَاتِبِ ، مَا تُقَامُ صَلَاةٌ إِلَّا اسْتَاكَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ» (٤).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي سَفَرٍ فَتَخَلَّفْتُ عَنْهُ ،

(١) «صحيح الترمذي» (٣٨٠٧).

(٢) «صحيح مسلم» (١٢٧).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٠٥٢).

(٤) «مسند أحمد» (١٩٣/٥)، (٢١٧٤١)، «سنن الترمذي» (٢٣) ..

فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَوْتَرْتُ. فَقَالَ: أَلَيْسَ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟
رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُوتِرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ (١).

* وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ لَهُ الْقَدْحُ الْمُعَلَّى فِي شِدَّةِ حُبِّهِ وَاتِّبَاعِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَالْعِبْرَةُ
بِالِاتِّبَاعِ وَلَيْسَ بِالِدَّعْوَى، وَكُلَّمَا قَوِيَ الْإِتِّبَاعُ كُلَّمَا صَحَّتِ الْمَحَبَّةُ. إِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي
جَعَلَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي طَرِيقِ مَكَّةَ يَمِيلُ بِرَاحِلَتِهِ فِي أَحَدِ الْمَوَاضِعِ، فَيُقَالُ لَهُ: لِمَ
فَعَلْتَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَ هَذَا فَفَعَلْتُ» (٢).

* لَمْ يَكُنْ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ الْحَبِيبِ ﷺ مَقْصُورًا عَلَى الرِّجَالِ فَحَسِبَ؛ بَلْ
هُنَالِكَ الْكَثِيرُ مِنَ الصَّحَابِيَّاتِ اللَّوَاتِي أَحَبَّنَّهُ ﷺ. وَمِنَ الشَّوَاهِدِ الرَّائِعَةِ
الدَّالَّةِ عَلَى حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَاتِّبَاعِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ: عَنْ
ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا، وَفِي
يَدِ ابْنَتِهَا مِسْكَتَانِ غُلِيطَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟» قَالَتْ:
لَا. قَالَ: «أَيَسْرُكَ أَنْ يُسَوِّرَكَ اللَّهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟» قَالَ:
فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَتْ: هُمَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ» (٣).

هَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ الْقَائِمَةُ عَلَى الْإِتِّبَاعِ لِلْحَبِيبِ ﷺ
وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ بِدَفْعِ زَكَاةِ السَّوَارَيْنِ؛ بَلْ ذَهَبَتْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَتَنَازَلَتْ عَنْ
السَّوَارَيْنِ وَقَدَّمَتْهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَدَقَةً لِلَّهِ تَعَالَى.

(١) «صحيح البخاري»، (٩٥٤).

(٢) مسند أحمد (٧/٤٤)، «مجمع الزوائد» (١/١٧٩).

(٣) «صحيح سنن أبي داود» (١/٢٩١)، (١٣٨٢).

وَقَدْ وَضَعَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَاعِدَةً عَظِيمَةً تُعَيِّنُ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَى مُتَابَعَةِ قَائِدِهِ وَقُدُوتِهِ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ صلی اللہ علیہ وسلم ، فَقَالَ رضي الله عنه : «كُلُّ عِبَادَةٍ مَا تَعْبُدُهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلی اللہ علیہ وسلم فَلَا تَتَعَبَّدُوهَا ؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَدْعُ لِلْآخِرِ مَقَالًا» ^(١) .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه : «مَا تَرَكَ النَّبِيُّ صلی اللہ علیہ وسلم طَائِرًا يُقَلَّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا» ^(٢) .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه : «عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ حَتَّى الْخِرَاءَةَ؟» ^(٣) ، قَالَ : نَعَمْ ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بَغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ ، أَوْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ ، أَوْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ» ^(٤) .

وَلِلَّهِ دُرُّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ لَمَّا قَالَ : «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَحُكَّ رَأْسُكَ إِلَّا بِأَثَرٍ فَافْعَلْ» ^(٥) .

لَقَدْ كَانَ أَتْبَاعُ الْجَلِيلِ الْأَوَّلِ جِيلُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم لِأَقْوَالِ وَأَفْعَالِ الرَّسُولِ صلی اللہ علیہ وسلم فِي غَايَةِ الرُّوَعَةِ :

(١) ابن بطّة ، «الإبانة» ، (٣٣٥ / ١) . الشاطبي ، «الاعتصام» ، (١٣٢ / ٢) . أبو شامة ، «الباعث على إنكار البدع» ، ص (١٦) .

(٢) «مجمع الزوائد» (٢٦٦ / ٨) ، «البحر الزخار» (٣٤١ / ٩) .

(٣) آداب قضاء الحاجة .

(٤) «صحيح مسلم» (٢٦٢) ، «سنن أبي داود» (٧) .

(٥) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ، للخطيب البغدادي (١٤٢ / ١) .

قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبُجَلِيُّ رضي الله عنه : «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» ، فَطَبَّقَ جَرِيرُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي سِيرَتِهِ الْيَوْمِيَّةِ خَيْرَ تَطْبِيقٍ . وَذَهَبَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنَا . قَالَ : «لَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» ، فَكَانَ الْوَاحِدُ فِيهِمْ يَكُونُ رَاكِبًا عَلَى فَرَسِهِ فَيَسْقُطُ سَوْطُهُ فَلَا يَقُولُ : يَا فُلَانُ نَاوِلْنِي السَّوْطَ . فَاُمْتَثِلُوا ؛ وَلِذَلِكَ عَزُّوا وَسَادُوا . رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ^(١) .

وَمَا أَرَوَعَ مَا قَالَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته الله فِي فَضْلِ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ :
: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِأَهْلِ مُحَبَّتِهِ عَلَامَتَيْنِ :

الْأُولَى : اتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ .

الثَّانِيَّةُ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(٢) .

وَقَدْ جَمَعَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَاتَيْنِ الْعَلَامَتَيْنِ .

وَلَا تَكْتَمِلُ هَذِهِ الْمُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِكَمَالِ الْحُبِّ لَهُ . قَالَ ﷺ : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» ^(٣) .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٧٢٠٤) ، «صحيح مسلم» (٥٨) .

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥٢ / ٢٨) .

(٣) «صحيح مسلم» (١ / ٦٧ - ٦٩) .

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى الْحُبِّ : التَّزَامُ أَمْرِهِ دَائِمًا ، وَالْمُسَارَعَةُ فِي طَاعَتِهِ ، وَتَقْدِيمُ قَوْلِهِ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ ، وَتَذَكُّرُ مَوَاقِفِهِ وَمَشَاهِدِهِ ، وَمُدارَسَةُ سُنَّتِهِ وَسِيرَتِهِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

* يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «إِنَّ قِيَامَ الْمَدْحَةِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ لَهُ قِيَامُ الدِّينِ كُلِّهِ ، وَسُقُوطُ ذَلِكَ سُقُوطُ الدِّينِ كُلِّهِ» (١) .

* وَمَنْ أَرَادَ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَحَبَّةً خَالِصَةً وَصَادِقَةً لَا يُعَكِّرُ صَفْوَهَا شِرْكٌ وَلَا بِدْعَةٌ وَلَا مُخَالَفَةٌ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَحَبَّةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَوْفَ يَجِدُهَا مَحَبَّةً مِثَالِيَّةً صَافِيَّةً ، مَحَبَّةً شَرْعِيَّةً قَائِمَةً عَلَى الْإِتِّبَاعِ وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ وَالْإِجْلَالِ ؛ بَلَا غُلُوٍّ وَلَا جَفَاءٍ .

وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْأَثَارِ الَّتِي أوردناها نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ :

كَمَا كَانَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِمَجْمُوعِهَا بَيَانًا وَتَفْسِيرًا لِلْقُرْآنِ ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا بِمَجْمُوعِهِمْ يُمَثِّلُونَ حَيَاةَ الرَّسُولِ ﷺ بِحُكْمِ اقْتِدَاءِهِمْ بِهِ ؛ فَأَيُّ إِغْفَالٍ لْجَانِبٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ هُوَ إِغْفَالٌ لْجَانِبٍ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَ مِنْ اهْتِدَائِهِمْ بِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ مِثْلَ مَا يَفْعَلُ ، وَيَتْرُكُونَ مَا يَتْرُكُ دُونَ أَنْ يَعْلَمُوا لَذَلِكَ سَبَبًا ، أَوْ يَسْأَلُوهُ عَنْ عِلَّتِهِ أَوْ حُكْمِهِ . فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَهُمُ الْأَعْلَى وَقُدُوتُهُمُ الْمَثَلُ ، وَكَانَتْ أَعْمَالُهُمْ صُورَةً لِأَعْمَالِهِ ، وَأَحْوَالُهُمْ مَظْهَرًا لِأَحْوَالِهِ ؛

فَكَانَ احْتِرَامُهُمْ احْتِرَاماً لَهُ ، وَالتَّعْرِيفُ بِهِمْ تَعْرِيفاً بِهِ ﷺ ؛ بَلْ إِنَّ عَدَمَ تَوْقِيرِهِمْ
اعْتِرَاضٌ عَلَى أَقْوَالِهِ الْأَمْرَةِ بِاحْتِرَامِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ .

وَيُظْهِرُ لَنَا جَلِيّاً مَدَى فَهَمِ الصَّحَابَةِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ
وهو يَقُولُ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيّاً مَا
وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» ^(١) ، فَإِذَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَتْرُكُونَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ
مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَيَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَغَيْرُهُمْ مِنْ بَابِ
أَوَّلَى ، بَلْ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ عَلَيْهِمْ طَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَاتِّبَاعُهُ فِي
الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ .

وَهُنَاكَ أَمْرٌ فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ لَا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ أَنَّ الْمَتَابِعَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ
وَالَّتِي أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُتَابِعَةً شَامِلَةً غَيْرَ مَقْصُورَةٍ عَلَى عِبَادَةٍ
دُونَ أُخْرَى ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا بِالِإِقْتِدَاءِ بِالرَّسُولِ ﷺ فِي جِهَادِهِ وَفِي
جَمِيعِ شُؤُونِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ ^(٢) .

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلُ كَبِيرٍ فِي التَّائِسِي فِي
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَلِهَذَا أَمَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣/٣٨٧) ، وحسنه الألباني في «الإرواء» ، (١٥٨٩) ، ورواه الدارمي (١/١١٥) ،

وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» ، (٢/٥) ، وغيرهم .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١

بِالتَّأْسِي بِالنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ فِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ وَمُرَابَطَتِهِ
وَمُجَاهَدَتِهِ ، وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى لِلَّذِينَ تَقَلَّقُوا وَتَضَجَّرُوا
وَتَزَلُّوا وَاضْطَرُّوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ
اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ ^(١) ، أَي هَلَّا اقْتَدَيْتُمْ
بِهِ وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ ﷺ ^(٢) .

وَمُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ ، وَهُوَ مَا يَعْنِي أَنَّهَا نَزَلَتْ
فِي حَالَةِ الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ وَالرِّبَاطِ ، وَهَذَا نُدْرِكُ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
أَمَرُوا بِالتَّأْسِي بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ ، وَأَخْصَصَهَا فِي جِهَادِهِ ﷺ .

هَذِهِ هِيَ الْمَتَابَعَةُ الشَّامِلَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالتِّي أَمَرْنَا بِهَا اللَّهُ تَعَالَى .

* قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «فَكُلُّ مَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ ﷺ
فَاللَّهُ كَافِيهِ ، وَهَادِيهِ ، وَنَاصِرُهُ وَرَازِقُهُ» ^(٣) .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١

(٢) «تفسير ابن كثير» ، (٣/٦٢٦) .

(٣) «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة» .

المبحث الثالث

حُبُّ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

* إِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي جَعَلَ الصَّدِيقَ يَخْرُجُ مِنْ مَالِهِ كُلِّهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَاذَا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟ فَيَقُولُ : تَرَكْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

* إِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي جَعَلَ عُمَرَ الْفَارُوقَ ﷺ يَأْكُلُ الزَّيْتَ عَامَ الرَّمَادَةِ حَتَّى قَرَقَرَ بَطْنُهُ ، فَقَالَ لَهُ : قَرَقِرْ أَوْ لَا تُقَرِّقِرْ ، وَاللَّهِ لَا تَشْبَعُ حَتَّى يَشْبَعَ أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ .

* إِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي جَعَلَ عُثْمَانَ ﷺ يُجَهِّزُ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ!!» .

* إِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي جَعَلَ عَلِيًّا ﷺ يَنَامُ فِي فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْهِجْرَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ السُّيُوفَ تَنْتَظِرُهُ عِنْدَ بَابِ الْبَيْتِ .

* إِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي جَعَلَ أَبَا دُجَانَةَ ﷺ يَتَرَسُّ بِنَفْسِهِ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقْعُ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ ، وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ وَهُوَ لَا يَتَحَرَّكُ .

* إِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي جَعَلَ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ يَرْمِي بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَتَّقِي السَّهَامَ بِوَجْهِهِ كُلَّمَا مَالَ سَهْمٌ مِنْهَا إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَالَ بِرَأْسِهِ ؛ لِيَقِي بَوَاجِهُهُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

* إِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي جَعَلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ رضي الله عنه يَقُولُ : «فَإَمَضِ لِمَا أَرَدْتَ
فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ
لَخُضْنَاهُ مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ نَلْقَى عَدُوَّنَا
غَدًا ، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدُقٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مَا تَقَرُّ
عَيْنُكَ ؛ فَسِرْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ » .

بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ حُبِّ أَوْلَيْكَ الْأَصْحَابِ الْأَبْرَارِ الْأَخْيَارِ لِنَبِيِّهِمْ
وَقَائِدِهِمْ وَمُعَلِّمِهِمْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

أَوَّلًا: بُكَاءُ الصَّدِّيقِ ﷺ فَرَحًا عِنْدَ مُصَاحَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ :

ذَكَرَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ :
«فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَحْرِ الظَّهْرِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي
بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنَّعًا^(١) فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا ، فَقَالَ
أَبُو بَكْرٍ : فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ . قَالَتْ :
فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي
بَكْرٍ : «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّهُمْ أَهْلُكَ ، يَا أَبَا أَنْتَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ . قَالَ : «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصَّحَابَةُ^(٢) يَا أَبَا أَنْتَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «نَعَمْ»^(٣) .

يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ : زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَتِهِ : «قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :
فَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي ، وَمَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ»^(٤) .

ثَانِيًا : حُبُّ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُدْفَنَ بِجِوَارِ النَّبِيِّ ﷺ :

كَانَ عُمَرُ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو ، فَيَقُولُ : «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ ،

(١) مُتَقَنَّعًا : أَي مَغْطِيًا رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ . «عمدة القاري» (١٧ / ٤٥) .

(٢) «الصحابة» : أَي الْمَصَاحِبَةُ ، «فتح الباري» (٧ / ٢٣٥) .

(٣) «صحيح البخاري» (٧ / ٢٣١) ، (٣٩٠٥) .

(٤) «فتح الباري» (٧ / ٢٣٥) .

وَجَعَلَ مَوْتِي فِي بَلَدِ نَبِيِّكَ» ^(١). فَأَعْطَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ وَأَكْرَمَهُ بِالشَّهَادَةِ ، فَقُتِلَ غَدْرًا عَلَى يَدِ أَبِي لُؤْلُؤَةَ الْمَجُوسِيِّ ؛ حَيْثُ طَعَنَهُ طَعْنَتَيْنِ بِخَنْجَرٍ مَسْمُومٍ وَهُوَ يُصَلِّي الْفَجْرَ ، وَقَالَ عُمَرُ لَمَّا عَرَفَ قَاتِلَهُ : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ قَاتِلِي مُسْلِمًا يُحَاجُّنِي عِنْدَ اللَّهِ بِسَجْدَةٍ سَجَدَهَا» .

ماذا طلبَ عُمَرُ وهو يفارقُ الدُّنْيَا؟ طَلَبَ أَنْ يُدْفَنَ بِجَوَارِ الْحَبِيبِ الْكَرِيمِ الْمُصْطَفَى ﷺ . يُحَدِّثُنَا الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ مَيْمُونٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) قَالَ : «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رضي الله عنها) فَقُلْ : يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلَامَ . وَلَا تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَقُلْ : يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ . فَسَلِّمْ وَاسْتَأْذِنْ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي ، فَقَالَ : يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ . فَقَالَتْ : كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي ، وَلَا وَثَرْتُهُ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي . فَلَمَّا أَقْبَلَ قِيلَ : هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ . قَالَ : ارْفَعُونِي ، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا لَدَيْكَ؟ . قَالَ : الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَذِنْتَ . قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَأَحْمِلُونِي ، ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ : يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَإِنْ أَذِنْتَ فَأَدْخِلُونِي ، وَإِنْ رَدَدْتَنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ» ^(٢) .

(١) «صحيح البخاري» (١٨٩٠) .

(٢) «صحيح البخاري» (٦٠ / ٧ - ٦١) ، (٣٧٠٠) .

ثالثاً : زيد بن الدثينة يُفَضِّلُ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُهُ وَلَا تُصِيبُ النَّبِيَّ ﷺ
شَوْكَةً تُؤْذِيهِ

سَأَلَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ - وَكَانَ مُشْرِكاً - زَيْدَ بْنَ الدَّثِينَةِ ﷺ حِينَمَا أَسْرَهُ
أَهْلُ مَكَّةَ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ لَهُ : أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ يَا زَيْدُ! أَتُحِبُّ
أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ؟ قَالَ زَيْدٌ : وَاللَّهِ
مَا أَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ ، وَإِنِّي
جَالِسٌ فِي أَهْلِي . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ
أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا!! (١) .

وَكَيْفَ لَا يُحِبُّ الصَّحَابَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْحُبُّ ، وَهُمْ الَّذِينَ
شَاهَدُوهُ ، وَاکْتَحَلَتْ أَعْيُنُهُمْ بَرُؤَيْتِهِ ، وَقَاتَلُوا تَحْتَ رَأْيَتِهِ ، وَفَازُوا بِصُحْبَتِهِ ،
وَشَاهَدُوا عَظِيمَ أَخْلَاقِهِ ، وَكَرِيمَ شَمَائِلِهِ ، فَأَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ ظُلَمِ الشَّرِكِ
إِلَى نُورِ التَّوْحِيدِ ؛ فَهُوَ ﷺ سَبَبُ نَجَاتِهِمْ ، وَأَعْظَمُ الْخَلْقِ نَفْعًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ .

رابعاً : اسْتِعْدَادُ الْمُقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ ﷺ لِلْوُقُوفِ مَعَهُ ﷺ فِي الْمَعْرَكَةِ

وَهَذَا صَحَابِيٌّ آخَرُ شُجَاعٌ قَدْ مِنْ خَرِيصِي مَدْرَسَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ يُبْدِي
اسْتِعْدَادَهُ التَّامَّ لِلْوُقُوفِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَاحَاتِ الْوَعْيِ ، جَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : «شَهِدْتُ مِنَ الْمُقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ ﷺ مَشْهَدًا

(١) ينظر : «السيرة النبوية» لابن إسحاق ، «البداية والنهاية» لابن كثير ، «مغازي موسى بن عتيبة» .

لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ ^(١) . أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمَشْرِكِينَ ، فَقَالَ : لَا تَقُلْ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﷺ : ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾ ^(٢) ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفِكَ .
فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّه . يَعْنِي : قَوْلُهُ ^(٣) .

فَابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْغَبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ صَاحِبُ هَذَا الْمَوْقِفِ الْمَشْرِفِ ، وَهَذَا يَنْجَلِي فِي قَوْلِهِ : «شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ» . وَيَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِهِ : «إِنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا يُقَابِلُ ذَلِكَ كَاتِنًا مَا كَانَ لَكَانَ حُصُولُهُ لَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ» ^(٤) .

خَامِسًا : غُلَامَانِ صَغِيرَانِ قَتَلَا أَبَا جَهْلٍ لِأَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ : عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي ، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةُ أَسْنَانُهُمَا ، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعٍ مِنْهُمَا ، فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ : يَا عَمُّ ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ؟ . قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا بَنَ أَخِي ؟ قَالَ : أَخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،

(١) «مسند الإمام أحمد» (١/١٥٥) ، رقم الحديث (٣) ، وصحَّحه الشيخ أحمد محمد شاكر ، هامش المسند (١/١٥٤) .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٢٤ .

(٣) «صحيح البخاري» (٧/٢٨٧) ، (٣٩٥٢) .

(٤) «فتح الباري» (٧/٢٨٧) .

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا . قَالَ : فَتَعَجَّبْتُ لَذَلِكَ ، فَعَمَزَنِي الْآخَرُ ، فَقَالَ مِثْلَهَا قَالَ ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ ، فَقُلْتُ : أَلَا تَرِيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ . قَالَ : فَاِبْتَدَرَاهُ فَضْرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ : «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» . فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ : «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» . قَالَا : لَا . فَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ ، فَقَالَ : «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ» وَقَضَى بِسَلْبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ . وَالرَّجُلَانِ : مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ» (١) .

هَذَا هُوَ الْحُبُّ الْحَقِيقِيُّ لِلْإِسْلَامِ وَلِنَبِيِّ الْإِسْلَامِ ، حُبٌّ مُتَرَجِّمٌ إِلَى أَفْعَالٍ وَإِلَى وَاَقِعٍ حَالٍ عِنْدَمَا يُمَسُّ شَخْصَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَذَى أَوْ سُوءٍ مِنَ الطَّوَاغِيتِ تَتَحَرَّكُ مَشَاعِرُ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ ؛ بَلْ تَتَسَابَقُ إِلَى قَطْعِ رُؤُوسِ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ - كَمَا وَصَفَهُ ﷺ - لِمَاذَا؟ . لَأَنَّهُمْ سَمِعُوا وَتَأَكَّدُوا أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . هَكَذَا يَصْنَعُ الْإِيْمَانُ فِي نُفُوسِ الصَّادِقِينَ الْمُحِبِّينَ ، وَهَذَا هُوَ عِقَابُ مَنْ يَشْتُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (٢) .

سَادِسًا : أَبُو طَلْحَةَ يُقَدِّمُ نَحْرَهُ دُونَ نَحْرِ النَّبِيِّ ﷺ

وَهَذَا فَارِسٌ مِنْ فُرْسَانِ الْإِسْلَامِ يَجْعَلُ صَدْرَهُ دُونَ صَدْرِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ سَهْمُ الْعَدُوِّ يُصِيبُهُ بَدَلْ إِبَابَةِ نَحْرِهِ ﷺ . كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٣١٤١) ، «صحيح مسلم» (١٧٥٢) ، وقد اختلف في تسمية الغلامين .
(٢) يُنظر : «الصارم المسلول» لشيخ الإسلام ابن تيمية ، في تحتم قتل سائر الرسول ﷺ .

رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِجَحْفَةٍ ^(١) . قَالَ : وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ ، وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً . قَالَ : وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجُعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ صلّى الله عليه وآله : «انْثَرَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ» . قَالَ : وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ ، لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ» ^(٢) .

هَذِهِ هِيَ غَيْرَةُ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ الشُّجْعَانَ الْأَفْذَاذِ ، وَهَذِهِ هِيَ أُمْنِيَّاتُهُمُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِ حُبِّهِمُ لِلْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى صلّى الله عليه وآله .

يَقُولُ الْعَلَامَةُ الْعَيْنِيُّ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ رضي الله عنه : «نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ» :

هَذَا نَحْرِي قُدَّامَ نَحْرِكَ ، يَعْنِي : أَقْفَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِحَيْثُ إِنَّ السَّهْمَ إِذَا جَاءَ يُصِيبُ نَحْرِي وَلَا يُصِيبُ نَحْرَكَ ^(٣) .

سَابِعًا : كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَّلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ

لَقَدْ كَانَ لِلنِّسَاءِ الصَّحَابِيَّاتِ مَوَاقِفُ عَظِيمَةٌ فِي حُبِّ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله بَعْدَ مَوْقِعَةِ أُحُدٍ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ بِأَحَدٍ ، فَلَمَّا نَعُوا إِلَيْهَا قَالَتْ : مَا فَعَلَ رَسُولُ

(١) مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِجَحْفَةٍ : أَيُّ قَوْسٍ عَنْهُ ؛ لِيَقْبِيَهُ سِلَاحُ الْكُفَرِ . «شرح النووي» (١٢/١٨٩) . والجحفة : هِيَ التَّرْسُ إِذَا كَانَ مِنْ جِلْدٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ . «عمدة القاري» (١٦/٢٧٣) .

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، «صحيح البخاري» ، (٧/٣٦١) ، (٤٠٦٤) ، «صحيح مسلم» (٣/١٤٤٣) ، (١٨١١) .

(٣) «عمدة القاري» (١٦/٢٧٤) .

اللَّهِ؟ قَالُوا: خَيْرٌ يَا أُمَّ فُلَانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ. فَقَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ؛ حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ^(١)، (٢).

اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهُ الْحُبُّ الْعَظِيمُ الَّذِي جَعَلَ هَذِهِ الصَّحَابِيَّةَ الْجَلِيلَةَ تُسْتَقْبَلُ بِمَقْتَلِ ابْنِهَا وَزَوْجِهَا وَأَيِّهَا وَأَخِيهَا فَلَا تَهْتَمُّ؛ بَلْ تَقُولُ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ . لَا شَيْءَ فِي عَقْلِهَا وَقَلْبِهَا إِلَّا سَلَامَةُ النَّبِيِّ ﷺ، سَلَامَتُهُ ﷺ مُقَدِّمَةٌ عَلَى سَلَامَةِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهَا. هَذَا هُوَ الْحُبُّ الْحَقِيقِيُّ لِرَسُولِ اللَّهِ الَّذِي لَا نَجْدُهُ عِنْدَ كَثِيرٍ يَمُنُّ يَتَسَبَّبُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي يَوْمِنَا هَذَا!! حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى صَحِيحَةً: يَا أَبَا أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَبَالِي إِذَا سَلِمْتَ مِنْ عَطَبٍ.

ثَامِنًا: وَصِيَّةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ رضي الله عنه بِسَلَامَتِهِ صلوات الله عليه وَهُوَ فِي آخِرِ لَحَظَاتِ حَيَاتِهِ

هَذَا مُحِبٌّ صَادِقٌ فِي آخِرِ رَمَقٍ وَهُوَ مِنْ جَرَحَى مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، مَاذَا شَغَلَ بَالَهُ؟ وَبِمَاذَا أَوْصَى قَوْمَهُ الْأَنْصَارَ وَهُوَ يُودِّعُهُمْ مُرْتَحِلًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ وَأَوْلَادٍ وَمَتَاعٍ؟ وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً، مَا بَيْنَ طَعْنِ بَرْمُحٍ، وَضَرْبَةِ بَسِيفٍ، وَرَمِيَّةٍ بِسَهْمٍ؟ الْأَمْرُ الَّذِي شَغَلَ بَالَهُ هُوَ سَلَامَةُ حَبِيبِهِ، وَقَائِدِهِ وَمُعَلِّمِهِ وَمُرَبِّيهِ وَقُدُوتِهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. الْوَصِيَّةُ الَّتِي أَوْصَى بِهَا قَوْمَهُ الْأَنْصَارَ هِيَ: أَنْ يَبْذُلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَفْسَهُ فِدَاءً لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ صلوات الله عليه.

(١) جَلَلٌ: أَيُّ صَغِيرَةٍ.

(٢) «سيرة ابن هشام» (٩٩/٢)، «دلائل النبوة» (٣٠٢/٣)، «تاريخ الطبري» (٥٣٣/٢)، بسند أبي إسحاق إلى سعد بن أبي وقاص، وسنده حسن، وقد صرح بالتحديث فزالَت شبهة تدليسِهِ.

قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه : «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَطْلُبُ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ رضي الله عنه ، وَقَالَ لِي : «إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» . قَالَ : فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلِ ، فَأَصْبَتْهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ ، وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً ، مَا بَيْنَ طَعْنِ بَرْمُحٍ ، وَضَرْبَةِ بَسِيفٍ ، وَرَمِيَّةٍ بِسَهْمٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا سَعْدُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : خَبِّرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟ . قَالَ : عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّلَامُ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، قُلْ لَهُ : أَجِدُنِي أَجْدُ رِيحَ الْجَنَّةِ ، وَقُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ : لَا عُذَرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُخْلَصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَفِيكُمْ شُفْرٌ يَطْرُقُ . قَالَ : وَفَاضَتْ نَفْسُهُ رحمته الله» ^(١) .

أَجَلَ هَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ الْحَقِيقَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . صَدَقَ مَنْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا مِثْلَ حُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ﷺ .

تَاسِعًا : إِذَا ذُكِرَ يَوْمٌ أُحُدَ ذَاكَ يَوْمٌ كُلُّهُ لِطَلْحَةَ

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ مِنَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَكَانَ الصَّدِيقُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه إِذَا ذُكِرَ يَوْمٌ أُحُدٍ قَالَ : «ذَاكَ يَوْمٌ كُلُّهُ لِطَلْحَةَ» ^(٢) .

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ : أَنَّ الْمَشْرِكِينَ رَهَقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ صَاعِدٌ فِي الْجَبَلِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُمْ طَلْحَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ

(١) «المستدرك على الصحيحين» ، قال عنه الحاكم : حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، (٣ / ٢٠١) .

(٢) «مسند الطيالسي» (٢ / ٩٩) ، (٢٣٤٦) .

اللَّهُ ﷻ : «أَلَا رَجُلٌ لِهَؤُلَاءِ؟» . فَقَالَ طَلْحَةُ : أنا . فَقَالَ : «كَمَا أَنْتَ يَا طَلْحَةُ» . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أنا . فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ . فَلَحِقَهُ الْمُسْرِكُونَ وَمَا زَالَ يَقُولُ : «أَلَا رَجُلٌ لِهَؤُلَاءِ؟» وَطَلْحَةُ يَقُولُ : أنا . فَيَدْخِرُهُ وَيَتَقَدَّمُ أَحَدُ الْأَنْصَارِ فَيُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ ، حَتَّى قُتِلُوا جَمِيعاً ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ طَلْحَةُ ، فَقَاتَلَ مِثْلَ قِتَالِ جَمِيعِ مَنْ كَانُوا قَبْلَهُ الْأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ ، فَقَالَ : حَسَّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَوْ قُلْتُ : بِاسْمِ اللَّهِ . لَرَفَعْتُكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ، حَتَّى تَلْجَ بِكَ فِي جَوْ السَّمَاءِ» .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ : «رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ ﷻ شَلَاءً ، وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ» ^(١) .

اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا هُوَ الْفِدَاءُ وَالْحُبُّ الصَّادِقُ لِلْحَبِيبِ ﷺ ، مَا أَسْعَدَ هَذِهِ الْيَدَ وَأَزْكَاهَا وَأَطْهَرَهَا الَّتِي شَلَّتْ دِفَاعاً عَنْ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَفْضَلِهِمْ ﷺ ! وَمَا أَسْعَدَ صَاحِبَهَا !

لَقَدْ بَقِيَتْ يَدُ طَلْحَةَ ﷻ وَسَاماً مُشْرِفاً دُونَهُ كُلِّ أَوْسَمَةِ الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ يَدُهُ قَدْ شَلَّتْ أَثْنَاءَ الدِّفَاعِ عَنِ الْحَبِيبِ ﷺ فَحَسَبَ ؛ بَلْ جَرَحَ جَسَدُهُ كُلَّهُ حَيْثُ كَانَتْ حَوَالِي سَبْعِينَ جَرَحَةً ، كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ : «ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَةَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجِفَارِ فَإِذَا بِهِ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ بَيْنَ طَعْنٍ وَرَمِيَةٍ وَضَرْبَةٍ» ^(٢) .

(١) «صحيح البخاري» (٣٥٩/٧) ، (٤٠٦٣) .

(٢) «مسند الطيالسي» (٩٩/٢) ، (٢٣٤٦) .

عاشراً : يَوْمٌ مَشْهُودٌ فِي تَارِيخِ الدُّنْيَا ، يَوْمٌ فَرِحَ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ
النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِمْ

لَمْ تَعْرِفِ الدُّنْيَا مَوْكِباً أُنْبَلَ مِنْهُ مَقْصِداً ، وَأُبْعَدَ غَايَةً ، وَأَخْلَصَ نِيَّةً ،
وَأَعَمَّقَ فِي الْأَرْضِ أَثْراً مِنْ مَوْكِبِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هِجْرَتِهِ .

خَرَجَتْ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا بِشَبَابِهَا وَشَبِيهَا ، وَصِبْيَانِهَا ، وَنِسَائِهَا ، وَوَلَائِدِهَا إِلَى
الْحَرَّةِ شَوْقاً لِمَقْبَلِ الْحَبِيبِ الْكَرِيمِ ﷺ ، وَلِيَمْلَأُوا عُيُونَهُمْ مِنْ هَذَا الَّذِي
أَصْبَحَ ذِكْرُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَأَنْصَارُهُ فِي كُلِّ بَيْتٍ . إِنَّهُ لَمَشْهُدٌ مُعَبَّرٌ يُغْنِي عَنْ
الْكَلَامِ وَالْخُطْبِ !! .

* رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصْفِ هَذَا
الْمَشْهَدِ الْحَافِلِ عَنْ كَيْفِيَّةِ انْتِظَارِهِمُ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ : «وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ
بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ
فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ ،
فَلَمَّا آوُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ عَلَى أُطْمٍ ^(١) مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ
إِلَيْهِ ، فَبَصَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مَبِضِّينَ ^(٢) يُزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ ،
فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي
تَنْتَظِرُونَ . فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ ،
فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ» ^(٣) .

(١) أُطْمٌ : يَضُمُّ أَوَّلُهُ وَثَانِيَهُ ، وَهُوَ الْحَصْنُ . «فتح الباري» (٢٤٣/٧) .

(٢) مَبِضِّينَ : أَيُّ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيَضُ . «فتح الباري» (٢٤٣/٧) .

(٣) «صحيح البخاري» (٢٣٩/٧) ، (٣٩٠٦) .

نَعَمْ كَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا فِي تَارِيخِ الدُّنْيَا يَوْمَ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ رَاكِبًا نَاقَتَهُ الْقَصْوَاءَ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رِذْفَهُ ، وَمَلَأَ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ مُتَقَلِّدِينَ سِيُوفَهُمْ يُرْهِبُونَ بِهِ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَرُسُولَهُ ، وَمَنْ تُسَوَّلَ لَهُ نَفْسُهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ أَنْ يَنَالَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلْيَعْلَمُوهُمْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ تَرَكَ أَهْلَهُ وَوَطَنَهُ إِلَى اللَّهِ فَلَا يَزَالُ فِي عِزَّةٍ وَمَنْعَةٍ مِنْ أَخْوَالِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ .

* يُحَدِّثُنَا الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا عَنْ كَيْفِيَّةِ اسْتِقْبَالِهِ ﷺ مِنْ قِبَلِ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَدْ رَوَى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَانِبَ الْحَرَّةِ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَاؤُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا وَقَالُوا : ارْكَبَا آمَنَيْنِ مُطَاعَيْنِ . فَرَكَبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسَّلَاحِ ، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ : جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ . فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (١) .

* وَبَيَّنَّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُؤْيَاهُ لِهَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ الْمَشْهُودِ فِي تَارِيخِ الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِقَوْلِهِ : «فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ أَنْوَرَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ يَوْمِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ الْمَدِينَةَ» (٢) .

* وَيَصِفُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَحَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِمَقْدَمِ الْحَبِيبِ الْكَرِيمِ ﷺ بِقَوْلِهِ : «فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (٣) .

(١) «صحيح البخاري» (٢٥٠ / ٧) ، (٣٩١١) .

(٢) «مسند أحمد» (١٥٥ / ١) ، (٣) .

(٣) «صحيح البخاري» (٢٦٠ / ٧) ، (٣٩٢٥) .

الحادي عشر : حُبُّ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ لِلْحَبِيبِ ﷺ :

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ مُعَزَّزاً مُكْرَماً سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، حَتَّى بُنِيَ الْمَسْجِدُ وَبُنِيَ دُورُ أَهْلِهِ وَنِسَائِهِ فانتقل إليها ، ونزلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ مَا نَزَلَ فِي سُفْلِ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ ، وَقَدْ آلَمَ أَبُو أَيُّوبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السُّفْلِ ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ فِي الْعُلُوِّ ، حَتَّى بَيَّنَّ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ ذَلِكَ أَرْفَقُ بِهِ وَبِمَنْ يَأْتِيهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالزَّائِرِينَ ، فَقَدْ كَانَتْ دَارُ أَبِي أَيُّوبَ مُتَدَايٍ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ .

أَكْرَمَ أَبُو أَيُّوبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِكْرَاماً عَظِيماً ؛ حَيْثُ مَا كَانَتْ نَفْسُهُ تَطِيبُ أَنْ يَأْكُلَ حَتَّى يَأْكُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَكَانَ يُهَيِّئُ الطَّعَامَ وَيُرْسِلُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَإِذَا عَادَتْ الْقِصْعَةُ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَأْكُلُ حَيْثُ أَكَلَ . وَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ صَنَعَ طَعَاماً وَكَانَ فِيهِ ثَوْمٌ لَمْ تَذْهَبْ رَائِحَتُهُ ، فَسَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ الرَّسُولِ فَقِيلَ لَهُ : لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ ، فَفَزِعَ وَذَهَبَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَحْرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لَا ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ ، فَإِنِّي أَنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي » ^(١) . يُرِيدُ الْمَلَائِكَةُ ، وَهِيَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ .

وَفِي مَرَّةٍ كُسِرَتْ لِأَبِي أَيُّوبَ جَرَّةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَفَزِعَ أَبُو أَيُّوبَ وَأُمُّ أَيُّوبَ زَوْجُهُ ، وَأَسْرَعَا إِلَى قَطِيفَةٍ لَهَا كَانَا يَعْتَزَّانِ بِهَا ، فَأَخَذَاهَا وَصَارَا يُجِفِّفَانِ بِهَا الْمَاءَ خَشْيَةَ أَنْ يَسِيلَ الْمَاءُ إِلَى أَسْفَلِ الْبَيْتِ فَيَتَأَذَى مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ زُورَاهُ .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٨١٧) . «صحيح مسلم» ، (٢٠٥٣) .

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَدَبِ أَبِي أَيُّوبَ وَأَهْلِهِ - لَمَّا امْتَنَعَ الرَّسُولُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى الْعُلُوِّ
أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَنْزِلُونَ فِي الْمَكَانِ الْمُسَامِتِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعُلُوِّ؛ اسْتِحْيَاءً
مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

اللَّهُ أَكْبَرُ! هَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ الْخَالِصَةُ الصَّادِقَةُ ، وَالتَّعْظِيمُ وَالتَّوْقِيرُ وَالتَّعْزِيزُ
وَإِلْجَالُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وَهَكَذَا فَلْيَكُنْ الْأَدَبُ ، وَالْقِيَمُ الرُّوحِيَّةُ الْعَالِيَّةُ .

وَمَعَ اعْتِدَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ الصُّعُودِ إِلَى الْعُلُوِّ لَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو أَيُّوبَ
يَرْجُوهُ وَيُلِحُّ عَلَيْهِ فِي الرَّجَاءِ حَتَّى قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ فِي الْعُلُوِّ ؛
إِذْ قَدْ خَفَّ الزَّوَارُ ، وَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مِنْ حَرَجٍ .

وَتَسَابَقَ الْأَنْصَارُ فِي إِكْرَامِ وَفَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا وَتَجِدُ
عَلَى دَارِ أَبِي أَيُّوبَ الْقِصَاعَ وَالْجِفَانَ يَأْكُلُ مِنْهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَيَدْعُ مَنْ يَشَاءُ .
وَكَذَلِكَ تَسَابَقُوا فِي إِيْوَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَإِكْرَامِهِمْ ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يُقَاسِمُوهُمْ
دُورَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ؛ بَلْ وَأَعَزَّ شَيْءٍ لَدَيْهِمْ وَهُوَ التَّنَازُلُ لَهُمْ عَنْ بَعْضِ أَرْوَاجِهِمْ
كَيْ يَنْكَحُوهُمْ إِذَا رَغِبُوا ، وَلَكِنَّ الْمُهَاجِرِينَ أَبَوْا وَاکْتَفَوْا مِنْهُمْ بِالْإِزْتِفَاقِ
وَالْمُوَاسَاةِ . وَقَدْ ضَرَبَ الْأَنْصَارُ فِي مُوَاسَاةِ إِخْوَانِهِمِ الْمُهَاجِرِينَ مَثَلًا عَلِيًّا تُذَكَّرُ
بِالْإِعْظَامِ وَالْإِكْبَارِ .

وَدَارُ أَبِي أَيُّوبَ الَّتِي حَظَّتْ بِهَذَا الشَّرَفِ الرَّفِيعِ قَدْ آلَتْ إِلَى مَوْلَاهُ ، أَفْلَحَ
بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَاشْتَرَاهَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِشَامٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَصْلَحَ مَا
وَهَنَ مِنْ بُيَانِهَا ، وَوَهَبَهَا لِأَهْلِ بَيْتِ فَقَرَاءَ . فَلِلَّهِ أَنْتِ يَا دَارُ أَبِي أَيُّوبَ !!

هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ الْحَقِيقَةِ الصَّادِقَةِ لِلْحَبِيبِ الْكَرِيمِ الْمُصْطَفَى ﷺ ،
حَرَصُوا أَشَدَّ الْحَرَصِ عَلَى 'بَذْلِ أَنْفُسِهِمْ فِدَاءً لِنَفْسِ الْحَبِيبِ ﷺ . أَجَابُوا مُنَادِي
الشَّقْوِ إِذَا نَادَى بِهِمْ : حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، حَيَّ عَلَى الْجِهَادِ ، وَبَذَلُوا نَفُوسَهُمْ فِي
طَلَبِ الْوُصُولِ إِلَى 'مَحْبُوبِهِمْ ، وَكَانَ بَذْلُهُمْ بِالرِّضَا وَالسَّمَاحِ ، وَوَاصَلُوا إِلَى اللَّهِ
الْمَسِيرَ بِالْإِذْلَاجِ وَالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ .

تَاللَّهِ لَقَدْ حَمِدُوا عِنْدَ الْوُصُولِ سُرَاهِمَ ، وَشَكَرُوا مَوْلَاهُمْ عَلَى مَا أَعْطَاهُمْ ،
وَأِنَّمَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ عِنْدَ الصَّبَاحِ .

كَيْفَ لَا يُحِبُّ الصَّاحِبَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْحُبُّ ، وَهُمْ الَّذِينَ
شَاهَدُوهُ وَاکْتَحَلَتْ أَعْيُنُهُمْ بَرُؤِيَّتَهُ ، وَفَازُوا بِصُحْبَتِهِ ، وَشَاهَدُوا عَظِيمَ أَخْلَاقِهِ
وَكَرِيمَ شَمَائِلِهِ ، فَأَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ إِلَى نُورِ التَّوْحِيدِ
وَالْإِيمَانِ ؟! فَهُوَ ﷺ سَبَبُ نَجَاتِهِمْ وَأَعْظَمُ الْخَلْقِ نَفْعًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

كَيْفَ لَا يُحِبُّ الصَّاحِبَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ؟! فَكَانَ لَهُمْ شَرَفُ السَّبْقِ فِي الصُّحْبَةِ وَالْهَجْرَةِ وَالثُّبُورَةِ ،
وَالذَّبِّ عَنْهُ ، وَبَذْلِ الْمُهْجِ ، وَقَتْلِ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ . وَهُمْ الَّذِينَ أَقَامُوا دِينَ اللَّهِ
وَفَتَحُوا الدُّنْيَا بِدِمَائِهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ حَفِظُوا لَنَا هَذَا الدِّينَ الْعَظِيمَ وَبَلَّغُوهُ
لِمَنْ بَعْدَهُمْ بِأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ .

كَيْفَ لَا يُحِبُّ الصَّاحِبَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُعَلِّمُهُمْ ، وَهُمْ طُلَّابُهُ
الَّذِينَ تَعَلَّمُوا عَلَى يَدَيْهِ ؟!

كَيْفَ لَا يُحِبُّ الصَّحَابَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُرَبِّيهِمْ ، وَهُمْ الْجِيلُ
الَّذِي تَوَلَّى بِنَفْسِهِ تَرْبِيَّتَهُمْ ، فَكَانُوا خَيْرَ جِيلٍ عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ ؟!

كَيْفَ لَا يُحِبُّ الصَّحَابَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِدُهُمْ ، وَهُمْ جُنُودُهُ
الَّذِينَ بَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ؟!

كَيْفَ لَا يُحِبُّ الصَّحَابَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الْحَاكِمُ ، وَصَحْبُهُ الْكِرَامُ
وَوُزَرَاؤُهُ وَمُسْتَشَارُوهُ ؟!

كَيْفَ لَا يُحِبُّ الصَّحَابَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الَّذِي بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ،
وَصَحْبُهُ الْكِرَامُ هُمُ الَّذِينَ حَمَلُوهَا عَنْهُ وَنَقَلُوهَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ ؟!

الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ تَخَرَّجُوا مِنْ مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَحَبُّوا حَبِيبًا وَاحِدًا ؛
فَالْمَدْرَسَةُ هِيَ : الْمَدْرَسَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، وَالْحَبِيبُ هُوَ الْقَائِدُ الْقُدْوَةُ . وَالْمُعَلِّمُ الْمُرَبِّي :
إِمَامُ الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ .

المبحث الرابع

شَجَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَشَجَاعَةُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

تمهيد

كَانَ الْمُرُوثُ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ ، فَكَذَلِكَ كَانَ وَارِثُهُ وَخَلِيفَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَشْجَعَ الْأُمَّةِ بِالْقِيَاسِ ، وَيَكْفِي أَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَهْمٌ مِنْ كِنَانَتِهِ ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سِلَاحٌ مِنْ أَسْلِحَتِهِ ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ أَهْلُ بَيْعَتِهِ وَشَوْكَتِهِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ أَنَّهُ يَسْتَمِدُّ مِنْ ثَبَاتِهِ وَشَجَاعَتِهِ . (١)

شَجَاعَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَجَاعَةُ فِطْرِيَّةٍ وَصَرَاحَتُهُمْ صِرَاحَةٌ طَبِيعِيَّةٌ ؛ نَشَأُوا عَلَيْهَا مِنْذُ حَدَاتِهِمْ وَطُبِعُوا عَلَيْهَا بِفِطْرَتِهِمْ وَبَيْتَتِهِمْ ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ فَحَرَّرَ فِيهِمْ هَذَا الْخَلْقَ الْفَاضِلُ وَزَادَهُمْ مِنْهُ وَبَنَى حَضَارَتَهُ الصَّحِيحَةَ وَمَدِينَتَهُ الطَّاهِرَةَ .

لَقَدْ كَانَ حُبُّ الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَحْصَى خَصَائِصِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ بَلْ كَانَ دَيْدَنًا وَمَنْهَجًا ثَابِتًا فِي حَيَاتِهِمْ مِنْذُ نُعُومَةِ أَظَافِرِهِمْ .

عَلِمَ الصَّحَابَةُ أَنَّ لِلْجِهَادِ فَضْلًا لَا يُضَاهَى وَلَا يَتَنَاهَى وَأَيَقِنُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ وَأَنَّ الرَّيَّ الْأَعْظَمَ فِي شُرْبِ كُؤُوسِ الْحُتُوفِ فَشَمَّرُوا

(١) «الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ» .

لِلجِهَادِ عَنْ سَاقِ الاجْتِهَادِ وَنَفَرُوا إِلَى ذَوِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ مِنْ شَتَى أَصْنَافِ الْعِبَادِ وَجَهَّزُوا الْجِيُوشَ وَالسَّرَايَا وَبَذَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْعَطَايَا ، وَأَقْرَضُوا الْأَمْوَالَ لِمَنْ يُضَاعَفُهَا وَيُزَكِّيْهَا وَدَفَعُوا سِلْعَ الثُّفُوسِ مِنْ غَيْرِ مُحَاطَلَةٍ لِمُشْتَرِيهَا وَضَرَبُوا الْكَافِرِينَ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاسْتَعَذَّبُوا مِنَ الْمَنِيَّةِ مُرَّ الْمَذَاقِ وَبَاعُوا الْحَيَاةَ الْفَانِيَّةَ بِالْعَيْشِ الْبَاقِي وَنَشَرُوا أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ فِي الْآفَاقِ .

* مَا أَرَوَعَ مَا قَالَهُ سَيْفُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه ، مُبَيِّنًا حُبَّ الصَّحَابَةِ لِلجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَيْثُ قَالَ مُخَاطِبًا الْفُرْسَ : « قَدْ أَتَيْتُكُمْ بِأَقْوَامٍ هُمْ أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ مِنْكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ » .

* وَقَالَ حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله ، الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه : « نَحْنُ أُمَّةٌ لَا نَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا » ، فَمَالِي أَرَى الْفُرْسَ قَدْ كَثُرَ عَلَيْهَا الْأَمْوَاتُ ؟ !! .

* وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ لِلْيَهُودِ : « وَاللَّهِ لَنَذُوقَنَّ مَا ذَاقَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَوْ لَنَفْتَحَنَّ عَلَيْهِمْ حِصْنَهُمْ » .

* وَهَذَا عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه يُخَاطِبُ الْمُفَوِّقَ عَظِيمَ مِصْرَ ، مُوضِّحًا اشْتِيَاقَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم إِلَى الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ رضي الله عنه : « وَمَا مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةُ ، وَأَلَّا يَرُدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ وَلَا إِلَى أَرْضِهِ وَلَا إِلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا هَمٌّ فِي مَا خَلْفَهُ ، وَقَدْ اسْتَوَدَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا رَبَّهُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ ، وَإِنَّمَا هَمُّنَا مَا أَمَانَا » ^(١) .

(١) «فتوح مصر وأخبارها» ، ص (٥٤) .

* وَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ رضي الله عنه ، الْمَجْدَعُ فِي اللَّهِ دَعَا يَوْمَ أُحُدٍ فِي قَلْبِ الْمَعْرَكَةِ بِكَلِمَاتٍ تَبَقَّى خَالِدَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ : «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدَ حَرْدِهِ ، شَدِيدَ بَأْسِهِ ، أَقَاتِلْهُ فِيكَ وَيَقْتُلْنِي ، ثُمَّ يَأْخُذْنِي فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذْنِي ، فَإِذَا لَقَيْتَكَ غَدًا قُلْتَ : مَنْ جَدَعَ أَنْفَكَ وَأُذْنَكَ ؟ ، فَأَقُولُ : فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ صلوات الله عليه ، فَتَقُولُ : صَدَقْتَ » ، قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه : يَا بُنَيَّ كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ وَأَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمُعَلَّقَانِ» ^(١) .

* وَهَذَا حِرَامُ بْنُ مَلْحَانَ رضي الله عنه طُعِنَ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ يُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، حَتَّى أَنْفَذَهُ الرُّمْحُ ، وَبَقِيََتْ لَدَيْهِ فُرْصَةٌ لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا يَدُورُ فِي نَفْسِهِ مِنْ غِبْطَةٍ بِتَبْلِيغِ رِسَالَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، فَقَامَ يَنْضَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَجَسَدِهِ ، وَيَقُولُ : «اللَّهُ أَكْبَرُ ، فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ!!» ^(٢) ، فَهَزَّ الْمَوْقِفُ قَاتِلَهُ ، فَأَسْلَمَ وَحَالَهُ : وَرَبَّ الْكَعْبَةِ إِنَّهُ لِلْفَوْزِ !!

لِلَّهِ دَرُّهُمْ ، وَحَيَّا اللَّهَ دِينًا أَنْجَبَهُمْ ، وَرَسُولًا عَلَّمَهُمْ وَأَدَّبَهُمْ .

(١) «الإصابة» (٤/ ٤٦) ، «أسد الغابة» (٣/ ١٣١) ، «جوامع السيرة» ، ص (١٦٧) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٢٨٠١) ، «صحيح مسلم» (٥٠٢٦) ، عن أنس رضي الله عنه .

وَهَذِهِ بَعْضُ نَمَازِجٍ مُخْتَصِرَةٍ مِنْ شُهَدَاءِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَشَجَاعَتِهِمْ :

١- شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ عُمَيْرِ بْنِ حُمَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) :

لِلَّهِ دَرُّهُ مَا أَعْظَمَ شَوْقَهُ لِلشَّهَادَةِ وَالْجَنَّةِ (التَّحْرِيزُ عَلَى الْقِتَالِ) .

من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَقْدَمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ » ، فَذَنَى الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُومُوا إِلَيَّ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ » . قَالَ : يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟ ! . قَالَ ﷺ : « نَعَمْ » . قَالَ : بَخٍ بَخٍ !! ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ؟ » . قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا . قَالَ ﷺ : « فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا » ، فَأَخْرَجَ ثَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : لَئِنْ أَنَا حَيِّتُ أَكُلُ ثَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ . قَالَ : فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الثَّمَرِ ، ثُمَّ قَاتَلَ وَهُوَ يَقُولُ :

رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التُّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ

وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الْجَهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ

غَيْرِ التُّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

وَمَا زَالَ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) «صحيح مسلم»، (٣/١٥١٠)، (١٩٠١). «الإصابة» (٣/٣١) .

٢- اسْتِشْهَادُ حَارِثَةَ بْنِ سُرَّاقَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي ، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ ، وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ ، فَقَالَ ﷺ : «وَيْحَكَ ! أَوْهَيْبَتِ ! ، أَوْجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ ؟ !! . إِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ» ^(١) .

٣- حَنْظَلَةُ الْغَسِيلُ يَسْتَشْهَدُ يَوْمَ زِفَافِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلرَّسُولِ ﷺ ، وَكَانَ هُوَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ اتَّقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، فَلَمَّا عَلَاهُ حَنْظَلَةُ رَأَى شَدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ^(٢) فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ ، فَاسْأَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ؟» . فَسَأَلُوا صَاحِبَتَهُ ^(٣) ، وَهِيَ بَجِيمَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سُلُولٍ ، وَكَانَتْ عَرُوسًا عَلَيْهِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ ، فَقَالَتْ : خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَائِعَةَ ^(٤) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لِذَلِكَ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ» ^(٥) .

(١) «صحيح البخاري» (٣٩٨٢) ، فضل شهداء بدر .

(٢) وكان يسمى ابن شعوب .

(٣) زوجته .

(٤) الصيحة للجهاد .

(٥) «صحيح ابن حبان» (٧١٥١) ، «مستدرک الحاكم» : (٤٩٠٥) ، «السُّنَنُ الْكُبْرَى» ، البيهقي : (٦٤٥٣) ،

وفي «دلائل النبوة» بلفظ مقارب : (٤٠٥) .

وقد التقى بعد استشهاده ، الوالد الفاسق القاسي (أبو عامر الفاسق) ،
فضربه برجله ، وقال : لقد نهيْتُكَ عَنْ مَصْرَعِكَ هَذَا ، ولقد كُنْتَ وَاللَّهِ
وَصُولاً لِلرَّحِمِ ، بَرّاً بِالْوَالِدِ .

وَبِحَسْبِ حَنْظَلَةٍ فَضلاً أَنْ لَا يَزَالَ ذِكْرُهُ مِسْكَاً يَتَضَوَّعُ عَلَى مَدَى الْأَجْيَالِ .
لِلَّهِ دُرُّهُ!! .. يَسْتَشْهَدُ يَوْمَ زِفَافِهِ! فَهَلْ هُنَاكَ مَثَلٌ أَعْلَى لِلْبُطُولَةِ وَالشَّهَادَةِ
وَالشَّهَامَةِ وَالْوَفَاءِ لِدِينِهِ وَنَبِيِّهِ فَوْقَ هَذَا؟!!

هُمُ الرِّجَالُ وَعَيْبٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي زِيهِمْ رَجُلٌ

٤- عمرو بن الجموح ورجاؤه أن يطأ في الجنة بعرجته ، شيخ عزم أن
يطأ بعرجته الجنة :

لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» ، فقام وهو أعرج ، فقال : وَاللَّهِ
لَأَفْخَرَنَّ عَلَيْهَا فِي الْجَنَّةِ . فقاتل حتى قُتِلَ ﷺ .

وعند ابن حجر في «الفتح» من طريق ابن إسحاق ، قال : وحدَّثني أبي
إسحاق بن يسار عن أشياخ من بني سلمة : «أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْجُمُوحِ كَانَ رَجُلًا
أَعْرَجَ ، شَدِيدَ الْعَرَجِ ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلُ الْأُسْدِ ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ

اللَّهُ ﷻ المَشاہِدَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَذَرَكَ . فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّ بَنِي يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَالْخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَّأَ بَعْرَجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ ، فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ» ، وَقَالَ لَبْنِيهِ : «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ» . فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ^(١) .

هَذَا نُمُودَجٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مِنَ الَّذِينَ أَعَذَرَهُمُ اللَّهُ عَنْ الْجِهَادِ ، لَكِنْ أَبَتِ نَفُوسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ، هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْطَالُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْقَرْنِ الْخَيْرِيِّ الَّذِي لَا يَجُودُ بِمِثْلِهِ الزَّمَانُ أَبَدًا .

وَهَذِهِ الْبُطُولَاتِ أَغْرَبُ مِنَ الْخِيَالِ نَفْسِهِ ، بَيَدَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي دُنْيَا الْوَاقِعِ مَائِلَةً وَوَاقِعَةً أَمَامَ أَعْيُنِ النَّاطِرِينَ ، هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالُ الَّذِينَ عَطَّرُوا التَّارِيخَ مِنْ ذِكْرِهِمْ وَبُطُولَاتِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ، وَالشَّهِيدِ الْبَاطِلِ ، الَّذِي عَاشَ حَمِيدًا وَمَاتَ شَهِيدًا ﷺ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ .

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٥٧) ، وقال سنده حسن .

٥- شَجَاعَةُ حَامِلِ الْقُرْآنِ ، حَامِلُ رَايَةِ الْجِهَادِ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ :

«بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ إِذَا أَنَا» قَالَهَا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ : يَعْنِي إِنْ فَرَّ مِنْ سَاحَاتِ الْوَعْيِ وَمِيَادِينِ الْجِهَادِ ، وَنَقَّوْهُمَا نَحْنُ بِمِلَّةِ الْفَمِ :

سَيَأْخُذُ ثَارَ اللَّهِ أَنْصَارُ دِينِهِ فَلِلَّهِ أَوْسٌ آخَرُونَ وَخَزَرْجٌ

بِئْسَ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ نَحْنُ إِنْ قَبِلْنَا الذُّلَّ وَالْهَوَانَ ، وَهَزِيمَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ وَالضَّالِّينَ ، وَأَذْنَابِهِمُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَالْبَاطِنِيِّينَ ، وَالصَّفَوِيِّينَ .

هَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَامِلُ الْقُرْآنِ ، هَذَا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ (رضي الله عنه) .

«لَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ ، قَالَ : «مَا هَكَذَا كُنَّا نَفْعَلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَحَفَرَ لِنَفْسِهِ حُفْرَةً ، وَقَامَ فِيهَا ، وَمَعَهُ رَايَةُ الْمُهَاجِرِينَ يَوْمَئِذٍ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ (رضي الله عنه) يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيداً ، سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنه)» (١) .

اسْتَشْهَدَ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ بِالْيَمَامَةِ ، أَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَمِينِهِ ، فَقَطَعَتْ يَمِينُهُ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُ بِشِمَالِهِ ، فَقَطَعَتْ شِمَالُهُ ، ثُمَّ اعْتَنَقَ اللَّوَاءَ وَجَعَلَ يَقْرَأُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (٢) ، إِلَى أَنْ قُتِلَ (رضي الله عنه) (٣) .

(١) «طبقات ابن سعد» (٨٨/٣) ، «سير أعلام النبلاء» (١/١٦٩) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

(٣) «صفوة الصفوة» (١/٢٣٨٤) .

لِلَّهِ دَرُّهُ!! كَانَ نَمُودَجًا رَائِعًا لِحَمَلَةِ الْقُرْآنِ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبُطُولَةِ ، سَطَّرَ
كَلِمَاتٍ نُورَانِيَّةٍ أَعْلَى مِنْ الذَّهَبِ وَهُوَ يُقَاتِلُ الْمُرْتَدِّينَ ، يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :
«بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنَا لَوْ هُوَ وَجَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِبَلِي» .

حَاشَاكَ ، ثُمَّ حَاشَاكَ ، بَلْ نِعَمَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنْتَ .

كَانَ سَيْفُكَ صَوَّالًا جَوَّالًا فِي أَعْنَاقِ الْمُرْتَدِّينَ ، الَّذِينَ هَبُّوا لِيُعِيدُوا
الْجَاهِلِيَّةَ ، وَيُطْفِئُوا نُورَ الْإِسْلَامِ ، وَهَوَى سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الرِّدَّةِ عَلَى يُمْنَاهُ
فَبَتَرَهَا ، وَكَانَ يَحْمِلُ بِهَا رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ أَنْ سَقَطَ حَامِلُهَا (زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ)
، وَلَمَّا رَأَى يُمْنَاهُ تُبْتُرُ التَّقَطَّ الرَّايَةَ بِشِمَالِهِ ، وَظَلَّ يُلَوِّحُ بِهَا إِلَى أَعْلَى وَهُوَ
يَصِيحُ تَالِيًا الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا
لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) ،
حَتَّى قُطِعَتْ شِمَالُهُ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ بَعْضُيَدِهِ ، وَثَبَتَ بِهَا حَتَّى أَثَخَتْهُ الْجِرَاحُ ،
وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مُضْرَجًا بِدِمَائِهِ ، وَلَفِظَ آخِرَ أَنْفَاسِهِ ﷺ .

قَالَ عَنْهُ ﷺ : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَكَ» ... هَذَا وَسَامُ ،
بَلْ مِنْ أَعْظَمِ الْأَوْسِمَةِ الَّتِي نَالَهَا سَالِمٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَقَالَ عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ : «لَوْ كَانَ سَالِمٌ حَيًّا
لَوَلَّيْتُهُ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِي» .

كَمْ مِنْ أَنْاسٍ أَحْيَاءُ تَمُوتُ الْقُلُوبُ بِرُؤْيَيْهِمْ ، وَأَنْاسٌ أَمُوتُ تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِمْ .

وَمِنْ سَادَاتِ مَنْ تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِمْ : الْإِمَامُ الشَّهِيدُ ، حَامِلُ الْقُرْآنِ ، حَامِلُ لِيَوَاءِ الْإِسْلَامِ ، الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ ، الْبَدْرِيُّ ، الْمُهَاجِرِيُّ ، الْأَنْصَارِيُّ : سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ رضي الله عنه .

كَانَ سَالِمٌ شُجَاعاً مِقْدَاماً ، بَرَزَتْ شَجَاعَتُهُ بِوُضُوحِ يَوْمِ الْيَمَامَةِ ، وَأَعْطَى دَرْساً حَيّاً لِكُلِّ حَفْظَةِ الْقُرْآنِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَلَّا يَتْرُكُوا سَاحَاتِ الْوَعْيِ ، لِأَنَّ حَامِلَ الْقُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَقَامَ سَالِمٌ رضي الله عنه الْحُجَّةَ عَلَيْنَا جَمِيعاً .

هَكَذَا فَهِمَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم الْجِهَادَ وَالشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَكْفِي الْجِهَادَ فَضْلاً تَمَنَّى رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم أَلَّا يَقْعُدَ خَلْفَ سَرِيَّةٍ ، وَيَكْفِي الشَّهَادَةَ فَخْراً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم تَمَنَّاها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ صلی اللہ علیہ وسلم : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ» ^(١) .

٦- نِعَمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، خَطِيبُ الْأَنْصَارِ وَالْبَطْلُ الْكَرَّارُ ، يُقَاتِلُ بِكَفَنِهِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ ﷺ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «نِعَمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ» ^(١) .

وَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «يَا ثَابِتُ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا ، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا ، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟!» ^(٢) .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ انْهَزَمَ النَّاسُ ، فَقَالَ ثَابِتُ : أَفٍّ لِهَؤُلَاءِ وَمَا يَعْبُدُونَ وَأَفٍّ لِهَؤُلَاءِ وَلَمَّا يَصْنَعُونَ! يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ خَلُّوا سُنِّي لَعَلِّي أُصَلِّي بِحَرِّهَا سَاعَةً ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى ثَلَمَةٍ فَقَتَلَهُ وَقَتِلَ! .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : أَتَيْتُ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَهُوَ يَتَحَنَّطُ ، فَقُلْتُ : أَيَّ عَمٍّ ، أَلَا تَرَى مَا لَقِيَ النَّاسُ؟ ، فَقَالَ : الْآنَ يَا ابْنَ أَخِي .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : جِئْتُهُ وَهُوَ يَتَحَنَّطُ ^(٣) ، فَقُلْتُ : أَلَا تَرَى؟ ، فَقَالَ : الْآنَ يَا ابْنَ أَخِي . ثُمَّ أَقْبَلَ ، فَقَالَ : هَكَذَا عَنْ وُجُوهِنَا نُقَارِعُ الْقَوْمَ ، بِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَقْرَانَكُمْ ، مَا هَكَذَا كُنَّا نُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ﷺ ^(٤) .

(١) «سنن الترمذي» ، حديث حسن ، الحاكم ، وصححه الذهبي .

(٢) أخرجه الحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٣) الحنوط : هو ما يحيط من الطيب للموتى خاصة ، لتوطين النفوس على الموت وتصميم العزم على نيل الشهادة .

(٤) «صحيح البخاري» ، (٢٦٩٠) .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا : « أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ جَاءَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَقَدْ تَحَنَّنَ وَلَبَسَ ثَوْبَيْنِ أَبْيَضَيْنِ فَكَفَّنَ فِيهِمَا ، وَقَدْ انْهَزَمَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أBRَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ صَنِيعِ هَؤُلَاءِ . بِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَقْرَانَكُمْ ، خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَاعَةً ، فَحَمَلَ حَتَّى قُتِلَ ﷺ . »

لِلَّهِ دَرْكٌ يَا ثَابِتُ مِنْ فَارِسٍ مَغْوَارٍ ، وَبَطْلٍ كَرَّارٍ ، تَلَبَّسَ الْكَفَنَ بِبُطُولَةٍ وَفِدَائِيَّةٍ ، غَيْرُكَ مِنْ أَقْزَامٍ عَصَرْنَا أَوْلَى بِلَبْسِ الْكَفَنِ مِنَ الْأَمْوَاتِ ذُلًّا وَخِزْيًا وَهَوَانًا .

٧- شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ﷺ :

إِدْفَعُوا إِلَيَّ اللَّوَاءَ فَإِنِّي لَا أَفِرُّ :

عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَلَى عَلَيْهِ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(١) ، فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمْلِئُهَا عَلَيَّ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ . وَكَانَ أَعْمَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وَفَخِذَهُ عَلَى فَخِذِي ، فَثَقُلْتُ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فَخِذِي ، ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ ﴾ ^(٢) .

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٥ .

(٢) «صحيح البخاري» ، (٤٣١٦) .

وَكَانَ ﷺ - بَعْدُ - يَغْزُو ، وَيَقُولُ : ادْفَعُوا إِلَيَّ اللَّوَاءَ فَإِنِّي أَعْمَى لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفِرَّ ، وَأَقِيمُونِي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ» ^(١) .

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَائِدَةَ ^(٢) كَانَ يُقَاتِلُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ لَهُ ، حَصِيَّةٌ سَابِغَةٌ ^(٣) .

وَعَنْ عَطِيَّةِ بْنِ أَبِي عَطِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ﷺ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ سَابِغَةٌ يُجْرُهَا فِي الصَّفِّ فِي مَيْدَانِ الْجِهَادِ ^(٤) .

وَحَمَلَ اللَّوَاءَ فِيهَا وَاسْتُشْهِدَ ﷺ يَوْمَ غَشِيَةِ الرِّمَاحِ ، فَلَمْ تُصَادِفْ مُوَلِّيًّا ، وَلَا فَرَّارًا وَلَا مُعْطِيًّا دُبْرَهُ لِلْقِتَالِ .

هَذَا أَبْصَرُ مِنْ قَوْمِنَا ، مَنْ عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُمْ ، أَمَّا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّا نَرَاهُ :

كَالضَّوءِ يَسْرِي فِي مُحَاجِرِنَا فَلَا تَرَاهُ غَيْرَ الْأَجَلْفِ الْقَالِي

لِلَّهِ دُرُّكَ يَا مُؤَذِّنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ تَشْهَدُ الْوَعْيُ وَطَعَنَ الرِّمَاحُ وَالْأَسِنَّةُ ، فَتُمْسِكُ بِالرَّايَةِ وَأَنْتَ أَعْمَى ! ، مِنْ أَيِّ طِينَةٍ طَاهِرَةٍ عَطَرَةٍ كُنْتُمْ ؟ ! ، وَفِي أَيِّ أَرْحَامٍ حُمِلْتُمْ ؟ ! ، وَمِنْ أَيِّ أَصْلَابٍ خَرَجْتُمْ ؟ ! .

(١) «طبقات ابن سعد» (١/٤) .

(٢) هو ابن أم مكتوم .

(٣) «طبقات ابن سعد» ، (١/٤-١٥٤) .

(٤) «الجهاد» ، ابن مبارك ، ص (١١٩) .

لَكَأَنَّكُمْ أَتَيْتُمْ إِلَيْنَا مِنْ عَوَالِمٍ عُلوِيَّةٍ ، غَيْرِ عَالَمِنَا هَذَا !!

فَالْقَادِسِيَّةُ مَا يَزَالُ حَدِيثُهَا عِبْرٌ تُضِيءُ بِأَرْوَاحِ الْأَمْثَالِ
تَحْكِي مَفَاخِرَنَا وَتَذْكُرُ مَجْدَنَا فَتُجِيبُهَا حَاطُّينُ بِالْمِنْوَالِ
صَفَحَاتُ مَجْدٍ فِي الْعُلَى سَطَّرُوَهَا تَأَقَّ الزَّمَانُ لَهَا بِغَيْرِ جَدَالِ

* أَيْنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِبَسْطَةٍ فِي الْجِسْمِ ، وَقُوَّةٍ فِي الْبَدَنِ ، وَهُمْ يَرَوْنَ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى أَيْدِي الْيَهُودِ وَالصَّليِّيِّينَ وَالصَّفَوِيِّينَ ، وَاللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى ، وَعَمْرَو بْنَ الْجُمُوحِ الْأَعْرَجَ ، وَأَبَا أَيُّوبَ ابْنَ الثَّمَانِينَ حُجَّةً عَلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَأَبِي أَيُّوبَ ، وَعَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ .

٨- شَجَاعَةُ عِكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ، شَهِيدُ الْيَرْمُوكِ :

«مَنْ يُبَايِعْ عَلَى الْمَوْتِ ، قَاتَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ، وَأَفِرُّ مِنْكُمْ الْيَوْمَ ؟!»

وَكَانَ مِنْ نَحِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لِعِكْرَمَةَ عِنْدَ إِسْلَامِهِ : «مَرْحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ» .

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : كَانَ مُحْمُودَ الْبَلَاءِ فِي الْإِسْلَامِ ﷺ .

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ السَّبْعِيُّ : نَزَلَ عِكْرِمَةُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ ، فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ ، فَوَجَدُوا بِهِ بَضْعًا وَسَبْعِينَ ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ وَضَرْبَةٍ ^(١) .

اللَّهُ أَكْبَرُ!! هَؤُلَاءِ هُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، هَنِيئًا لَهُمْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَهَنِيئًا لَشُهَدَاءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

هُم مُرَادُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدُوا ، مَنْارَاتُ فِي سَمَاءِ الْهُدَى ، هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى طَرِيقِ الْجِهَادِ وَمَنْ عَلَيْهِمُ بِالشَّهَادَةِ .

إِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَحْيَا إِلَّا بِأَرْيَاجِ الشُّهَدَاءِ ، وَعِطْرِ الدِّمَاءِ الْفَوَاحِ الْمَهْرَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

(١) ينظر : «تاريخ الطبري» ، «البداية والنهاية» ، «سير أعلام النبلاء» .

٢- بَعْضُ النَّمَاذِجِ الرَّائِعَةِ لَصِغَارِ الصَّحَابَةِ وَكَيْفَ كَانَ حُبُّهُمْ لِلْجِهَادِ
وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَانَ وَاحِدُهُمْ بِأُمِّهِ ، كَانُوا طِرَازاً فَرِيداً
مِنَ الشُّجْعَانِ الْأَفْذَادِ ، مِنْ هَؤُلَاءِ :

* مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَةِ عَشْرَةَ ، وَمُعَوَّذُ بْنُ عَفْرَاءَ ،
وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَةِ عَشْرَةَ هَمَّهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ يَقْتُلُوا قَائِدَ الْمُشْرِكِينَ ، أَبُو جَهْلٍ ،
لَأَنَّهُ يَسِبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى جَنَدَلُوهُ .

* وَفِي أَحَدِ رَدِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُسَامَةَ وَزَيْدَ وَالْبَرَاءَ وَابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ
أُجِيزُوا فِي الْخَنْدَقِ وَهُمْ أَبْنَاءُ خَمْسَةِ عَشْرَةَ .

* زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ التَّاسِعَةِ ، وَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَهَاجِراً وَهُوَ فِي
الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ ، كَتَبَ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ فِي
عَهْدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، يَتَوَارَى فِي يَوْمِ بَدْرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، خَشْيَةً
أَنْ يُسْتَصْغَرَ وَيُرَدَّهَ ، وَرَدَّهِ لَصِغَرِهِ فَبَكَى ، فَأَجَازَهُ لِيُكْرِمَهُ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ
وَهُوَ ابْنُ سِتَّةِ عَشْرَةَ .

* الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، أَوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ لِلَّهِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ حَوَارِيُّ
النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ عَشْرَةَ .

* **طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ** ، أكرم العرب في الإسلام ، وفي غزوة أحد بايع رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَوْتِ وَحِمَاةٍ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَاتَّقَى عَنْهُ النَّبْلَ بِيَدِهِ حَتَّى شُلَّتْ يَدُهُ ، وَوَقَاهُ بِنَفْسِهِ ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ عَشْرَةَ .

* **أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ** ، قَادَ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ وَجُودِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ لِيُوَاجِهَ أَعْظَمَ جِيُوشِ الْأَرْضِ حِينَهَا ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ عَشْرَةَ .

* **الْأَزْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَزْقَمِ** ، جَعَلَ بَيْتَهُ مَقْرَأً لِلرَّسُولِ ﷺ ، وَالْإِسْلَامَ ، ثَلَاثَةَ عَشْرَةَ سَنَةً مُتَتَابِعَةً وَهُوَ ابْنُ سِتَّةِ عَشْرَةَ .

* **عُتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ** ، وَلَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وَهُوَ فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةَ .

* **عَمْرُو بْنُ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ** ، اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةَ .

* **ابْنُ عَبَّاسٍ** ، فَتَى الْكُھُولِ ، تُرْجِمَانُ الْقُرْآنِ ، وَحَبْرُ الْأُمَّةِ ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَةِ عَشْرَةِ سَنَةٍ ، وَقَدْ جَمَعَ الْمُفَصَّلَ كُلَّهُ .

هَؤُلَاءِ غِيْضٌ مِنْ فَيْضِ ، وَاللَّهِ مَا عَقِمَتْ أُمَّةٌ وَلَدَتْ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الْأَفْدَاذِ الْأَبْطَالِ ، هَؤُلَاءِ تَخَرَّجُوا مِنْ مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ ، هِيَ الْمَدْرَسَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، مُعَلِّمُهُمْ وَمُرَبِّيهِمْ ، هُوَ الْقَائِدُ الْقُدْوَةُ ، إِمَامُ الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ .

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ^(١) : «فَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ عَذَّبَهُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً بِالذُّلِّ وَغَيْرِهِ ، وَنَزَعَ الْأَمْرَ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ لْغَيْرِهِ ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ لِمَنْ ذَبَّ عَنْهُ» .

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «لَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفٍ مِنْ قِلَّةٍ وَقِتَالٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» ^(٢) .

وَأَضَافَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ كَلَاماً نَفِيساً مُوَضَّحاً أَهْمِيَّةَ الْجِهَادِ فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ : «وَمَتَى جَاهَدَتِ الْأُمَّةُ عَدُوَّهَا أَلْفَ اللَّهِ بَيْنَ قُلُوبِهَا ، وَإِنْ تَرَكْتَ الْجِهَادَ شُغِلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ»

(١) «جامع الرسائل والمسائل» ، (٣٠٠ / ٥) .

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٩٩ / ١) ، «سنن أبي داود» (٢١١١) ، «سنن الترمذي» (١٥٥٥) ، وصححه «ابن خزيمة» (٢٩٤) ، وصححه «ابن حبان» (٤٧١٧) ، والحاكم في مستدركه على شرط الشيخين .

أولا : شجاعةُ النَّبِيِّ ﷺ

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَائِدَ الصَّحَابَةِ ﷺ فِي الشَّجَاعَةِ ، وَقَدَوْتَهُمْ ، وَرَائِدَهُمِ
الْأَوَّلَ فِي ذَلِكَ ؛ بَلْ كَانَ ذَلِكَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؛ إِنَّهُ خَيْرٌ مَنْ وَطِئَ
الْحَصَى ﷺ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ
يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّدًا لِلْمُجَاهِدِينَ ، وَقَائِدًا لِلْغُرِّ الْمِيَامِينَ ، كَانَ ﷺ
أَعْلَى الْبَشَرِ هِمَّةً عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ ، وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا ، وَأَثْبَتَهُمْ
جَنَانًا . كَانَ شُجَاعًا أَشْجَعَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْحَقِّ فِي الشَّدَّةِ . وَقَدْ حَضَرَ
الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ الْمَشْهُورَةَ ، الَّتِي فَرَّ الْكُفَاءُ وَالْأَبْطَالُ عَنْ غَيْرِ مَرَّةٍ ، وَهُوَ ثَابِتٌ لَا
يَبْرَحُ ، وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَزَحَّزَحُ ، وَمَا مِنْ شُجَاعٍ إِلَّا وَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهُ فَرَّةٌ أَوْ
فَرَّةٌ سِوَاهُ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَفِرَّ قَطُّ ، وَحَاشَاهُ عَنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ حَاشَاهُ . قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِ :
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

كَانَ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ ، خَاضَ غِمَارَ الْحُرُوبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ
كَلِمَةِ اللَّهِ ؛ حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ وَكَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

(٢) سورة القلم ، الآية : ٤ .

مَا وَقَعَتْ هَيْعَةً أَوْ صِيحَةً أَوْ فَرْعٌ إِلَّا تَقَلَّدَ السَّيْفَ فِي عُنُقِهِ ، وَبَادَرَ ظَهَرَ الْفَرَسِ يَسْبِقُ إِلَى الْعَدُوِّ وَيَسْتَبْرِئُ الْخَبَرَ وَيُطْمَئِنُّ أَصْحَابَهُ بِشِعَارٍ : «لَنْ تُرَاعُوا .. لَنْ تُرَاعُوا» ^(١) .

* كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ كُلُّهَا جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ بَلْ كَانَتْ أَمْنِيَّتُهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ أَنَّ مَنَزِلَتَهُ فِي الْجَنَّةِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَوْلُهُ ﷺ : «وَلَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ وَلَوْ دِدْتُ أَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ» ^(٢) .

* هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، وَاللَّوَاءِ الْمَعْقُودِ ، وَالْحَوْضِ الْمُرُودِ ، وَالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى ، وَصَاحِبِ أَعْلَى مَنَزِلَةٍ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى فِي الْجَنَّةِ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، حُبًّا فِي كَرَامَةِ الشُّهَدَاءِ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» : قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : «هَذَا الْحَدِيثُ أَجَلٌ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الشُّهَدَاءِ» .

* كَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ قَائِدُ أَصْحَابِهِ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْغَزَوَاتِ ، وَهِيَ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً ، نَشَبَ الْقِتَالُ فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ مِنْهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْدَائِهِمْ ، وَحَقَّقَتْ تِسْعُ عَشْرَةِ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ ﷺ أَهْدَاهَا الْمَرْسُومَةُ بِدُونِ قِتَالٍ .

وَاسْتَغْرَقَ جِهَادُ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَوَاتِهِ كَافَّةً سَبْعَ سِنِينَ مِنْ سِنِيِّ مَا بَعْدَ الْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ . فَقَدْ خَرَجَ إِلَى غَزْوَةِ (وَدَّان) - وَهِيَ أَوَّلُ

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٦٠٣٣) ، «صحيح مسلم» (٢٣٠٧) .

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦ / ٢٢ / ١) .

غَزْوَةٌ قَادَهَا النَّبِيُّ ﷺ - فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، وَكَانَتْ غَزْوَةً (تَبُوكَ) وَهِيَ آخِرُ غَزَوَاتِهِ ﷺ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ .

وَلَكِنَّ جِهَادَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الْغَزَوَاتِ فَحَسَبَ ؛ بَلْ شَمِلَ الْغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا أَيْضاً .

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْغَزْوَةِ وَالسَّرِيَّةِ ؛ هُوَ : أَنَّ الْغَزْوَةَ تَكُونُ بِقِيَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالسَّرِيَّةُ تَكُونُ بِقِيَادَةِ أَحَدِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* وَكَانَ عَدَدُ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ سَبْعاً وَأَرْبَعِينَ سَرِيَّةً ، وَقَدْ اسْتَغْرَقَ بَعَثُ هَذِهِ السَّرَايَا تِسْعَ سِنِينَ . وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ أَوْ يُرْسِلُ سَرِيَّةً كُلَّ شَهْرَيْنِ أَوْ أَقَلَّ .

وَكَانَتْ أَوَّلُ سَرِيَّةٍ هِيَ سَرِيَّةُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (الْعِيص) فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى الْهَجْرِيَّةِ .

وَكَانَتْ آخِرُ سَرِيَّةٍ هِيَ سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بِلَادِ (مُذَحِج) فِي الْيَمَنِ ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ الْهَجْرِيَّةِ .

وَكَانَ مِنْ بَعْضِ ثَمَرَاتِ جِهَادِ سَبْعِ سِنِينَ فِي الْغَزَوَاتِ وَتِسْعِ سِنِينَ فِي السَّرَايَا : تَوْحِيدُ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي التَّارِيخِ تَحْتَ لَوَاءِ الْإِسْلَامِ .

* وَكَانَ عَدَدُ قَادَةِ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ قَائِدًا مِنَ الصَّحَابَةِ ، قَادُوا سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَرِيَّةً مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُمْ مَنْ قَادَ سَرِيَّةً وَاحِدَةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَادَ أَكْثَرَ مِنْ سَرِيَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ عُمُرِ الزَّمَنِ (١) .

* كَانَ ﷺ شُجَاعًا أَشْجَعَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشَدَّ فِي الْحَقِّ مِنَ الشَّدَّةِ . شَجَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَتَنَاقَلُهَا الْأَخْبَارُ ، وَسَارَتْ مَسِيرَةَ الشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ ؛ حَدَّثَ عَنْهَا وَلَا حَرَجَ ! هِيَ بِمَكَانٍ لَا يُجْهَلُ ، وَمَنْزِلَةٌ لَا تُدْفَعُ . وَحَسْبُهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَّهُ أَبُو الشُّجْعَانِ ، وَصَانِعُهُمْ عَلَى عَيْنِهِ .

* وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ ، مَا شَهِدَتْ الْغِبَاءُ أَشْجَعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَثَبَّتَ مِنْهُ قَلْبًا . كَانَ طَوْدًا لَا يَتَزَعَزُعُ ، شَاخًا لَا يَتَزَلْزَلُ ، لَا تُرْهِبُهُ الْأَزْمَاتُ ، وَلَا تَهْزُهُ الْحَوَادِثُ وَالْمُلَمَّاتُ .

يَجْتَمِعُونَ عَلَى حَرْبِهِ ، وَيُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْوُقُوفِ فِي وَجْهِهِ ، وَعَدَمِ التَّقْصِيرِ فِي عِدَاوَتِهِ ، وَيَتَطَاوَلُونَ عَلَيْهِ بِالسُّخْرِيَّةِ وَهُوَ صَامِدٌ كَالْجَبَلِ الشَّاهِقِ فِي عَلَيَّائِهِ ، يُقَرَّرُ أَنْ مَا جَاءَ بِهِ سَيَنْفُذُ وَلَوْ كَانَ الثَّمَنُ إِهْلَاكَ هَؤُلَاءِ الصَّنَادِيدِ . وَحَالُهُ :

إِنَّ قَوْمِي تَجَمَّعُوا ، وَبِقَتْلِي تَحَدَّثُوا لَا أَبَالِي بِجَمْعِهِمْ ؛ كُلُّ جَمْعٍ مُؤَنَّثٌ

(١) «جيش النبي ﷺ» ، اللواء الركن / محمود شيت خطاب رَحِمَهُ اللَّهُ .

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه : «اجتمع أشرافُ قُرَيْشٍ في الحِجْر ، فذكروا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قالوا : «ما رأينا مثْلَ صَبْرِنَا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ ؛ سَفَهَ أَحْلَامُنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا» . فبينما هم كذلك ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فغَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ وَأَشَارُوا بِأَعْيُنِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ . قَالَ ابْنُ عَمْرٍو : «فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ؛ إِذْ تَغَيَّرَ ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الْغَضَبِ . ثُمَّ مَضَى ، فغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا ، ثُمَّ مَضَى ، فغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا» . قَالَ : «أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟! أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ» ^(١) .

* فِي الصَّحِيحِ : عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ . وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ ، فَتَلَقَّاهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعاً وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عَرِيٍّ ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ : «لَنْ تُرَاعُوا! لَنْ تُرَاعُوا!» ^(٢) .

وَبَتَّ ﷺ يَوْمَ أَحُدَ ، وَرَكِبَ أَبِي بْنُ خَلْفٍ فَرَسَهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيَقْتُلَهُ ، وَاعْتَرَضَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَمَرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُحْلُوا عَنْهُ .

(١) «صحيح السيرة» ، الألباني (ص : ١٤٨) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٦٠٣٣) ، «صحيح مسلم» (٢٣٠٧) .

وَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَزْبَةَ ، وَطَعَنَ أَبِي بَنْ خَلْفٍ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً أَسْقَطَهُ
بِهَا عَنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ ، فَرَجَعَ أَبِي بَنْ خَلْفٍ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَهُوَ خَائِفٌ مَذْعُورٌ ، وَهُوَ
يَقُولُ : « قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ » . فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : « لَا بَأْسَ بِكَ ! وَلَا نَرَى فِيكَ شَيْئًا » . قَالَ :
« لَقَدْ قَالَ لِي : « أَنَا أَقْتُلُكَ » . وَهُوَ صَادِقٌ ! وَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي » ^(٢) . وَمَاتَ
أَبِي بَنْ خَلْفٍ فِي الطَّرِيقِ أَثْنَاءَ عَوْدَةِ قُرَيْشٍ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ إِلَى مَكَّةَ .

وَيَوْمَ (حُنَيْنٍ) اخْتَلَّ نِظَامُ جَيْشِهِ ، وَانْفَضَّ عَنْهُ مُعْظَمُهُ ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي الْمِيدَانِ
لَا يَبْرَحُ ؛ مُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ ، ظَاهِرٌ لَا يَتَوَارَى . وَكَيْفَ يَتَوَارَى عَنِ الْمَوْتِ مَنْ
يُوقِنُ أَنَّ مَوْتَهُ انْتِقَالَ مِنْ حَيَاةٍ نَصَبٍ وَمَشَقَّةٍ إِلَى مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ وَلَذَّتْ عَيْنُهُ .
يَرْكُضُ بِبَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ ، وَيَتَرَجَّلُ عَنْهَا حِينًا ؛ فَلَا يُرَى أَحَدٌ كَانَ
أَشَدَّ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ؛ كَالسَّيْلِ فِي دَفْعَاتِهِ ، وَالسَّيْفِ فِي عَزَمَاتِهِ ، وَالْمَوْتِ فِي ثَبَاتِهِ .
يُشْهَرُ نَفْسُهُ وَهُوَ هَدَفُ الْعَدُوِّ الْأَعْلَى ، وَيَزَارُ : « هَلُمُّوا إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنَا
رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا بَنْ عَبْدِ إِلَيَّ الْمُطْلَبُ

وَمُنَادِيهِ يُنَادِي : « يَا أَصْحَابَ السُّمَرَةِ ! يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ! » .

فَجَرَ النَّدَاءُ مَكَامِنَ الْإِبَاءِ ، وَثَابَ الْفَارُّ مِنْهُمْ وَلَبَّى ، وَأَمَّ الصَّوْتُ ، وَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَا أَنَا ذَا !

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام ، ص ٨٤ ، «السيرة الحلبية» غزوة أحد .

أَنَا بَعْضُ مِنْكَ وَالْكَفُّ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا تُضِيعُ الْمَغْصَمَا

وَحِمَيِ الْوَطِيسُ ، وَبُذِلَ النَّفِيسُ ، وَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجُوهَ الْقَوْمِ بِقَبْضَةٍ مِنْ تُرَابٍ ، قَائِلًا : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ إِنْسَانًا مِنْهُمْ إِلَّا مِلَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَنَزَلَتِ السَّكِينَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، (٢) .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخِيرَ ، وَلَا أَجْوَدَ ، وَلَا أَشْجَعَ ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » (٣) .

وَحَسْبُكَ فِي شَجَاعَتِهِ ﷺ ثَبَاتُ قَلْبِهِ ، وَسُكُونُ جَأَشِهِ ، وَطَلَاقَةُ لِسَانِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ، فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْجَلِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ .

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ ، يَحْقِرُ كُلَّ مَا يُسَمِّيهِ النَّاسُ خَطَرًا ، وَيَثْبُتُ حِينَ تَزَلُّزِ أَقْدَامِ الْأَبْطَالِ رَهْبًا ، مَوْقِفُهُ أَقْرَبُ مَوْقِفٍ مِنْ عَدُوِّهِ ، إِذَا اتَّقَدَتِ حَرَّةُ الْحَرْبِ آوَى النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَاحْتَمَمُوا بِظِلِّهِ . يَشْهَدُ بِذَلِكَ غُصْنٌ مِنْ دَوْحَتِهِ ، وَجُزْءٌ مِنْ لَحْمَتِهِ ، يُؤَكِّدُ الْعَيَانَ بِالْبَيَانِ ، وَيُؤَيِّدُ الْإِصْبَاحَ بِالْمِصْبَاحِ .. إِنَّهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَارِسُ الْفُرْسَانِ ، وَفَتَى الْفَتَيَانِ ، الْبَطْلُ الْمِقْدَامُ ، الْهُمَامُ الْهَمَامُ ، اللَّيْثُ الْكَرَّارُ ،

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٤٥ .

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٤٥) .

(٣) «سنن الدارمي» (١/ ٤٤) .

مُفَرَّقُ كَتَائِبِ الْكُفَّارِ ، مِنْ رُؤْيَى فِي شَجَاعَتِهِ مَشْهُورُ الْأَخْبَارِ : « مَا أَمْسَكَ بِذِرَاعِ
عِلْجٍ إِلَّا حَارَ ، وَانْقَطَعَ نَفْسُهُ وَخَارَ » .

لَوْ عَايَنَ الْأَسَدُ الضَّرْعَامُ لِمَتَهُ مَا لِيَمِ إِنْ ظَنَّ رُعباً أَنَّهُ الْأَسَدُ

يَقُولُ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : « وَلَقَدْ رَأَيْنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ حَمِيَ الْبَأْسُ ، وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ ،
وَنَحْنُ نَلُودُ وَنَتَّقِي بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ ، وَأَشَدُّنَا بَأْساً ،
وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَازِي بِهِ » (١) .

هَذِهِ شَهَادَةُ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وَحَسْبُهُ أَنَّهُ رَسُولُ نَبِيِّ .

لَا تَسْأَلَنَّ الْقَوَافِي عَنْ شَجَاعَتِهِ إِنْ شِئْتَ فَاسْتَطِقِ الْقُرْآنَ وَالصُّحُفَا

كَانَ (ﷺ) أَشْجَعَ النَّاسِ ، لَمْ يَمَلَأْ صَدْرَهُ هَوْلٌ قَطُّ . فَمَنْ رَامَ شَجَاعَةَ الْمُخْتَارِ
مِنْ كُلِّ الْأَخْيَارِ ، فِدْوَنَهُ نَزْحُ الْبَحَارِ . وَمَا هَذِهِ كُلُّهَا إِلَّا إِيْمَاضُ بَرْقٍ بِاخْتِصَارِ (٢) .

وَسَارَ الصَّحَابَةُ وَالْقَادَةُ الشُّجْعَانُ الْأَفْذَادُ عَلَى سُنَّتِهِ وَهَدْيِهِ فِي حُبِّهِ لِلْجِهَادِ
وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَقَدْ كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُرَبِّي هَذَا الْجِيلَ تَرْبِيَةً جِهَادِيَّةً ،
وَيَحْمِيهِمْ مَنْ أَنْ يَنْغَمِسُوا فِي الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُنَا مَرِيضُهُ مِنَ الْمَاءِ .

رَوَى الْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ ، عَنْ أَسْلَمِ بْنِ عِمْرَانَ ،

(١) «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٠٠، ١٧٧٦) .

(٢) «قطرات الينابيع» ، «إيماض البرق في شجاعة سيد الخلق (ﷺ)» ، علي القرني (ص : ١٢٢-١٢٦) .

قَالَ : حَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِالْقُسْطِ طِينَةً عَلَى صَفِّ الْعَدُوِّ حَتَّى خَرَقَهُ ، وَمَعَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ، فَقَالَ نَاسٌ : أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ . فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ : «فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، إِنَّمَا نَزَلَتْ فِيْنَا ، صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدْنَا مَعَهُ الْمَشَاهِدَ ، وَنَصَرْنَاهُ ، فَلَمَّا فَشَا الْإِسْلَامُ وَظَهَرَ اجْتِمَاعُنَا مَعَشَرَ الْأَنْصَارِ نَجِيًّا ، فَقُلْنَا : قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ حَتَّى فَشَا الْإِسْلَامُ وَكَثُرَ أَهْلُهُ ، وَكُنَّا قَدْ أَثَرْنَاهُ عَلَى الْأَهْلِينَ ، وَالْأَمْوَالِ ، وَالْأَوْلَادِ . وَقَدْ وَصَّعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ؛ فَتَرْجِعْ إِلَى أَهْلِنَا وَأَوْلَادِنَا ، فَتُقِيمُ فِيهِمَا . فَنَزَلَ فِيْنَا : ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ^(١) ، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ فِي الْإِقَامَةِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ ، وَتَرْكِ الْجِهَادِ ^(٢) .

الصَّحَابَةُ يُبَايِعُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْجِهَادِ أَبَدًا :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَنْ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ : «جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يُحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ ، وَيَقُولُونَ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُجِيبُهُمْ ، وَيَقُولُ :

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ ^(٣)

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٥ .

(٢) «المستدرک علی الصحیحین» ، الحاکم (٢/ ٢٧٥) .

(٣) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٣/ ١٠٤٣) ، (٢٦٧٩) . «صحيح مسلم» (١/ ١٧٣) ، (١٢٠١) .

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَيْضاً : كَانَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَقُولُ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا حَيَّنَا أَبَدًا

فَأَجَابَهُمْ ﷺ :

اللَّهُمَّ لَا عِيشَ إِلَّا عِيشُ الْآخِرَةِ فَأَكْرِمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ ^(١)

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ ، فَقَالَ ﷺ :

اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ

فَأَجَابُوا :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقَيْنَا أَبَدًا ^(٢)

أَلَا إِنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَشْهَدْ رِجَالاً عَقَدُوا عَزْمَهُمْ وَنَوَايَاهُمْ عَلَى غَايَةٍ تَنَاهَتْ فِي الْعِظَمَةِ وَالسُّمُوِّ وَالْبَذْلِ ، ثُمَّ نَذَرُوا حَيَاتَهُمْ عَلَى نَسَقٍ تَنَاهَى فِي الْجَسَارَةِ وَالتَّضَحِّيَةِ وَالْبَذْلِ كَمَا شَهِدَ فِي قَادَةِ الْجِهَادِ فِي الْقُرُونِ الْخَيْرِيَّةِ . لَقَدْ جَاءُوا الْحَيَاةَ فِي أَوَانِهِمُ الْمُرْتَقَبِ ، وَيَوْمَهُمُ الْمَوْعُودِ .

(١) «صحيح البخاري» مع الفتح (٦/ ٢٩٦١-٣٧٩٦) .

(٢) «صحيح البخاري» (٧٢٠١) .

أَنْجَزَ أُولَئِكَ الْأَبْرَارُ كُلَّ هَذَا الَّذِي أَنْجَزُوهُ فِي بَضْعِ سِنِينَ ؛ دَمَدُمُوا عَلَى
إِمْبِرَاطُورِيَّاتِ الشَّرِكِ وَالْوَثْنِيَّةِ ، وَحَوَّلُوهَا إِلَى كَثِيبٍ مَهِيلٍ ، يَقُولُ قَائِلُهُمْ :
«إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَمِنْ
ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمِنْ ظُلْمِ الْكُهَّانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ» .

مَضُوا كَيْفَ شَاءُوا بِقُرْآنِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ إِلَى مَيَادِينِ بَذْلِ تَهْتَرُ نُضْرَةً ، وَتَتَأَلَّقُ
عَظْمَةً ، وَتَتَفَوَّقُ اقْتِدَارًا .

لَقَدْ أَقَامَ اللَّهُ لِهَذَا الدِّينِ قَادَةً وَفُرْسَانًا قَاتَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَبَعَدَهُ بِالسَّيْفِ وَالسَّهْمِ وَالسِّنَانِ ، وَتَتَصَاوَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَيَادِينِ السَّبَاقِ
تَصَاوُلَ الْأَقْرَانِ ، وَتَبْذُلُ فِي نُصْرَتِهِ مِنْ نُفُوسِهَا وَأَمْوَالِهَا نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ .

هَؤُلَاءِ الْفُرْسَانُ الْأَبْرَارُ الَّذِينَ صُنِعُوا عَلَى عَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَرْبِيَةِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَتْ صُورُهُمْ لَا تَهْوَى مُضَاجَعَةَ أَغْمَادِهَا ، وَسِيَاهُهَا تُحِبُّ
نُحُورَ الْأَعْدَاءِ ، وَهَمَمُهُمْ دَانَتْ لَهَا هَمَمُ الْآخَرِينَ ، وَعَزِيمَتُهُمْ قَدْ سَبَقَتْ
مُرْهَفَاتِ السُّيُوفِ . طَلَبُوا الْمَعَالِي وَالْأَجَادِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، وَسَالَتْ
دِمَاؤُهُمُ الزَّكِيَّةَ طَلَبًا لِلشَّهَادَةِ وَشَوْقًا إِلَيْهَا ؛ حَتَّى يَنْعَمُوا بِجَوَارِ الرَّحْمَنِ فِي
أَعَالِي الْغُرَفِ وَفَرَادِيسِ الْجَنَّاتِ . وَكَانَتْ حَيَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ صَلِيلِ السُّيُوفِ
وَصَهِيلِ الْخُيُولِ ، وَخَفَقِ الْبُنُودِ ، وَصِيَاكِ الْفُرْسَانِ ، وَدَوِيِّ التَّكْبِيرِ . مَا عَرَفُوا
فِي الدُّنْيَا إِلَّا ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ؛ فَنَالُوا بِسَنَامِ الْإِسْلَامِ حَيَاةً ، وَأَرَوَّاحَهُمْ فِي

جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرُحٌ فِي أَرْجَاءِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ
بِعَرْشِ الرَّحْمَنِ .

الطَّالِعِينَ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ	مَوْتًا إِذَا نَشَرُوا الْجُنُودَ طَوَاهَا
الْخَائِفِينَ مِنَ الْخُطُوبِ غَمَارَهَا	الْمُصْطَلِينَ مِنَ الْحُرُوبِ لَظَاهَا
الْبَازِلِينَ لَدَى الْفِدَاءِ نُفُوسَهُمْ	يَبْتَغُونَ عِنْدَ إِلَهِهِمْ مَحْيَاهَا
قَوْمٌ هُمْ اتَّخَذُوا الشَّهَادَةَ بُغْيَةً	لَا يَبْتَغُونَ لَدَى الْجِهَادِ سِوَاهَا
هُمْ فِي حِمَى الْإِيمَانِ أَوَّلُ صَخْرَةٍ	فَسَلِ الصُّخُورَ أَمَّا عَرَفْنَ قُوَاهَا؟

فُرْسَانُ دِينِي أَنْتُمْ الْمَثَلُ الَّذِي	بَلَغَ الْمَدَى بَعْدَ الْمَدَى فَتَنَاهِي
عَلَّمْتُمْ النَّاسَ الْجِهَادَ فَأَقْبَلُوا	مِلَّةَ الْحَوَادِثِ يَدْفَعُونَ أَذَاهَا
أَمَّا الْفِدَاءُ فَقَدْ قَضَيْتُمْ حَقَّهُ	وَجَعَلْتُمُوهُ شَرِيعَةً نَرَضَاهَا
مَنْ رَامَ تَفْسِيرَ الْحَيَاةِ لِقَوْمِهِ	فَدَمُ الشَّهِيدِ يُبَيِّنُ عَنْ مَعْنَاهَا
مَا أَكْرَمَ الْأَبْطَالَ يَوْمَ تَفَيَّؤُوا	ظُلُلَ الْمَنَايَا يَبْتَغُونَ جَنَاهَا

وَلَمَّا التَّحَقَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، خَلَفَ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ
قَادَةً ، وَأُمَرَاءَ ، وَوُلَاةَ ، وَقُضَاةَ ، وَعُلَمَاءَ ، وَفُقَهَاءَ ، وَمُحَدِّثِينَ - قَادُوا الْأُمَّةَ

الإسلامية عسكرياً ، وسياسياً ، وإدارياً ، وفكرياً إلى النصر والنجاح والخير ،
وإلى الشؤدد والمجد والتوفيق ؛ إلى طريق الحق وسبيل الرشاد .

وكان أولئك القادة هم من خريجي مدرسة الرسول القائد - عليه أفضل
الصلاة والسلام .

وأسلوب اختيار القادة هو الدرس الحيوي الذي يجب أن يتعلمه العرب
والمسلمون في هذه الأيام ، وفي المستقبل أيضاً (قادة ، وشعوباً ، وحكاماً ،
ومحكومين) ، أن يستفيدوا من الكفايات ولا يعطلوها ، وأن يضعوا الإنسان
المناسب في الموقع المناسب .

وليس كل حاكم يستطيع أن يبني الكفاءات ويستقطبها ، ويضعها في المكان
المناسب . ولقد كان النبي ﷺ قمة القمم نسياناً لذاته ، وتفكيراً في صالح
المسلمين ، وإخلاصاً لمصالحهم العليا ؛ لذلك خرج في مدرسته القمم من
جميع الكفاءات لمختلف المناصب والواجبات .

لقد اختص الرسول ﷺ بصحابة يتمتعون بكفاءات قيادية متميزة . وأقوى
الأدلة على هذا : تلك الانتصارات الباهرة على أعداء المسلمين المتفوقين على
المسلمين عدداً وعدة ؛ في كل معركة خاضوها .

وكانت الشجاعة الفائقة هي القاسم المشترك بين مزايا قادة النبي ﷺ ،
وهي إحدى المزايا الواجب توفرها في الكفاءة القيادية .

* **وَالدَّلِيلُ الْقَاطِعُ عَلَى الشَّجَاعَةِ الْفَائِقَةِ لِقَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ :** حَقِيقَةٌ فَرِيدَةٌ ، مَا جَاءَ التَّارِيخُ بِهَا أَبَدًا إِلَّا لَهَؤُلَاءِ الْقَادَةِ ؛ قَادَةُ الْجَيْلِ الْقُرْآنِيِّ الْفَرِيدِ . هَذِهِ الْحَقِيقَةُ : أَنَّ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ قَائِدًا مِنْهُمْ قَضَى نَحْبَهُ شَهِيدًا ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ قَائِدًا مِنْهُمْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ، أَيْ إِنَّ سِتِّينَ بِالنِّسْبَةِ (٦٠٪) مِنَ الْقَادَةِ اسْتُشْهِدُوا ، وَأَرْبَعِينَ بِالنِّسْبَةِ (٤٠٪) مِنْهُمْ مَاتُوا خَارِجَ سَاحَاتِ الْقِتَالِ .

وَلَا أَعْرِفُ فِي تَارِيخِ الْحُرُوبِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ نِسْبَةً عَالِيَةً مِنَ الشُّهَدَاءِ فِي الْقَادَةِ كَنِسْبَةِ الشُّهَدَاءِ فِي قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَالْخَسَائِرُ فِي الْقَادَةِ اعْتِيَادِيًّا أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَسَائِرِ فِي غَيْرِ الْقَادَةِ مِنَ الْجُنُودِ وَضُبَّاطِ الصَّفِّ وَالضُّبَّاطِ . وَقَدْ لَا تَكُونُ وَاحِدًا بِالنِّسْبَةِ (١٪) فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ وَفِي أَعْلَى تَقْدِيرٍ .

* **وَالْقَوْلُ بِأَنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ الْعَالِيَةَ فِي الشُّهَدَاءِ بَيْنَ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ** سَبَبُهَا شَجَاعَتُهُمُ الْفَائِقَةُ : جَوَابٌ صَحِيحٌ ، وَمَنْطِقِيٌّ ، وَسَلِيمٌ . وَلَكِنَّهُ لَا يُفَرِّدُ الْوَاقِعَ كَامِلًا . وَالْوَاقِعُ الْكَامِلُ : أَنَّ سَبَبَهَا هُوَ : الشَّجَاعَةُ الْفَائِقَةُ ، وَالْإِيمَانُ الْعَمِيقُ . وَلَيْسَ كَالْإِيمَانِ الْعَمِيقِ حَافِزٌ مِنْ حَوَافِزِ الْإِقْدَامِ وَالْإِسْتِقْتَالِ فِي طَلَبِ الشَّهَادَةِ ؛ تَخْلُصًا مِنَ الْحَيَاةِ الْمُؤَقَّتَةِ لِلْأَحْيَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ الْخَالِدَةِ لِلشُّهَدَاءِ ^(١) .

(١) يُنْظَرُ : كِتَابُ اللَّوَاءِ الرُّكْنُ مُحَمَّدُ شَيْتِ خُطَابِ ﷺ (الْمُجَاهِدُ الَّذِي سَيْفُهُ فِي كِتَابِهِ) :-

١- «الرَّسُولُ الْقَائِدُ ﷺ» . ٢- «قَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ» . ٣- «الْفَارُوقُ الْقَائِدُ ﷺ» . ٤- «الْقَادَةُ الرَّاشِدُونَ ﷺ» . ٥- «قَادَةُ فَتْحِ الْعِرَاقِ وَبِلَادِ فَارَسَ ﷺ» .

ثانياً : شَجَاعَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

أبو بكر الصِّدِّيق ، أَفْضَلُ الْأُمَّةِ وَخَيْرُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، شَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا ، وَاحْتَمَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الشَّدَائِدَ وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ . أَشْجَعُ الصَّحَابَةِ - وَكُلُّهُمْ رضي الله عنهم شُجْعَانٌ - بَلْ أَفْضَلُ الْبَشَرِ جَمِيعاً بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ . خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . شَهِدَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ أَشْجَعُ النَّاسِ . وَصَدَقَ رضي الله عنه فَقَدْ كَانَ اثْبَتَهُمْ قَلْباً ، وَأَقْوَاهُمْ جَنَاناً . وَحَسْبُكَ مِنْ ذَلِكَ : ثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَيَوْمَ أُحُدٍ ، وَيَوْمَ الْخَنْدَقِ ، وَيَوْمَ الْحُدَيْيَةِ ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ...

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ ؟ فَقَالُوا : أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَمَا إِنِّي مَا بَارَزْتُ أَحَدًا إِلَّا أَنْتَصَفْتُ مِنْهُ . وَلَكِنْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ ؛ إِنَّا جَعَلْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشًا ، فَقُلْنَا : مَنْ يَكُونُ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ لِنَلَّا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ شَاهِرًا بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لَا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا أَهْوَى إِلَيْهِ . فَهَذَا أَشْجَعُ النَّاسِ . (١)

وظَهَرَتْ شَجَاعَةُ الصِّدِّيقِ فِي ذُرْوَتِهَا الْعُلْيَا وَقَمَّتْهَا السَّامِيَّةُ يَوْمَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ ، فَثَبَّتَ اللَّهُ بِهِ الْأُمَّةَ بِأَسْرِهَا . فِي تِلْكَ اللَّحْظَاتِ الذَّاهِلَةِ ،

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٧١-٢٧٢) .

والفاجعة المزلزلة يكون مثل هذا الثبات؟! أنطق الله الصديق بكلمات نورانية أغلى من الذهب ، قالها صريحة مدوية : «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ» وقرأ قوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١) . فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ .

يقول القرطبي : «هذه الآية أول دليل على شجاعة الصديق ، وجرائته ؛ فإن الشجاعة والجراءة حدُّها ثبوت القلب عند حلول المصائب ، ولا مُصيبة أعظم من موت النبي ﷺ ؛ فظهرت عندها شجاعته وعلمه» (٢) .

وعن شجاعة الصديق يحدثنا عروة بن الزبير رضي الله عنه ، قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ ، فقال : رأيت عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جاء إلى النبي ﷺ وهو يُصَلِّي ، فوضع رداءه في عنقه ، فخنقه خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ، وقال : ﴿انْقُتِلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣) ، (٤)

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

(٢) «تفسير القرطبي» (٤ / ١٤٤) .

(٣) سورة غافر ، الآية : ٢٨ .

(٤) «صحيح البخاري» (٣٤٤٩) .

شَجَاعَةُ الصِّدِّيقِ فِي قِتَالِ مَانِعِي الزَّكَاةِ الْمُرتَدِّينَ :

ارتَدَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَامْتَنَعُوا عَنْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الزَّكَاةِ ؛ فَارْتَدَّتْ أَسَدٌ ، وَغَطَفَانٌ ، وَكِنْدَةُ ، وَمُذَحِجٌ ، وَبُنُو حَنْيَفَةَ ، وَبُنُو تَمِيمٍ . فَقَدْ تَقَدَّحَتِ الْأَرْضُ نَارًا فِي الْجِهَاتِ النَّائِيَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مُعْظَمُ أَهْلِهَا حَدِيثِي الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ . لَقَدْ سَقَطَ هَؤُلَاءِ تَحْتَ صِيَاكِ الْكَاذِبِينَ الْمَهْرَةِ ، الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِالْإِسْلَامِ كُلِّ سُوءٍ .

فَخِلَالَ هَذِهِ الْمِحْنَةِ الصَّاهِرَةِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِالْإِسْلَامِ هَبَّ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ الْقَوِيُّ مِنْ فَوْرِهِ ، فَرَأَى الصَّدْعَ ، وَحَوَّلَ الضَّعْفَ إِلَى تَمَاسُكِ وَاقْتِدَارٍ .

ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ الصِّدِّيقُ ﷺ بَعَزْمِ بَعْضِ الْقِبَائِلِ الْمُرتَدَّةِ مُهَاجِمَةِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ شَاهِرًا سَيْفَهُ ، وَيُفَصِّحُ عَنْ عَزْمِهِ الصَّحِيحِ ، وَقَرَارِهِ الثَّابِتِ ، بِقَوْلِهِ الْمَشْهُورِ : «وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا^(١) كَانُوا يُؤْذُونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ»^(٢) .

نَقُولُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «خَرَجَ أَبِي شَاهِرًا سَيْفَهُ ، رَاكِبًا رَاكِحَلَتَهُ إِلَى ذِي الْقُصَّةِ»^(٣) ،^(٤) .

(١) الْعَنَاقُ : الْأَنْثَى مِنْ وَلَدِ الْعَنْزِ .

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١١/٥٢-٣٢) .

(٣) ذُو الْقُصَّةِ : مَوْقِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ ٢٤ مِيلًا ، وَهُوَ طَرِيقُ الرَّبَذَةِ ، «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» (٤/٤١٦) .

(٤) «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٦/٣٥٥) .

وَلَمَّا طُلِبَ مِنْهُ الْبَقَاءُ بِالْمَدِينَةِ ، وَبَعُثَ مَنْ يَنْوِبُ عَنْهُ ، رَدَّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ :
« لا ، واللّٰه لا أَفْعَلُ ، وَلَا وَأَسَيِّئُكُمْ بِنَفْسِي » ^(١) .

كَيْفَ يَجْلِسُ وَهُوَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ ، وَقَدْ شَاهَدَ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي
جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الرَّسُولُ الْقَائِدُ ﷺ يُنَادِيهِ؟! وَكَيْفَ لَا يَخْرُجُ حَامِلًا سِلَاحَهُ ،
وَقَدْ سَمِعَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْغَرَائِ ، الَّتِي أَنْزَلَهَا اللّٰهُ
عَلَى حَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى ﷺ؟!!

كَانَ مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ الَّذِي لَا هَوَادَةَ وَلَا مُسَاوَمَةَ فِيهِ ، وَلَا تَنَازُلَ :
مَوْقِفًا مُلْهِمًا مِنَ اللّٰهِ ، يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفَضْلُ الْأَكْبَرُ - بَعْدَ اللّٰهِ تَعَالَى - فِي سَلَامَةِ
هَذَا الدِّينِ ، وَبَقَائِهِ عَلَى نَقَائِهِ ، وَصَفَائِهِ ، وَأَصَالَتِهِ .

وَقَدْ أَقَرَّ الْجَمِيعُ وَشَهِدَ التَّارِيخُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَدْ وَقَفَ فِي مُوَاجَهَةِ الرَّدَّةِ
الطَّاعِيَةِ الْكَافِرَةِ ، وَمُحَاوَلَةِ نَقْضِ الْإِسْلَامِ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ - مَوْقِفًا اقْتَدَى فِيهِ بِالْأَنْبِيَاءِ
وَالرُّسُلِ فِي عُصُورِهِمْ . وَهَذِهِ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَدَّى حَقَّهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ،
وَكَانَ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا .

لَيْتَ شِعْرِي .. وَنَحْنُ نَسْمَعُ وَنَرَى هَذَا الدِّينَ الْحَقَّ يَسْتَغِيثُ بِنَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبِهَا ، وَهَذِهِ الرَّدَّةُ الْجَمَاعِيَّةُ تَمُوجُ بِنَا مَوْجَ الْبَحَارِ ، وَلَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا ..؟!!

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٥٥) ، «تاريخ الطبري» (٣/ ٧) .

الصَّديقُ عليه السلام يَبْعَثُ جَيْشَ أُسَامَةَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَفَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله
وَالظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ :

لَمَّا أَشَارَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ عليه السلام بِالْأَنْ يَبْعَثَ جَيْشَ أُسَامَةَ
لِاحْتِيَاجِهِ إِلَيْهِ ، قَالَ : «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ تَخَطَّفُنِي ، وَأَنَّ السَّبَاعَ مِنْ حَوْلِ
الْمَدِينَةِ ، وَأَنَّ الْكِلَابَ جَرَّتْ بِأَرْجُلِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا رَدَدْتُ جَيْشاً وَجَّهَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، وَلَا حَلَلْتُ لِيَوَاءَ عَقْدَهُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ
يَبْقَ فِي الْقُرَى غَيْرِي لَأَنْفَذْتُهُ ، أَفَأَطِيعُهُ حَيّاً وَأَعْصِيهِ مَيِّتاً؟ » . فَأَنْفَذَهُ ، فَاِنْقَادَ
كُرْهًا مَنْ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ .

انْتَفَضَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَفَضَتِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا تَبَعاً لَهُ ؛ فَهُوَ يُفْتِي وَيُوجِّهُ ، وَيَعْقِدُ
الْأَلْوِيَةَ ، وَيُقَاتِلُ بِنَفْسِهِ ، وَيَقْدِفُ بِالْكَلِمِ كَالْحِمَمِ ، وَيَحْمِي بِيَضَةَ الْإِسْلَامِ
بِالصَّارِمِ الصَّمْصَامِ ، يَقُولُ : «لَا رِدَّةَ بَعْدَ الْيَوْمِ» . وَلَا يُتِمُّ فِي الْيَقْظَةِ مَا تَمَّ فِي
الْمَنَامِ ، عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدٌ يَحْرُسُونَ أَنْقَابَ الْمَدِينَةِ ، وَأَلْ مُقَرِّنٌ فِي مَعْرَكَةِ
مَعَ الْأَعْرَابِ ، وَأُسَامَةُ إِلَى الرُّومِ ، وَخَالِدٌ إِلَى الْبِطَاحِ ، وَعِكْرِمَةُ إِلَى الْيَمَامَةِ ،
وَعَمْرُو إِلَى الشَّامِ ، وَالْعَلَاءُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَسُهَيْلٌ يُثَبِّتُ أَهْلَ مَكَّةَ ، وَآخِرُ
يُثَبِّتُ أَهْلَ الطَّائِفِ . وَفِي سَتَيْنِ وَإِذَا بِالْأُمَّةِ تُحَاصِرُ أَعْظَمَ الْمَمَالِكِ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : «لَمَّا كَانَتِ الرِّدَّةُ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ : أَتُقَاتِلُهُمْ وَقَدْ
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟! ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ لَا أَفَرِّقُ

بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَلَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا . وَقَالَ عُمَرُ : فَقَاتَلْنَا مَعَهُ ، فَرَأَيْنَا ذَلِكَ رَشَدًا» (١) .

وفي روايةٍ أُخرى : قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : «فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ» (٢) .

إِنَّهُ الصَّدِيقُ اتَّخَذَ اللَّهُ مَعْبُودَهُ ، وَرَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم دَلِيلَهُ وَإِمَامَهُ ، فَرَجَحَ إِيْمَانَهُ . إِنَّهُ أَبُو بَكْرٍ لِلَّهِ دَرُّهُ ! مَا أَشَدَّ غَيْرَتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ حِينَ يَقُولُ كَلِمَةً نُورَانِيَّةً فَاضَ بِهَا لِسَانُهُ ، وَنَطَقَ بِهَا جَنَانُهُ ، وَكَأَنَّمَا تَحَدَّثَتِ السَّكِينَةُ عَلَى لِسَانِهِ حِينَ قَالَ : «قَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ ، وَتَمَّ الدِّينُ ، أَيْنَقُصُ الدِّينُ وَأَنَا حَيٌّ ؟! أَقَاتِلُهُمْ وَحْدِي حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ...» (٣) .

وَقَالَ أَيْضًا : وَاللَّهِ لَوْ خَالَفَتْنِي شِمَالِي لَقَاتَلْتُهَا بِيَمِينِي .

أَيُّ مَصِيرٍ كَانَ يَنْتَظِرُ الْإِسْلَامَ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه هُنَاكَ !

* لَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يُوضِّحُ الْحَقِيقَةَ الْكُبْرَى قَائِلًا : «لَقَدْ قُمْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم مَقَامًا كِدْنَا نَهْلِكُ فِيهِ ، لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَبِي بَكْرٍ» .

لَقَدْ كَانَ قَلْبُ الصَّدِيقِ رضي الله عنه فِي تِلْكَ النَّازِلَةِ الْعُظْمَى الَّتِي اهْتَزَّتْ لَهَا الدُّنْيَا

(١) «مسند أحمد» (١١ / ١) ، «النسائي» (٧٧ / ٧) ، إسناده صحيح .

(٢) «صحيح البخاري» ، (٧٢٨٤) .

(٣) ينظر : «الرياض النضرة في مناقب العشرة» ، المحب الطبري .

بِأَجْمَعِهَا ، وَهِيَ مَوْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَوْ وُزِنَ بِقُلُوبِ الْأُمَّةِ لَرَجَحَهَا . وَكَانَ عَزْمُهُ فِي قِتَالِ مَنْ ارْتَدَّ لَوْ وُزِعَ عَلَى قُلُوبِ الْجُبْنَاءِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَشَجَّعَهُمْ ، إِلَى أَنْ قَامَ بِمَهْمَةٍ قَنَاةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ إِعْوِجَاجِهَا ، وَجَرَتِ الْمِلَّةُ الشَّهْبَاءُ عَلَى سُتَّتِهَا وَمِنْهَا جِهَا . كَانَتْ الرَّدَّةُ أَعْظَمَ فِتْنَةٍ مَرَّتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَتَصَدَّى الصَّدِيقُ لَهَا .

* عَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعَطَارِدِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ ، فَرَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا يُقَبِّلُ رَأْسَ رَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا فِدَاؤُكَ لَوْلَا أَنْتَ لَهَلَكْنَا . فَقُلْتُ : مَنْ الْمُقَبَّلُ وَمَنْ الْمُقَبَّلُ ؟ قَالُوا : عُمَرُ يُقَبِّلُ رَأْسَ أَبِي بَكْرٍ فِي قِتَالِهِ أَهْلَ الرَّدَّةِ ؛ إِذْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ حَتَّى أَتَوْا بِهَا صَاغِرِينَ ^(١) .

* وَمَا أَرَوَعَ مَا قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَيْدِ اللَّهِ الْأُمَّةَ بِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الرَّدَّةِ ، وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْمِحْنَةِ ^(٢) .

لَقَدْ ضَرَبَ الصَّدِيقُ أَرَوَعَ أَمْثَلَةٍ لِلْقِيَادَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالثَّبَاتِ فِي الْمِحْنِ . هَذَا هُوَ الرَّدُّ الصَّارِمُ مِنَ الْبَطْلِ الْمَغْوَارِ ، وَالْقَائِدِ الْفَدِّ ، وَرَجُلِ السَّاعَةِ ، الصَّدِيقِ الثَّانِي فِي الْإِسْلَامِ ، وَفِي الصُّحْبَةِ ، وَفِي الشَّجَاعَةِ ، هَذَا هُوَ خَيْرُ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ . اسْمَعْ إِلَيْهِ يَوْمَ ارْتَدَّتِ الْجَزِيرَةُ ، وَظَهَرَ أَدْعِيَاءُ النُّبُوَّةِ ، وَأَحَاطَتْ الْجُيُوشُ بِالْمَدِينَةِ ، وَهَدَّدَتْ أَهْلَهَا ، يَقُولُ بَعْضُ مَنْ كِنْدَةَ : « لَا طَاقَةَ لَنَا بِحَرْبِ

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٩٢) ، «طبقات ابن سعد» .

(٢) «تاريخ الإسلام» (١٨/ ٧١) ، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٣٢) .

العرب جميعاً يا أبا بكر ، إلزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . فهبَّ أبو بكر رضي الله عنه كالأسد وهو يقول : واللَّهِ الذي لا إله إلا هو ، لا نُبالي مَنْ أجلبَ علينا من خلقِ الله ، إنَّ سيوفَ الله لمسلولة ما وضعناها بعدُ ، والله لنجاهدَنَّ مَنْ خالفنا ، كما جاهدنا مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله ، فلا يبغيَنَّ أحدٌ إلَّا على نفسه .

لَقَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ الْهُدَى بِمُحَمَّدٍ فَمَنْ يَرْتَدُّ فَالْسَيْفُ قَاضِي الْقَضِيَةِ

وشهدت الطباق السبع ، والأرضون السبع ، أنَّ أبا بكرٍ وفيَّ لدينِ الله ، وقامَ مقاماً لا يقومُه أحدٌ غيره ، وفي أقلِّ من ستينَ يَدمِرُ جيوشَ المرتدين . ولم يمُتِ الصديقُ إلَّا وجيوشُه مُحاصِرُ أعظمِ إمبراطوريتين (فارس ، والروم) ، وتُنزلُ بهما أفطعَ الهزائم . وأنجزَ الصديقُ ما ظنَّه النَّاسُ خيالاً لا يُنجز :

سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فَتَى مُفْرَداً بَلْ كُنْتَ جَيْشاً عَرْمَماً

ثالثاً : شجاعةُ الفاروقِ عُمَرُ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه

* إِنَّهُ عُمَرُ الفاروقُ الشَّهيدُ ، أميرُ المؤمنينَ ، وناصرُ الدينَ ، الذي بَلَغَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْهِمَّةِ الْكُبْرَى أَقْصَى الغَايَاتِ ، وَأَعْلَى النِّهَايَاتِ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الذي هَاجَرَ جَهَاراً نَهَاراً ، وشَهِدَ المَشاہِدَ كُلَّها مَعَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الرَّجُلُ الثَّانِي فِي الإِسْلامِ بَعْدَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه .

* إِنَّهُ عُمَرُ الرَّجُلُ الذي قُرِنَ اسْمُهُ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ ، والقُوَّةِ والشَّجَاعَةِ ، والزُّهْدِ وَالْوَرَعِ ، والتَّقْوَى والمُراقِبَةِ ، والخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ، والبُكَاءِ مِنْ خَشْيَتِهِ ، والفَراسَةِ والذِّكَاةِ ، ودِقَّةِ النَّظَرِ والبَصِيرَةِ ، وَيَقْظَةِ الضَّمِيرِ ، وقَهْرِ النَّفْسِ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الذي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ ، وَأَذَلَّ بِهِ قَيْصَرَ الرُّومِ ، وَكَسَرَ كِسْرَى .

* إِنَّهُ عُمَرُ هَادِمُ دَوْلَةِ بَنِي سَاسَانَ ، وَهَازِمُ إمبراطوريَّةِ الرُّومانِ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الذي كَانَ فِي الجاهليَّةِ مِنْ أَبطالِ قُرَيْشٍ وَأشرافِهِمْ ، وَكَانَتْ إِلَيْهِ السِّفَارَةُ فِيهِمْ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الذي أَيْدَ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ ، وَفَتَحَ بِهِ الأَمْصارَ ، وَكَانَ عَهْدُهُ عَهْدَ الفَتْحِ الإِسْلامِيِّ الذَّهَبِيِّ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «... فَلَمْ أَرْ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرْيَهُ» ^(١) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي أَذَلَّ مُلُوكَ بَنِي سَاسَانَ ، فِي عَهْدِهِ زَالَ مُلْكُ الْمَجُوسِ ، وَذَهَبَتْ إِمْبَرَاطُورِيَّةُ كِسْرَى . وَلَا يَزَالُ التَّارِيخُ يَذْكُرُ لـ (رُسْتَم) قَائِدَ قُوَّاتِ الْفُرسِ مَقُولَتَهُ الشَّهِيرَةَ : «أَكَلَ عُمَرُ كَبِدِي ، أَحْرَقَ اللَّهُ كَبِدَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ عُمَرُ الَّذِي يُكَلِّمُ الْكِلَابَ ، فَيُعَلِّمُهُمُ الْعَقْلَ ، كَلَّمَ هَؤُلَاءِ حَتَّى عَلِمُوا» .

يَا مَنْ رَأَى عُمَرًا تَكْسُوهُ بُرْدَتُهُ وَالزَّيْتُ أُدْمٌ لَهُ وَالْكُوحُ مَأْوَاهُ
يَهْتَزُّ كِسْرَى عَلَى كُرْسِيِّهِ فَرَقًا مِنْ بَأْسِهِ وَمُلُوكُ الرُّومِ تَخْشَاهُ

* إِنَّهُ عُمَرُ الصَّادِقُ ، الْمُحَدِّثُ ، الْمُلْهَمُ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ : «لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي لَكَانَ عُمَرُ» ^(٢) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ بِهِ ، فَقَالَ : «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَؤُلَاءِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ ، بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» . قَالَ : وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ ^(٣) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي قَالَ الرَّسُولُ ﷺ بِحَقِّهِ : «إِنَّمَا يَأْبَنُ الْخَطَّابُ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ ، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» ^(٤) .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٣٤٣٤) ، «صحيح مسلم» (٢٣٩٣) .

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١٥٤ / ٤) ، «سنن الترمذي» (٦١٩ / ٥) ، الحاكم «المستدرک» (٨٥ / ٣) ، ووافقه الذهبي .

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٩٥ / ٢) ، «سنن الترمذي» (٦١٧ / ٥) .

(٤) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٣٦٨٣) ، «صحيح مسلم» (٢٣٩٦) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي قَالَ ﷺ بِحَقِّهِ وَحَقِّ الصَّدِيقِ : «إِنِّي لَا أَدْرِي مَا قَدَرُ بَقَائِي فِيكُمْ ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي» ، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ^(١) .

* إِنَّهُ عُمَرُ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرَةِ بِالْجَنَّةِ ، وَقَالَ ﷺ بِحَقِّهِ أَيْضًا : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى قَلْبِ عُمَرَ وَلِسَانِهِ» ^(٢) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الشُّجَاعُ الْقَوِيُّ فِي الْحَقِّ . قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : «كَانَ عُمَرُ قَوِيًّا يَوْمَ هِجْرَتِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ ^(٣) : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، لَا يُرْغِمُ اللَّهَ إِلَّا هَذِهِ الْمَعَاطِسُ مَنْ أَرَادَ أَنْ تَتَكَلَّهُ أُمُّهُ ، وَيُوتَمَ وَلَدُهُ ، وَيُرْمَلَ زَوْجُهُ ، فَلْيَلْقَنِي وَرَاءَ هَذَا الْوَادِي» . قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : «فَمَا تَبِعَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَوْمٌ مِنَ الْمُسْتَضَعْفِينَ ، عَلَّمَهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ ، وَمَضَى لَوَجْهِهِ» .

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : «قَوِيَتْ شِدَّةُ عُمَرَ فِي الدِّينِ ، فَصَلَّبَتْ عَزَائِمُهُ ، فَلَمَّا حَانَتْ الْهِجْرَةُ تَسَلَّلُوا تَسَلَّلَ الْقَطَا ، وَاخْتَالَ عُمَرُ فِي مِشْيَةِ الْأَسَدِ ، فَقَالَ عِنْدَ خُرُوجِهِ : «هَا أَنَا أَخْرُجُ إِلَى الْهِجْرَةِ ، فَمَنْ أَرَادَ لِقَائِي ، فَلْيَلْقَنِي فِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي» ^(٤) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : مَا زِلْنَا أَعَزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٩٩/٥) ، «صحيح سنن الترمذي» ، «الألباني» (٢٠٠/٣) .

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٠١/٢) ، وإسناده صحيح .

(٣) أي : لقريش .

(٤) «تاريخ دمشق» (٤٥/٢) ، «أسد الغابة» (١٥٢/٤) ، «كنز العمال» (٣٥٧٩٦) .

وَمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَنُصَلِّيَ ، حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَهُمْ حَتَّى تَرَكُونَا ، فَصَلَّيْنَا وَطُفْنَا» (١) .

وَقَالَ أَيْضاً : «كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فَتَحاً ، وَكَانَتْ هِجْرَتُهُ نَصِراً ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ رَحْمَةً ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُصَلِّيَ وَنَطُوفَ بِالْبَيْتِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَهُمْ حَتَّى تَرَكُونَا نُصَلِّيَ» (٢) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَيْضاً : لَقَدْ أَحْبَبْتُ عُمَرَ حُبّاً ، حَتَّى لَقَدْ خِفْتُ اللَّهَ ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ كَلْباً يُحِبُّهُ عُمَرُ لِأَحَبِّتُهُ ، وَلَوِدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ خَادِماً لِعُمَرَ حَتَّى أَمُوتَ ، وَلَقَدْ وَجَدَ فَقْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْعِضَاءُ ، وَإِنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ فَتْحاً ، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصِراً ، وَإِنَّ سُلْطَانَهُ كَانَ رَحْمَةً» (٣) .

وَقَالَ صُهَيْبٌ رضي الله عنه : «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ ، وَدُعِيَ إِلَيْهِ عَلَانِيَةً ، وَجَلَسْنَا حَوْلَ الْبَيْتِ حِلَقاً ، وَطُفْنَا بِالْبَيْتِ ، وَانْتَصَفْنَا مِمَّنْ غُلِظَ عَلَيْنَا ، وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ» (٤) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي تَفَرَّقَ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْهُ :

أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقُ فَرَّقَ عُنُوَّةً بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ

(١) «صحيح البخاري» (٤١ / ٧) ، (١٧٧) .

(٢) «مجمع الزوائد» ، (٦٠ / ٩) . «طبقات ابن سعد» ، (٢٧٠ / ٣) .

(٣) رواه أحمد ، «فضائل الصحابة» (٢٤٧ / ١) .

(٤) «طبقات ابن سعد» (٢٦٩ / ٣) ، «صفة الصفوة» (٢٧٤ / ١) .

هُوَ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ وَحَا الظَّلَامَ وَبَاحَ بِالْكِتْمَانِ^(١)

إِنَّ حَيَاةَ الْفَارُوقِ رضي الله عنه صَفْحَةٌ مُشْرِقَةٌ مِنَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ ، الَّذِي بَهَرَ كُلَّ تَارِيخٍ وَفَاقَهُ ، وَالَّذِي لَمْ تَحْوِ تَوَارِيخُ الْأُمَمِ مُجْتَمِعَةً بَعْضُ مَا حَوَى مِنَ الشَّرَفِ وَالْمَجْدِ ، وَالْإِخْلَاصِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْجِهَادِ ، وَالِدَّعْوَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٢) .

أَمِثْلَةٌ مِنْ شَجَاعَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه :

كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه شُجَاعًا يَوْمَ هِجْرَتِهِ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : « مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا هَاجَرَ مُخْتَفِيًا ، إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِالْهِجْرَةِ تَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ ، وَانْتَضَى فِي يَدِهِ أَسْهُمًا ، وَمَضَى قِبَلَ الْكَعْبَةِ ، وَالْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ بَفْنَائِهَا ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا مُتَمَكِّنًا ، ثُمَّ أَتَى الْمَقَامَ ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى الْحِلَقِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، وَقَالَ لَهُمْ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، لَا يُرْغِمُ اللَّهُ إِلَّا هَذِهِ الْمَعَاطِسَ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ تَثْكُلَهُ أُمُّهُ ، وَيُؤْتَمَ وَلَدُهُ ، وَيُرْمَلَ زَوْجُهُ ، فَلْيَلْقَنِي وَرَاءَ هَذَا الْوَادِي . قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : « فَمَا تَبِعَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَوْمٌ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، عَلَّمَهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ ، وَمَضَى لِوَجْهِهِ »^(٣) .

وَفِي بَدْرِ يَوْمِ الْفُرْقَانِ : قَتَلَ عُمَرُ خَالَهَ الْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ . وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ لِلَّهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ .

(١) «نونية القحطاني» (ص ٢٢) .

(٢) ينظر : «شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وحبهم للجهاد والاستشهاد» ، للمؤلف ، ص ١١٧ .

(٣) «تاريخ ابن عساکر» (٤٥/٥٢) ، «أسد الغابة» (١٥٢/٤) .

شَهِدَ الْفَارُوقُ بَدْرًا ، وَأُحَدًّا ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ^(١) ، لَمْ يَغِبْ عَنْ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَخَرَجَ فِي عِدَّةٍ سَرَايَا ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى بَعْضِهَا ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى الْكُفَّارِ . ثَبَتَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَلِجَدَارَةِ عُمَرَ وَفُرُوسِيَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَائِدًا عَلَى سَرِيَّةٍ إِلَى (تَرْبَةِ) فِي شَعْبَانَ مِنْ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، إِلَى عُجْزٍ هَوَازِنَ بَتْرَبَةِ ، وَهِيَ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاكِحٍ مِنْ مَكَّةَ ، فَكَانَ عُمَرُ يَسِيرُ بِاللَّيْلِ وَيَكْمُنُ بِالنَّهَارِ ، فَاتَى الْخَبَرَ هَوَازِنُ فَهَرَبُوا ، وَجَاءَ عُمَرُ مُحَاهِلَهُمْ فَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ .

شَجَاعَةُ الْفَارُوقِ يَوْمَ حُنَيْنٍ :

فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ كَمَنْتَ هَوَازِنُ فِي وَادِي حُنَيْنٍ ، وَذَلِكَ فِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ ، فَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَمْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَوَلَّى الْمُنْهَزِمُونَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةٌ فَقَطْ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، كَانَ أَبْرَزُهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ .

غَيْرَةُ عُمَرَ ﷺ عَلَى تَطْهِيرِ الْجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ مِنْ نَخَاطِرِ الْمُنَافِقِينَ :

مَوْقِفٌ آخَرٌ مُتَمَيِّزٌ يُضَافُ إِلَى سِجْلِ شَجَاعَةِ وَغَيْرَةِ عُمَرَ ﷺ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَنَبِيِّ الْإِسْلَامِ . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « كُنَّا فِي غَزَاةٍ ،

(٢) ابن الجوزي ، « مناقب عمر بن الخطاب ﷺ » (ص ٨٩) .

فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لَلْأَنْصَارِ !
 وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ! فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « مَا
 بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا
 مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ » . فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ
 اللَّهِ بْنُ أَبِي فَقَالَ : « فَعَلُوهَا ؟ ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ
 مِنْهَا الْأَذَلَّ » ^(١) . فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « دَعُهُ ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ
 أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » ^(٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مُرَّ عَبَادَ بْنَ بَشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ . فَقَالَ
 لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ
 أَصْحَابَهُ ؟ . لَا ، وَلَكِنْ أُذِّنُ بِالرَّحِيلِ » ^(٣) .

كَانَ عَقْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي تَشَبَّعَ بآيَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ
 يَعْمَلُ طِيلَةَ الْوَقْتِ فِي تَحْلِيلِ سُلُوكِيَّاتِ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَرَضْدِهِمْ لَا
 لِمُرَاقِبَتِهِمْ ، وَلَكِنْ لِلْحَذَرِ عَلَى الْجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ مِنْ مَخَاطِرِهِمْ وَشُرُورِهِمْ .
 كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْهَمَ لَوْجُودِهِمْ فِي الدَّاخِلِ ، وَأَنَّهُمْ يُشَكِّلونَ خَطَرًا أَكْبَرَ مِنَ الْعَدُوِّ

(١) «السيرة الحلبية» (٧٦/٢) ، والحديث صحَّحه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٠٩١/٢٠) رقم (٣٦٩٤) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» (١٢٩٦/٣) ، (٣٣٣٠) ، «صحيح مسلم» (١٩٩٤/٤) ، (٢٥٨٤) .

(٣) متفق عليه : «صحيح البخاري» (١٢٩٦/٣) ، (٣٣٣٠) . «صحيح مسلم» (١٩٩٤/٤) ، (٢٥٨٤) .

الخارجي ؛ لأنَّ العدوَّ الخارجيَّ واضحٌ مثلُ كفارِ مَكَّةَ ، لكنَّ هؤلاءِ خطرُهم أكبرُ وأعظمُ . قالَ تعالى : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ ^(١) .

وكم من موقفٍ شجاعٍ يُسجِّلُه عمرُ رضي الله عنه ، بقوله للنبيِّ ﷺ : «لَا ضَرِبَنَّ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ» ، مُستأذناً الرَّسُولَ ﷺ في أَنْ يَقْتُلَ مَنْ تَأَكَّدَ لِعَمَرِ نِفَاقُهُ .

الْفُتُوحَاتُ الْعُمَرِيَّةُ هِيَ الْعَهْدُ الذَّهَبِيُّ لِلْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ :

* تُعَدُّ خِلَافَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رضي الله عنه مِنْ أَجْمَلِ السَّنَوَاتِ فِي عُمَرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَبَعْدَ حَيَاةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه . فِي أَيَّامِهِ تَمَّ فَتْحُ الشَّامِ ، وَالْعِرَاقِ ، وَبِلَادِ فَارِسَ ، وَالْقُدْسِ ، وَالْمَدَائِنِ ، وَمِصْرَ ، وَالْجَزِيرَةِ . وَكَانَ عَهْدُهُ عَهْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ الذَّهَبِيِّ ؛ فَقَدْ حَالَفَ النَّصْرُ فِيهِ أَعْلَامَ الْمُسْلِمِينَ ، فَامْتَدَّتِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي عَهْدِ عُمَرَ حَتَّى جَاوَزَتْ أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى حُدُودِ الصِّينِ شَرْقًا ، وَالْأَنْاضُولَ وَبَحَرَ قَزْوِينَ شَمَالًا ، وَتُونِسَ وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ أَفْرِيقِيَا الشَّمَالِيَّةِ غَرْبًا ، وَبِلَادِ الثُّبَةِ جَنُوبًا .

* وَخَاضَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ عُمَرَ رضي الله عنه أَرْبَعَ مَعَارِكَ كُبْرَى وَحَاسِمَةً مِنْ مَعَارِكِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ ؛ مَعْرَكَةُ الْقَادِسِيَّةِ : الَّتِي فَتَحَتْ لِلْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ أَبْوَابَ الْعِرَاقِ وَالْأَهْوَازِ ، وَمَعْرَكَةُ بَابِلْيُونَ : الَّتِي فَتَحَتْ لَهُمَ

(١) سورة المنافقون ، الآية : ٤ .

أبواب مصر وليبيا والثوبة ، ومَعْرَكَة نَهَاوَنْد (فَتْحُ الْفُتُوح) : التي فَتَحَتْ لهم أبواب فارس كلها . ومن المَعَارِكِ الْفَاصِلَةِ مَعَ الرُّومِ : مَوْقَعَةُ أَجْنَادِينَ ، وقائدها عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، وقائدُ الرُّومِ الْأَرْطَبُونُ ، وَلَمَّا وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : «لَقَدْ رَمَيْنَا أَرْطَبُونَ الرُّومَ بِأَرْطَبُونَ الْعَرَبِ ، فَاتَنْظَرُوا عَمَّا تَنْفَرُجُ» . وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ الْقِتَالُ بِأَجْنَادِينَ ، وَكَتَبَ اللَّهُ النَّصَرَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَخَرَجَ الْأَرْطَبُونُ إِلَى إِيْلِيَا وَتَحَصَّنَ بِهَا ، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ ^(١) وَفِي عَهْدِ الْفَارُوقِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فَتَحَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ (١٦هـ) ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَمِينُ الْأُمَّةِ قَائِدَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ .

* كُلُّ هَذِهِ الْفُتُوحَاتِ الْعَظِيمَةِ أَنْجَزَتْ خِلَالَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ مِنْ سَنَةِ (١٣هـ) إِلَى (٢٣هـ) ؛ فَلَا عَجَبَ أَنْ يُذْهَلَ هَذَا الْفَتْحُ الْعَالَمَ يَوْمَئِذٍ ، وَيُدهِشُ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ فَصَّلُوا حَوَادِثَهُ ، وَحَاوَلُوا اسْتِقْصَاءَ أَسْبَابِهِ ^(٢) .

* وَعَنْ تِلْكَ السَّنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ يَقُولُ مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : اسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ فِي ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَةِ كِسْرَى ، وَكُرْسِيِّ مَمْلَكَةِ قَيْصَرَ ، وَعَلَى أُمِّيِّ بِلَادِهِمَا ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا قَطُّ مِنَ الذَّهَبِ ، وَالْجَوْهَرِ ، وَالْحَرِيرِ ، وَالرَّقِيقِ ، وَالْمَدَائِنِ ، وَالْقُصُورِ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْفَتَّاحِ ^(٣) .

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٦٥) ، «أسد الغابة» (٣/ ٢٠) .

(٢) محمود شيت خطاب ، «الفاروق القائد» (ص ٩٣-٩٤) .

(٣) «تاريخ الإسلام» (٤/ ١٥٩) .

فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ عُمَرَ؟ بَلْ مِنْ شِشْعِ نَعْلِ عُمَرَ؟ فُرْسٌ مَجُوسٌ وَلَا عُمَرَ!! فِي
الْقُدْسِ قَدْ نَطَقَ الْحَجَرُ : لَا مُؤْتَمَر ... لَا مُؤْتَمَر! لَا أُرِيدُ سِوَى عُمَرَ!

أَهْلِهِ الْقُدْسُ وَالْأَقْصَى يُزَيِّنُهَا مَسْرَى النَّبِيِّ أَفِيهَا سَاجِدٌ عُمَرُ؟!
أَمْ أُورَشَلِيمُ يَهُودًا بَاتَ يَحْكُمُهَا وَهَيْكَلُ الظُّلَمِ فِي أَحْضَانِهَا نَضْرُ؟!

لَقَدْ كَانَ عُمَرُ قَائِدًا فَذًا لَا يَتَكَرَّرُ عَلَى تَعاقِبِ الْإَيَّامِ وَالْعُصُورِ إِلَّا نَادِرًا؛ بَلْ
لَا يَتَكَرَّرُ أَبَدًا. كَانَ عُمَرُ جُنْدِيًّا مُتَمَازًا، وَقَائِدًا مُجَرَّبًا، يَعْرِفُ تَفَاصِيلَ التَّعْبِثَةِ
الصُّغْرَى، وَيَتَحَلَّى بِمَزِيَّةِ الضَّبِطِ الْمَتِينِ، وَيَعْرِفُ مَزَايَا رِجَالِهِ، وَيُوَلِّيهِمُ
الْمَنَاصِبَ اسْتِنَادًا لِتِلْكَ الْمَزَايَا فَقَطْ، وَيُطَبِّقُ جَمِيعَ مَبَادِي الْحَرْبِ الْمَعْرُوفَةِ بِكُلِّ
حِرْصٍ بِشَكْلِ مِثَالِي. لَقَدْ أَنْجَزَ عُمَرُ بِنَ الْخَطَّابِ كُلَّ وَاجِبَاتِهِ قَائِدًا أَعْلَى بِشَكْلِ
يَدْعُو إِلَى التَّقْدِيرِ الْعَمِيقِ وَالْإِعْجَابِ الشَّدِيدِ.

كَانَ ﷺ يَتَّسِمُ بِالْحِرْصِ الشَّدِيدِ عَلَى الْأَرْوَاحِ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ الزَّجِّ
بِجُيُوشِهِ فِي الْمَهَالِكِ دُونَ مُسَوِّغٍ، وَكَانَ فِطْنًا، عَالِمًا، بَعِيدَ النَّظَرِ. كَانَ شَجَاعًا
يُعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عُدَّتَهُ، ثُمَّ لَا يُحْجِمُ عَلَى تَنْفِيدِ خُطَطِهِ، وَلَا يَتَرَدَّدُ وَلَا يَتَرَجَّعُ.

وكَانَتْ لَهُ قَابِلِيَّةٌ بَدَنِيَّةٌ مُتَمَازَةٌ، تُعِينُهُ عَلَى تَحْمِيلِ الْمَشَاقِّ وَالصَّعَابِ بِصَبْرٍ
وَحَزْمٍ وَإِقْدَامٍ. وَكَانَتْ لَهُ تَجَارِبُ طَوِيلَةٌ فِي الْحَرْبِ. كَانَ قَائِدًا مَرُؤُوسًا،
وَمُسْتَشَارًا خَيْرًا لِلرَّسُولِ ﷺ الْقَائِدِ ﷺ، وَلِخَلِيفَتِهِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ﷺ
مِنْ بَعْدِهِ، كَمَا كَانَ خَيْرًا بِمَبَادِي الْحَرْبِ، مُطَبِّقًا لَهَا، عَالِمًا بِتَفَاصِيلِهَا،
حَرِيصًا عَلَى مُرَاعَاتِهَا.

تِلْكَ هِيَ الْأُسُسُ الْمَوْضُوعِيَّةُ الَّتِي تُهَيِّئُ لِكُلِّ قَائِدٍ أَنْسَبَ فُرْصَةٍ لِلنَّجَاحِ فِي
إِعْدَادِ الْخُطَطِ ، الَّتِي تَهَيِّئُ لِعُمَرٍ بِشَكْلِ وَاضِحٍ وَمَلْمُوسٍ ، قَلَّ أَنْ تَجِدَ لَهُ مَثِيلاً
فِي تَارِيخِ الْحُرُوبِ بِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .

فَلَا عَجَبَ - بَعْدَ ذَلِكَ - أَنْ تَكُونَ خُطَطُهُ دَقِيقَةً مُتَكَامِلَةً عَمَلِيَّةً ، بَعِيدَةً عَنِ
الْمَخَاطِرِ ، وَلَا عَجَبَ أَنْ تَكُونَ نَتَائِجُهَا فَتْحاً مُسْتَدَاماً ، لَمْ تَتَرَجَعَ رَايَاتُهُ مُنْذُ
أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا حَتَّى الْيَوْمِ .

لَقَدْ كَانَ عَهْدُ عُمَرَ عَهْداً ذَهَبِيّاً لِّلْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ .

لَقَدْ كَانَ عُمَرُ قَائِداً بَارِعاً يُعِدُّ الْخُطَطَ ، وَيُصْدِرُ أَوَامِرَهُ وَوَصَايَاهُ إِلَى قَادَتِهِ
الْعَامِّينَ ، وَقَادَتِهِ الْمَرْؤُوسِينَ ، مُبَيِّناً لَهُمُ السِّيَاسَةَ الْعَامَّةَ لِلْحَرْبِ ، ثُمَّ لَا يَتْرُكُ
لِهَؤُلَاءِ الْقَادَةِ تَحْمُلُ أَعْبَاءِ كُلِّ التَّفَاصِيلِ التَّنْفِيزِيَّةِ .

إِنَّ التَّارِيخَ لَيَذْكُرُ لَنَا نَمَازِجَ حَيَّةٍ رَائِعَةٍ مِنْ خُطَطِ عُمَرَ الْحَرْبِيَّةِ ، أَصْدَرَهَا
إِلَى قَادَتِهِ ، بِأَوَامِرَ جازِمَةٍ صَرِيحَةٍ ، وَوَصَايَا حَاسِمَةٍ وَاضِحَةٍ ، كَانَ مِنْ نَتَائِجِهَا
الْعَصْرُ الذَّهَبِيُّ لِّلْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ فِي أَيَّامِ عُمَرَ الْفَارُوقِ (رضي الله عنه) .

وَهُنَاكَ كِتَابٌ فَرِيدٌ فِي بَابِهِ عَالِجُ جَوَانِبِ عَبَقَرِيَّةِ عُمَرَ (رضي الله عنه) فِي الْحَرْبِ
وَالْفُتُوحَاتِ (١) .

(١) محمود شيت خطاب ، «الفاروق القائد (رضي الله عنه)» .

وَمِنَ الْأَمْثَلِ الرَّائِعَةِ عَلَى تَطْيِيقِ عُمَرَ مَبْدَأَ (التَّحْشُدِ) :

أَمَرَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ بِالتَّقَدُّمِ إِلَى أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَمَرَ بِاسْتِنْفَارِ مَنْ حَسَنَ إِسْلَامُهُ مِنْ أَهْلِ الرَّدَّةِ ^(١) ، فَكَانَ بَعَثُ أَبِي عُبَيْدٍ أَوَّلَ جَيْشٍ سَيَّرَهُ عُمَرُ وَكَانَ عُمَرُ قَدْ قَالَ لِأَبِي عُبَيْدٍ : «إِنَّكَ تُقَدِّمُ عَلَى أَرْضِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ ، وَالْخِيَانَةِ وَالْجَبْرِيتَةِ ، تُقَدِّمُ عَلَى قَوْمٍ تَجَرَّؤُوا عَلَى الشَّرِّ فَعَمِلُوهُ ، وَتَنَاسَوْا الْخَيْرَ فَجَهَلُوهُ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ ، وَأَحْرِزْ لِسَانَكَ ، وَلَا تُفْشِئَنَّ سِرَّكَ ؛ فَإِنَّ صَاحِبَ السَّرِّ مَا يَضِيطُهُ مُتَحَصِّنٌ ، وَلَا يُؤْتَى مِنْ وَجْهِ يَكْرَهُهُ ، وَإِذَا ضَيَّعَهُ كَانَ بِمَضِيعَةٍ» ^(٢) .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَعْرِفُ تَفَاصِيلَ دَقِيقَةٍ عَنِ الْحَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لَعَدُوِّهِ ؛ لِذَلِكَ أَوْصَى قَائِدَهُ بِالْحَذَرِ وَالْيَقَظَةِ ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى مِفْتَاحِ كُلِّ ذَلِكَ ، وَهُوَ (كِتْمَانُ السَّرِّ) ؛ حَتَّى لَا يَعْرِفَ عَدُوُّهُ نَوَايَاهُ قَبْلَ الْأَوَانِ ، فَيُبَاغِتَهُ عَدُوُّهُ قَبْلَ أَنْ يُبَاغِتَ هُوَ عَدُوَّهُ .

وَقَبْلَ مَعْرَكَةِ الْبُؤَيْبِ ^(٣) نَدَبَ عُمَرُ النَّاسَ إِلَى الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ ، وَكَانَ فِي مَنْ نَدَبَ قَبِيلَةَ (بَجِيلَةَ) ^(٤) ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَتَحَامَوْنَ الْعِرَاقَ وَيَتَشَاقِلُونَ عَنْهُ ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يَغْزَوْا بِنَفْسِهِ . وَقَدِمَ عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنَ الْأَزْدِ يُرِيدُونَ غَزَا الشَّامِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ ، فَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ إِلَّا رَمَى بِهِ الْمُثَنَّى .

(١) ابن الأثير (١٦٦/٢) .

(٢) ابن الأثير (١٦٦/٢) .

(٣) نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات ، «معجم البلدان» (٣١٠ / ٢) .

(٤) «جهرة أنساب العرب» (ص ٣٨٧) .

وقد عزل عُمرُ العلاء بن الحضرمي عن (البحرين) ؛ لمخالفة الأوامر .

لقد طبق مبدأ (الأمن) في منعه العلاء من العبور إلى فارس بحراً ، وطبق مبدأ (التحشد) في إرسال المدد إليه ؛ لإنقاذ جيشه من الورطة التي وقع فيها . وكان عزل العلاء دليلاً على تمسك عُمر بتنفيذ أوامره ، وعدم إفساح المجال لمخالفتها ، وعدم الشكوت على المخالفين .

وفي (الأهواز) استطاع (يزدجرد) أن يحشد جيشاً ضخماً ، فجاءت الأخبار حُرُوبَ بن زهير وصحبه ، فكتبوا إلى عُمر بالخبر ، فكتب عُمر إلى سعد : «أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن المزني ، وعجل ، فليزِلوا بإزاء (الهرمزان) ، ويتحققوا أمره» . وكتب إلى أبي موسى الأشعري : «أن ابعث إلى (الأهواز) جنداً كثيفاً ، وأمر عليهم سعد بن عدي أخا سهيل ، فابعث معه البراء بن مالك ، ومجزاة بن ثور ، وعرفجة بن هرثمة ، وغيرهم . وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم»^(١) . وهذا يدل على أن عُمر رضي الله عنه كان يعرف رجاله ومزايهم معرفة دقيقة ، وأنه طبق مبدأ (التحشد) تطبيقاً رائعاً .

ذلك هو عُمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، والقائد الأعلى للجيش الإسلامية ، يُعدُّ الخطط لجيوشه ، ويسهر على مراقبة تنفيذ تلك الخطط ، ويحشد لها أكبر عدد ممكن من الرجال .

(١) ابن الأثير (٢/ ٢١١) ، «قادة فتح بلاد فارس» ، (ص ١٧٨) ، محمود شيت خطاب .

كَانَ الْفَارُوقُ قَبْلَ إِسْلَامِهِ كَأَيِّ عَرَبِيٍّ ، لَيْسَ غَرِيباً عَلَى سَاحَاتِ الْوَعْيِ
وَأَخْبَارِ الْحُرُوبِ ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ عَنِ الْمَعَارِكِ صَقَلَهَا
وَهَذَّبَهَا بِالْمُمَارَسَةِ الْفِعْلِيَّةِ ، وَبِالتَّوْجِيهِ الْعَمَلِيِّ وَالنَّظَرِيِّ لِسَيِّدِ الْقَادَةِ ، وَقَائِدِ
السَّادَاتِ : مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَقَدْ كَانَ لِعُمَرَ طَبِيعَةٌ مَوْهُوبَةٌ لِلْجُنْدِيِّ الْمُتَمَازِ ، فَاجْتَمَعَ لَدَيْهِ بَعْدَ تَجَارِبِهِ
الطَّوِيلَةِ لِلْحَرْبِ بَعْدَ إِسْلَامِهِ الطَّبْعُ الْمَوْهُوبُ ، وَالْعِلْمُ الْمَكْتَسَبُ . وَبِذَلِكَ
أَصْبَحَ قَائِداً مِثَالِيّاً ، لَهُ مَزَايَا الْقَائِدِ الْمِثَالِيِّ عِلْماً وَعَمَلاً .

وَأَصْبَحَ عُمَرُ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ الْقَائِدَ الْأَعْلَى لِقُوَاتِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَكَانَ
أَوَّلَ مَا عَمِلَ أَنْ نَدَبَ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ إِلَى أَهْلِ فَارِسَ ،
وَذَلِكَ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ بَعْدَهَا الصِّدِّيقُ ﷺ ، ثُمَّ أَصْبَحَ
تُبَايَعُهُ النَّاسُ ، فَعَادَ فَنَدَبَ النَّاسَ لِقِتَالِ الْفُرسِ ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ ؛ كُلُّ يَوْمٍ يَنْدَبُهُمْ فَلَا يَنْتَدِبُ أَحَدٌ إِلَى فَارِسَ . وَكَانَ وَجْهُ فَارِسَ مِنْ أَكْرَهِ
الْوُجُوهِ إِلَيْهِمْ وَأَثْقَلِهَا ؛ لِشِدَّةِ سُلْطَانِهِمْ وَشَوْكَتِهِمْ ، وَعِزِّهِمْ وَقَهْرِهِمِ الْأَمَمِ .
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ عَادَ فَنَدَبَ النَّاسَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مُتَنَدِبٍ أَبُو عُبَيْدِ
بْنِ مَسْعُودٍ ، فَأَمَرَهُ عَلَى الْجَيْشِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ النَّاسِ انْتِدَاباً ^(١) .

وَأَمَرَ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ بِالتَّقَدُّمِ إِلَى أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَمَرَ

(١) تاريخ الطبري « (٢/ ٦٣١) ، «أسد الغابة» (١/ ٦٢٢) .

بِاسْتِغْفَارٍ مَنْ حَسَنَ إِسْلَامُهُ مِنْ أَهْلِ الرَّدَّةِ ، فَكَانَ بَعَثَ أَبِي عُبَيْدٍ أَوَّلَ جَيْشٍ
سَيَرَهُ عُمَرُ .

لَقَدْ طَبَّقَ عُمَرُ بِذَلِكَ مَبْدَأَ (التَّحَشُّدِ) تَطْبِيقاً رَائِعاً .

عُمَرُ رضي الله عنه يُوصِي بِالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ :

كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَهُوَ بِالشَّامِ قَائِلاً : «لَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ
بَصِيرِهِمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا
أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٦) وَمَا كَانَ
قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) فَكَانَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۖ وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٤٨) (١)

فَأَمَّا ثَوَابُ الدُّنْيَا فَالْغَنِيمَةُ وَالْفَتْحُ ، وَأَمَّا ثَوَابُ الْآخِرَةِ فَالْمَغْفِرَةُ وَالْجَنَّةُ .
وَافْرَأْ كِتَابِي هَذَا عَلَى النَّاسِ ، وَمُرْهُمْ فَلْيُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلْيَصْبِرُوا ؛ كَيْ
مَا يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ (٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ١٤٦ - ١٤٨ .

(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٠٦) .

عُمَرُ يَأْمُرُ غِلْمَانَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّدْرِيبِ وَالْإِعْدَادِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ :

كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَكْتُبُ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِتَعْلِيمِ أَوْلَادِهِمُ الْفُرُوسِيَّةَ ،
وَالسَّبَاحَةَ ، وَالرَّمْيَ . وَقَدْ أُصِيبَ أَحَدُ الْغِلْمَانِ أَثْنَاءَ التَّعْلِيمِ فِي الشَّامِ وَمَاتَ ،
فَكَتَبُوا إِلَى عُمَرَ فِي ذَلِكَ ، فَلَمْ يَشْنِهِ عَنْ أَمْرِهِ بِتَعْلِيمِ الْأَوْلَادِ الرَّمْيَ ^(١) .

عُمَرُ الْقَائِدُ الْمُجَاهِدُ الْفَاتِحُ يَفْتَحُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَيُلْقِي الدَّرَرَ عَلَى
مَسَامِعِ جُنْدِهِ :

فِي عَهْدِ الْفَارُوقِ رضي الله عنه فُتِحَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ (سنة ١٦هـ) : «خَرَجَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ ، وَعُمَرُ عَلَى
نَاقَةٍ ، فَتَزَلَّ عَنْهَا ، وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَأَخَذَ بِرِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ
بِهَا الْمَخَاضَةَ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا؟! تَخْلَعُ خُفَّيْكَ
وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ ، وَتَأْخُذُ بِرِمَامِ نَاقَتِكَ وَتَحُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟! مَا يَسْرُنِي
أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ! فَقَالَ عُمَرُ : أَوْه! لَوْ يَقُلْ ذَا غَيْرِكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ
نَكَالًا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه ! إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ
الْعِزَّ بَغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ» ^(٢) .

(١) «الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» ، (ص ٤٨٦) .

(٢) «المستدرک علی الصحیحین» (ص ٢٠٧) ، وقال الذهبي : صحيح . وذكره الألباني في «الصحیحة» ، رقم (٥١) .

فَارُوقُ الْأُمَّةِ عليه السلام فَارِسُ الْإِسْلَامِ يُنْفِذُ وَصِيَّةَ الرَّسُولِ ﷺ وَيُخْرِجُ
الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ :

كَانَ مِمَّا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، فَقَالَ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ : « أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ » ^(١) . وَقَالَ ﷺ أَيْضاً : « لَا يَجْتَمِعُ بِلَادِ الْعَرَبِ دِينَانٍ » ^(٢) . وَقَالَ
عُمَرُ رضي الله عنه : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا تُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدْعُ إِلَّا مُسْلِمًا » ^(٣) .

وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ هِيَ : مَكَّةُ ، وَالْمَدِينَةُ ، وَالْيَمَامَةُ ، وَالْيَمَنُ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
جَزِيرَةُ الْعَرَبِ مِنْ أَقْصَى عَدَنٍ أَبْيَنَ إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ فِي الطُّولِ ، وَأَمَّا فِي الْعَرْضِ
فَمِنْ جُدَّةَ وَمَا وَالَاهَا مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ ^(٤) .

قَامَ فَارُوقُ الْأُمَّةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِتَنْفِيزِ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ الْغَالِيَةِ ،
فَقَدْ كَانَ عُمَرُ يَخَافُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ نَصَارَى نَجْرَانَ
بَعْدَ أَنْ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ أَصَابُوا الرِّبَا وَكَثَرُوا ، فَخَافَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَجْلَاهُمْ .

وَلَكِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه أَمَرَ عُمَّالَهُ بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ أَنْ يُعَوِّضُوهُمْ عَنْ أَرْضِهِمْ ،

(١) متفق عليه : « صحيح البخاري » (٤/ ٨٥-١٢١) ، « صحيح مسلم » (١٦٣٧) .

(٢) « مسند الإمام أحمد » ، (٢٦٣٥٢) . الطبراني في الأوسط (١٠٦٦) ، « سنن الدارقطني » (٤٥٤/ ٣) .

(٣) « صحيح مسلم » (١٧٦٦) ، « سنن أبي داود » (٣٠٣٠) .

(٤) « شرح السنة » ، للبغوي (١١/ ١٨١) .

وَأَنْ يُحْسِنُوا مُعَامَلَتَهُمْ . وَلَوْ أَنَّهُ أَجْلَاهُمْ لَأَنَّهُمْ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ لَمَّا لَطَفَ بِهِمْ كُلَّ هَذَا اللَّطْفِ ، وَلَمَّا أَحْسَنَ مُعَامَلَتَهُمْ كُلَّ هَذَا الْإِحْسَانِ .

* سَأَلَ الشَّيْخُ ابْنَ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ حُكْمِ اسْتِقْدَامِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ ، فَأَجَابَ :

اسْتِقْدَامُ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُشَاقَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَيْثُ صَحَّ عَنْهُ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ : « أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ »

* وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : « لَا تُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدْعَ إِلَّا مُسْلِمًا » ، لَكِنْ اسْتِقْدَامُهُمْ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ بِحَيْثُ لَا نَجِدُ مُسْلِمًا يَقُومُ بِتِلْكَ الْحَاجَةِ بِشَرَطِ أَنْ لَا يُمْنَحُوا إِقَامَةً مُطْلَقَةً .

وَحَيْثُ قُلْنَا : جَائِزٌ ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرْتَّبَ عَلَى اسْتِقْدَامِهِمْ مَفَاسِدُ دِينِيَّةٍ فِي الْعَقِيدَةِ أَوْ فِي الْأَخْلَاقِ ، صَارَ حَرَامًا ، لِأَنَّ الْجَائِزَ إِذَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ صَارَ مُحَرَّمًا تَحْرِيمَ الْوَسَائِلِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ .

وَمِنَ الْمَفَاسِدِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى ذَلِكَ : مَا يُخْشَى مِنْ مَحَبَّتِهِمْ ، وَالرِّضَا بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَذَهَابِ الْغَيْرَةِ الدِّينِيَّةِ بِمُخَالَطَتِهِمْ ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ خَيْرٌ وَكِفَايَةٌ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْهُدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ ، إِنَّهُ يَهْتَمُّ بِحُجَّتِهِ . (١)

مُؤَامَرَةٌ قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه)، والمُؤَامَرَةُ مُسْتَمِرَّةٌ :

* قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ^(١) : إِنَّ عُمَرَ (رضي الله عنه) لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْحَجِّ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، وَكَانَ مَعَهُ أُمَهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَزَلَ بِالْأَبْطَحِ ، دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ كَبُرَتْ سِنُّهُ ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ ، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتُهُ ، وَخَافَ مِنَ التَّقْصِيرِ ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِالشَّهَادَةِ فِي بَلَدِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) .

* ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ (رضي الله عنه) كَانَ يَقُولُ : «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ» ^(٢) . قَالَتْ لَهُ حَفْصَةُ ابْنَتُهُ : أُنَى يُكُونُ هَذَا؟ .. كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَنَالَ الْمَرْءُ الشَّهَادَةَ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَهَذَا عَزِيزٌ جَدًّا . وَلَكِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِمَا يَشَاءُ . تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

وَفِي صَبِيحَةِ الْأَرْبَعَاءِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ طُعِنَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ، طَعَنَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ فَيَرُوزُ الْمَجُوسِيَّ الْأَصْلَ ، بِخَنْجَرٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ ، فَضْرَبَهُ ثَلَاثَ ضَرْبَاتٍ - وَقِيلَ : سِتُّ ضَرْبَاتٍ - ، إِحْدَاهُنَّ تَحْتَ سُرَّتِهِ ، فَخَرَّ مِنْ قَامَتِهِ ، وَرَجَعَ الْعِلْجُ بِخَنْجَرِهِ ، لَا يَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا ضْرَبَهُ ؛ حَتَّى ضْرَبَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، مَاتَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ ^(٣) .

(١) «البداية والنهاية» ، (١١ / ١٨٩) .

(٢) «صحيح البخاري» (١٨٩٠) .

(٣) «صحيح البخاري» (٣٧٠) .


لَوْ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ شَخْصِيًّا ضِدَّ الْخَلِيفَةِ الَّذِي يُفْتَرَضُ أَنَّهُ سَيَقْتُلُ أَشْخَاصًا مِنْ مُسَاعِدِي عُمَرَ أَوْ مِنْ مُرَشَّحِيهِ الْمُحْتَمَلِينَ . وَلَكِنَّ الْأَعْدَاءَ أَرَادُوا أَنْ يُشِيعُوا الْفَوْضَى ' الْمُحْتَمَلَةَ النَّاتِجَةَ عَنْ نَجَاحِ خُطَّةِ قَتْلِهِ ، وَالتِّي ابْتَغَوْا أَنْ تَكُونَ ضَرْبَةً مُفَكِّكَةً لِلدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

كَانَتْ الْإِضَاءَةُ خَافِئَةً حَتْمًا ، وَلَمْ يَكُنْ فَيْرُوزُ يَعْلَمُ مَنْ يَطْعُنُ حَقًّا ، كَمَا أَنَّ الْأَمْرَ جَرَى بِسُرْعَةٍ ، وَالنَّاسُ لَا تَزَالُ تَنْتَظِرُ أَنْ يَأْتِيَهَا صَوْتُ عُمَرَ لِيَقُولَ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، لَمْ يَعْرِفْ مَا كَانَ يَجْرِي إِلَّا مَنْ كَانَ قَرِيبًا جِدًّا مِنْ عُمَرَ .

وَلَعَلَّ فَيْرُوزَ الْمَجُوسِيِّ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَهْرَبَ ، مُسْتَعِلًّا الْفَوْضَى ' النَّاتِجَةَ لِيَنْفِذَ بِجَرِيمَتِهِ ، وَيَزَرَعَ الْفُرْقَةَ وَالشَّكَّ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، تَمَامًا كَمَا يَفْعَلُهُ أَتْبَاعُهُ فِي يَوْمِنَا هَذَا .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْفٍ) طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا ، فَلَمَّا أُتِيقَنَ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ . نَعَمْ ؛ انْتَحَرَ كَيْ يَبْقَى مُتَسَتِّرًا عَلَى الْخُطَّةِ ، وَكَيْ لَا يَقُولَ عَنْ شُرَكَائِهِ فِي الْجَرِيمَةِ ، وَكَيْ لَا يَقُولَ : إِنَّ الْجَرِيمَةَ سَتَبْقَى مُسْتَمِرَّةً ، وَإِنَّ الْإِسْلَامَ مُسْتَهْدَفٌ مِنَ الْفُرْسِ الْمَجُوسِ (الصَّفَوِيِّينَ) ، وَإِنَّ عُمَرَ بِالذَّاتِ سَيَكُونُ مُسْتَهْدَفًا دَوْمًا . لِمَاذَا؟ لِأَنَّ عُمَرَ رَمَزُ عِزِّ الْإِسْلَامِ ، وَاحِدُ أَهَمِّ مُؤَسَّسِي حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ . أَعْنِي : أَتْبَاعَ عُمَرَ سَيَكُونُونَ هَدَفًا لِتِلْكَ الطَّعْنَاتِ الْمَجُوسِيَّةِ ، وَبِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمِنْ أَيَْادٍ مُخْتَلِفَةٍ .

انْتَحَرَ فَيَرُوزُ الْمَجُوسِيَّ كَيْ لَا تُكْشَفَ الْمُؤَامَرَةُ ؛ نَعَمْ ، هَذِهِ الْمُؤَامَرَةُ فَضَحَهَا اللَّهُ ،
 وَشَهِدَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ (رضي الله عنه) . عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عَبْدَ
 الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ ، قَالَ : «مَرَرْتُ بِالْبَقِيعِ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ عُمَرُ ، فَوَجَدْتُ أَبَا
 لَوْلُؤَةَ ، وَالْهُرْمُزَانَ وَجُمُيَّةَ ^(١) يَتَنَاجُونَ ، فَلَمَّا رَأَوْنِي ثَارُوا ، فَسَقَطَ مِنْهُمْ خِنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانِ ،
 وَنَصَابُهُ وَسْطُهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ رَأَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، فَإِذَا هُوَ الْخِنْجَرُ الَّذِي وَصَفَهُ لَهُ عَبْدُ
 الرَّحْمَنِ ، فَاِنْطَلَقَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَمَعَهُ السَّيْفُ ، فَقَتَلَ الْهُرْمُزَانَ ...» ^(٢) .

مُؤَامَرَةٌ حَبِيبَةٌ بَيْنَ الْمَقَابِرِ تُحَاكُّ مِنَ الْمَجُوسِ الَّذِينَ كَانُوا - وَمَا زَالُوا - يَتَرَبَّصُونَ
 بِالْإِسْلَامِ ، وَيُرْمُوزُ الْمُسْلِمِينَ . لِمَاذَا فِي الْمَقَابِرِ؟! لَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ يُقْبَرَ
 الْإِسْلَامُ كُلُّهُ . لَكِنْ هَيْهَاتَ .. هَيْهَاتَ!! الْإِسْلَامُ دَيْنُ اللَّهِ .. نُورُ اللَّهِ .. الْقَائِلُ :
 ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٣) 

مَاذَا يَعْنِي :

عِنْدَمَا تَكُونُ هُنَالِكَ مُؤَامَرَةً ، عِنْدَمَا يَكُونُ هُنَاكَ لِقَاءٌ مَشْبُوهٌ ، وَفِي الْبَقِيعِ؟!!!
 وَمُعَايِنَةٌ لِسِلَاحِ الْجَرِيمَةِ وَالْغَدْرِ ، مَاذَا يَعْنِي كُلُّ هَذَا؟! ، يَعْنِي : أَنَّ الْأَمْرَ أَكْبَرُ
 مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ . قَدْ يَبْدُو لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى أَنَّ الْمُؤَامَرَةَ قَدْ أَحْبَطَتْ فِي سِيَاقِهَا
 الْعَامَ ، وَنَجَحَ جُزُؤُهَا الْخَاصُّ بِاغْتِيَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ الْفَارُوقِ (رضي الله عنه) ، لَكِنَّ

(١) نصراني من الحيرة .

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (٩٧٧٥) .

(٣) سورة الصف ، الآية : ٨ .

المؤامرة مُسْتَمِرَّة ، وَبُنُو صُهَيْوْنَ وَالصَّفَوِيُّوْنَ يُخَطِّطُونَ وَيَتَأَمَّرُونَ ، وَالْوَاقِعُ يَشْهَدُ بِمَا يَجْرِي فِي يَوْمِنَا هَذَا فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَالْيَمَنِ ، وَالْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ .. وَبُرُوتُوكُولَاتِ آلِ صُهَيْوْنَ وَآلِ فَارِسَ وَجَهَانَ لِعُمَلَةٍ وَاحِدَةٍ . وَكَمْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِرَاقِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ، فَقَطْ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ اسْمَ عُمَرَ !! .

قُلُوبٌ لَا تُضْمِرُ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا الْحِقْدَ وَالْحَسَدَ وَالْبَغْضَاءَ ، وَنُفُوسٌ لَا تُكِنُّ لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا الشَّرَّ وَالْهَلَكَ وَالتَّلَفَ ، وَلَا يَتَمَنَّوْنَ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ رِدَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ ، وَكُفْرِهِمْ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ .

وَحَمَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَالْدَّمُ يَسِيلُ مِنْ جُرْحِهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، فَجَعَلَ يُفِيقُ ثُمَّ يُغْمَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُذَكِّرُونَهُ الصَّلَاةَ فَيُفِيقُ ، وَيَقُولُ : نَعَمْ ، لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَهَا .

وَلَمَّا حُضِرَ أُغْمِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي الْأَرْضِ ، فَوَضَعَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهُ : ضَعْ رَأْسِي عَلَى الْأَرْضِ . فَفَعَلَ ، فَمَسَحَ خَدَّيْهِ بِالثَّرَابِ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلٌ لِعُمَرَ ! وَيْلٌ لِعُمَرَ ! وَيْلٌ لَأُمِّ عُمَرَ إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِعُمَرَ ! .

فَلَمَّا مَاتَ بَكَى سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ . فَقَالَ : عَلَى الْإِسْلَامِ أَبْكِي ، إِنَّهُ بِمَوْتِ عُمَرَ ثُلِمَ الْإِسْلَامُ ثُلْمَةً لَا تُرْتَقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(١) .

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٨٤) .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه : كَانَ الْإِسْلَامُ فِي زَمَانِ عُمَرَ كَالرَّجُلِ الْمُقْبِلِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ كَانَ كَالرَّجُلِ الْمُدْبِرِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا بُعْدًا .

* نَعَمْ ؛ مَاتَ عُمَرُ رضي الله عنه قُتِلَ طَعْنًا ، قُتِلَ غَدْرًا ، لَكِنْ أَتْبَاعَ عُمَرَ الَّذِينَ تَرَبَّوْا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم لَمْ يَمُوتُوا ، سَيَحْمِلُونَ الرَّايَةَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَيُواصِلُونَ كَسَرَ رَأْسِ أَتْبَاعِ كَسَرَى الْفَرَسِ ، وَأَتْبَاعِ قَيْصَرَ الرُّومِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَأَرْضَاهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُكَ عَلَى حُبِّهِ وَحُبِّ جَمِيعِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَسَائِرِ صَحَابَةِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ .

* قَالَ الْأَسْتَاذُ مُحِبُّ الدِّينِ الْخَطِيبُ رحمہ اللہ : وَقَدْ بَلَغَ مِنْ حَقْدِهِمْ عَلَى مُطْفِئِ نَارِ الْمَجُوسِيَّةِ فِي إِيرَانَ ، وَالسَّبَبُ فِي دُخُولِ أَسْلَافِ أَهْلِهَا فِي الْإِسْلَامِ (سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه) أَنْ سَمَّوْا قَاتِلَهُ أَبَا لُؤْلُؤَةَ الْمَجُوسِيَّ (أَبَا شُجَاعِ الدِّينِ) . رَوَى عَلِيُّ بْنُ مَظَاهِرٍ (مِنْ رِجَالِهِمْ) ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَمِّيِّ الْأَحْوَصِ ، شَيْخِهِمْ وَوَاثِقِهِمْ : «أَنَّ يَوْمَ قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمَ الْعِيدِ الْأَكْبَرِ ، وَيَوْمَ الْمَفَاخِرَةِ ، وَيَوْمَ التَّبَجِيلِ ، وَيَوْمَ الزَّكَاةِ الْعُظْمَى ، وَيَوْمَ الْبَرَكَةِ وَيَوْمَ التَّسْلِيَةِ» .

قَامَ أَحِبَابُ أَبِي لَوْلُؤَةَ الْمَجُوسِيِّ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِنَاءَ مَشْهَدٍ تَذْكَارِيٍّ لَهُ عَلَى غِرَارِ الْجُنْدِيِّ الْمَجْهُولِ فِي إِيْرَانِ . يَقُولُ السَّيِّدُ حُسَيْنُ الْمُوسَوِيِّ مِنْ عُلَمَاءِ النَّجَفِ : «وَعَلِمَ أَنَّ فِي مَدِينَةِ كَاشَانَ الْإِيْرَانِيَّةِ ، فِي مَنْطِقَةٍ تُسَمَّى (يَاغِي فِين) مَشْهَدًا عَلَى غِرَارِ الْجُنْدِيِّ الْمَجْهُولِ ، فِيهِ قَبْرٌ لِأَبِي لَوْلُؤَةَ فَيُرْوَزُ الْفَارِسِيُّ الْمَجُوسِيُّ ، قَاتِلُ الْخَلِيفَةِ الثَّانِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ حَيْثُ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ مَا مَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ (مَرْقَدُ بَابَا شُجَاعِ الدِّينِ) . وَبَابَا شُجَاعِ الدِّينِ هُوَ لَقَبُ أَطْلَقُوهُ عَلَى أَبِي لَوْلُؤَةَ لِقَتْلِهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَقَدْ كُتِبَ عَلَى جُدْرَانِ هَذَا الْمَشْهَدِ بِالْفَارِسِيِّ : (مَرْكَ بَر أَبُوبَكْرَ ، مَرْكَ بَر عُمَرَ ، مَرْكَ بَر عُثْمَانَ) ، وَمَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ : الْمَوْتُ لِأَبِي بَكْرَ ، الْمَوْتُ لِعُمَرَ ، الْمَوْتُ لِعُثْمَانَ . وَهَذَا الْمَشْهَدُ يُزَارُ مِنْ قِبَلِ الشَّيْعَةِ الْإِيْرَانِيِّينَ ، وَتُلْقَى فِيهِ الْأَمْوَالُ ، وَالتَّبَرُّعَاتُ . وَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْمَشْهَدَ بِنَفْسِي ، وَكَانَتْ وَزَارَةُ الْإِيْرشَادِ الْإِيْرَانِيَّةِ قَدْ بَاشَرَتْ بِتَوْسِيْعِهِ وَتَجْدِيدِهِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ قَامُوا بِطَبْعِ صُورَةٍ عَلَى الْمَشْهَدِ عَلَى كَارَتَاتٍ تُسْتَخْدَمُ لِإِرْسَالِ الرِّسَالِ وَالْمَكَاتِيْبِ» (١) .

هَذَا يَدُلُّ عَلَى الْحَقِّ الدِّينِ الَّذِي اِمْتَلَأَتْ بِهِ صُدُورُ هَؤُلَاءِ الْمَجُوسِ .

(١) «لَلَّهِ ثُمَّ لِلتَّارِيخِ» ، «كَشَفُ الْأَسْرَارِ وَتَبَرُّةُ الْأَئِمَّةِ الْأَطْهَارِ» (ص ٩٤) .

رابعاً : شِجَاعَةُ ذِي النُّورَيْنِ

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رضي الله عنه

الرَّجُلُ الثَّالِثُ فِي الْإِسْلَامِ ، مِصْبَاحٌ مِنْ مِصَابِيحِ الْهُدَى الْحَيِّ الْكَرِيمُ ، صَاحِبُ الْمَرْوَةِ وَالشَّرَفِ ، الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ . هَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ إِلَى الْحَبَشَةِ الْأُولَى ، وَالثَّانِيَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ . لَا يُعْرَفُ أَحَدٌ تَزَوَّجَ ابْنَتِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرُهُ : (رُقِيَّةَ وَأُمَّ كُلثُومَ) ، وَلِذَا سُمِّيَ (ذَا النُّورَيْنِ) .. جَامِعُ الْقُرْآنِ ، شَهِيدُ الدَّارِ ، مِنْ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَأَوَّلُ مُهَاجِرٍ ، وَأَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَأَحَدُ السِّتَةِ الَّذِينَ تُؤْفَى الرَّسُولُ ﷺ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُمْ .

ذُو النُّورَيْنِ الْمُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ لَقَدْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ بِأَكْمَلِهِ فِي زَمَانِ الْقَيْظِ ، وَقَلَّةِ الْمَاءِ ، وَالْحَاجَةِ إِلَى الْعُدَدِ وَالْعَتَادِ ؛ حَتَّى لَمْ يَتْرُكْهُ بِحَاجَةٍ إِلَى خِطَامٍ أَوْ عِقَالٍ . قَالَ الزُّهْرِيُّ : «قَدَّمَ عُثْمَانُ رضي الله عنه لَجَيْشِ الْعُسْرَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ تِسْعَ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ بَعِيرًا ، وَسِتِّينَ فَرَسًا أَتَمَّ بِهَا الْأَلْفَ» .

* عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي كُمِّهِ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ، فَتَرَهَا فِي حِجْرِهِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ ، وَيَقُولُ : «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ!! مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ!!» ^(١) .

(١) «سنن الترمذي» (ص ٣٧٨٥) ، «أحمد» (٦٣ / ٥) ، «الحاكم» (١٠٢ / ٣) ، ووافقة الذهبي .

يَسَّرَتْ لِلْعُسْرَةِ الْعُسْوَاءِ غَزَوَتَهَا بِالْخَيْلِ وَالْعِيرِ فِيهَا كُلُّ قَرْحَانٍ
وَجِئْتُ بِالْمَالِ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ وَلَمْ تَكُنْ عَلَى الْمِلَّةِ الْكُبْرَى بِمَنَانٍ
وَمَنْ يُعِينِ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ فِي حَرْجٍ يَكُنْ لَهُ اللَّهُ حَسْبًا غَيْرَ مِعْوَانٍ
كَأَنَّ مَالَكَ مَالُ الْمُسْلِمِينَ مَتَى شَاءُوا فَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ بِخَزَّانٍ
فَكُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ نَاصِرَهُ يُجِلُّكَ الْعُرْبُ مِنْ قَاصٍ وَمِنْ دَانٍ

هَذَا هُوَ عُثْمَانُ ، هَذَا هُوَ ذُو التُّورَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

* عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعَدَ أَحَدًا ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ،
وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ ﷺ : « أَتُبْتُ أَحَدًا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ ،
وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ » ^(١) .

* عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ، أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ
عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : « أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَلَا أَنْشِدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، أَلَسْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ » ،
فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ » ،
فَجَهَّزْتُه؟ قَالَ : فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ ^(٢) .

إِنَّهُ عُثْمَانُ ، الْمُجَاهِدُ ، الشَّهِيدُ ، الْمُهَاجِرُ مِنْ مَالِهِ .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٣٦٧٥) ، «صحيح مسلم» (٢٤١٧) .

(٢) «صحيح البخاري» (٢٧٧٨) .

وَمِنْ حَدِيثِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ حُوصِرَ : «أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَقَالَ : «مَنْ جَهَّزَ هَؤُلَاءِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ» ؟ . يَعْنِي : جَيْشَ الْعُسْرَةِ . فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى لَمْ يَفْقِدُوا عَقَالًا وَلَا خِطَامًا ! قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ^(٣) .

إِنَّهُ عُثْمَانُ ؛ شَهِدَ أَحَدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَالْحُدَيْيَةَ ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِإِحْدَى يَدَيْهِ ، وَقَالَ : «هَذِهِ بَيْعَةُ عُثْمَانَ» . وَشَهِدَ خَيْبَرَ ، وَعُمْرَةَ الْقَضَاءِ ، وَحَضَرَ الْفَتْحَ ، وَهَوَازِنَ ، وَالطَّائِفَ ، وَغَزْوَةَ تَبُوكَ ، وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ، وَاشْتَرَى بِثَرٍّ رُومَةَ .

إِنَّهُ عُثْمَانُ صِهرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَتِهِ ، هَاجَرَ مَعَ زَوْجَتِهِ رُقَيْيَةَ ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كِلَاهُمَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهَجْرَتَيْنِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتَزَوَّجَ بَعْدَ رُقَيْيَةَ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَوْ أَنَّ لَنَا ثَالِثَةً لَزَوَّجْنَاكَ» .

إِنَّهُ عُثْمَانُ الَّذِي أَتَمَّ جَمَعَ الْقُرْآنِ وَجَمَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ . وَقَامَ عُثْمَانُ بِتَوْسِيعَةِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَفِي خِلَافَتِهِ كَانَتْ الْغَزْوَةُ الْعَظِيمَةُ (ذَاتِ الصَّوَارِي) .

إِنَّهُ عُثْمَانُ كَانَتْ خِلَافَتُهُ تُعَدُّ الْعَصْرَ الذَّهَبِيَّ لِلْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ ؛ عَلَى

(٣) «مصنف بن أبي شيبة» (٤٨٦/٧) ، ابن حَبَّانَ (٦٨٨١) .

الرَّغْمِ مِنْ تَشْوِيهِهَا مِنْ قِبَلِ الْمُفْتَرِينَ ، وَالْمُبْطِلِينَ ، وَالْبَاطِنِينَ ، وَالصَّفَوِيِّينَ ،
وَالْمُنَافِقِينَ .

فَفِي زَمَنِهِ امْتَدَّتْ رُقْعَةُ الْإِسْلَامِ امْتِدَادًا عَظِيمًا ، وَكَانَتِ الْفُتُوحَاتُ فِي عَصْرِهِ
كَالْمَاءِ الْمُنْهَمِرِ ، وَعَمَّ الرَّخَاءُ وَالْأَمْنُ ، وَازْدَادَتِ الْأَعْطِيَا تُ . وَاسْتَمَرَّ هَذَا
الرَّخَاءُ وَهَذِهِ الْفُتُوحَاتُ مُدَّةَ خِلَافَةِ عُثْمَانَ زُهَاءً اثْنَيْ عَشَرَ سَنَةً ، ثُمَّ كَانَتْ
الْفِتْنَةُ سَنَةَ ٣٥ هـ ؛ حَيْثُ خَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُجْرِمِينَ أَتْبَاعُ ابْنِ سَبَأٍ ، فَقَتَلُوهُ فِي
بَيْتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ^(١) .

بَعْضُ بَشَارَاتِ النَّبِيِّ ﷺ تَحَقَّقُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

فَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ كَثِيرًا مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالْأَمْصَارِ ، وَتَوَسَّعَتِ الْخِلَافَةُ
الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَامْتَدَّتِ الدَّوْلَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، وَبَلَغَتِ الرِّسَالَةُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ مَشَارِقَ
الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؛ حَتَّى كَانَتْ الْفُتُوحَاتُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ كَمَا مِنْهُمْ .

إِنَّهُ عُثْمَانُ - لِلَّهِ دَرُّهُ - ؛ هَذَا الْخَلِيفَةُ الْعَظِيمُ الْكَهْلُ الَّذِي بَلَغَ السَّابِعَةَ
وَالسَّبْعِينَ مِنْ عُمرِهِ وَكَأَنَّمَا قَدْ حَلَّ دَاخِلَ إِهَابِهِ شَبَابُ التَّارِيخِ ! حَتَّى يُجَهِّزَ
الْجُيُوشَ لِلْبَحْرِ ، وَرَكِبَ جُنُودَهُ تَبَجَّ الْبَحْرِ ؛ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ - كَمَا
أَخْبَرَنَا ﷺ - فِي غَزْوَةِ قُبْرُصَ ، وَغَزْوَةِ ذَاتِ الصَّوَارِي . قَالَ ﷺ : «أَوَّلُ
جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَزْكُبُونَ الْبَحْرَ ، وَأَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ ،
مَغْفُورٌ لَهُمْ» ^(٢) .

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ١٤٥) ، «الإصابة» (٢/ ٤٢) ، «أسد الغابة» (٣/ ٣٧٦) ، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٨) .

(٢) «صحيح البخاري» ، (٢٧٦٦) .

قَالَ ﷺ : «عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ ؛ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ» (١) .

وَقَالَ ﷺ : «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَى غُرَازَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرَ مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ» (٢) .

وَقَالَ ﷺ : «غُرُوزَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ ، وَمَنْ أَجَازَ الْبَحْرَ فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا ، وَالْمَائِدُ فِيهِ كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ» (٣) .

وَفِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَوَغَّلَتِ الْجُيُوشُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي بِلَادِ الرُّومِ بِقِيَادَةِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ حَتَّى قَرَعَتْ أَبْوَابَ (الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ) ذَاتِهَا . وَإِلَى فَارِسَ ، وَكِرْمَانَ ، وَبَاكِسْتَانَ ، يَزْحَفُ ابْنُ عَامِرٍ ، وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ . وَمُهِدَتِ الْأَرْضُ لَزَحْفِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى بَلَغُوا السُّودَانَ وَالْحَبْشَةَ فِي الْجَنُوبِ ، وَالْهِنْدَ وَالصِّينَ فِي الشَّرْقِ . وَخِلَالَ عَهْدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلَغَتِ الْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ أْبْعَدَ الْأَمْصَارِ وَأَوْسَعَ الْآفَاقِ .

وَسَنَذَكُرُ فَضَائِلَ ذِي الثُّورَيْنِ لَاحِقًا .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٢٦٣٦) ، «صحيح مسلم» (٦٢٨٢) .

(٢) «صحيح البخاري» ، (٦٦٠٠) .

(٣) «صحيح الجامع» (٤١٥٤) ، «المستدرک» الحاكم .

سَجَلٌ مُّوَجَّزٌ لِّلْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي عَهْدِ الشَّهِيدِ ذِي النُّورَيْنِ ^(١) :

١ - سَنَةِ ٢٤هـ : فِيهَا فَتَحَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ الرَّيِّ ، وَكَانَتْ قَدْ فُتِحَتْ عَلَى يَدِ حُذَيْفَةَ ، وَسُوَيْدِ بْنِ مُقَرَّنٍ ، فَانْتَقَضُوا . وَفِيهَا غَزَا الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَأَرْمَنِيَةَ ؛ لِمَنْعِ أَهْلِهَا مَا كَانُوا صَالِحُوا عَلَيْهِ ، فَسَبَى وَغَنِمَ وَرَجَعَ . وَفِيهَا اسْتَمَدَّ أَمْرَاءُ الشَّامِ مِنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَدَدًا ، فَأَمَدَّهُمْ بِثَمَانِيَةِ آلَافٍ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَمَضَوْا حَتَّى دَخَلُوا إِلَى أَرْضِ الرُّومِ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ . وَعَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ سَلْمَانَ بْنَ رَبِيعٍ الْبَاهِلِيَّ ، وَعَلَى أَهْلِ الشَّامِ حَبِيبَ بْنَ مُسْلِمٍ الْفَهْرِيَّ ، فَشَنُّوا الْغَارَاتِ ، وَسَبَّوْا ، وَافْتَحُوا حُصُونًا كَثِيرَةً .

٢ - سَنَةِ ٢٥هـ : فِيهَا سَارَ الْجَيْشُ مِنَ الْكُوفَةِ عَلَيْهِمْ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ إِلَى بَرْدَغَةَ فَقَتَلَ وَسَبَى . وَفِيهَا انْتَقَضَ أَهْلُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ فَعَزَّاهُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَمِيرُ مِصْرَ وَسَبَّاهُمْ ، فَرَدَّ عُثْمَانُ السَّبْيَ إِلَى ذِمَّتِهِمْ ، وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْوِيلَ الْخَصِيِّ فِي مَرَائِبٍ فَانْتَقَضَ أَهْلُهَا - غَيْرُ الْمُقَوْسِ - ، فَعَزَّاهُمْ عَمْرُو فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، فَافْتَتَحَهَا عَنَوَةً ؛ غَيْرَ الْمَدِينَةِ فَإِنَّهَا صُلِحَ . وَفِيهَا اسْتَأْذَنَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ عُثْمَانَ فِي غَزْوِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَأَذِنَ لَهُ .

٣ - سَنَةِ ٢٦هـ : فِيهَا افْتُتِحَتْ سَابُورَ ، وَأَمِيرُهَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ .

(١) «تاريخ الطبري» (٤/٢٤٦-٢٤٧-٢٣) ، «تاريخ خليفة بن خياط» (١٥٧-١٥٨-١٤-٣) ، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/٣٠٩-٣١٢) .

٤ - سَنَة ٢٧ هـ : فِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قُبْرُصَ ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ بِالْجِيُوشِ .
وَأَكْمَلَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ غَزَا إِفْرِيقِيَّةَ .

٥ - سَنَة ٢٨ هـ : فِيهَا غَزَا حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَرْضَ الرُّومِ . وَفِيهَا غَزَا الْوَلِيدُ بْنُ
عُقْبَةَ أَذْرَبِيجَانَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَصَالَحَ أَهْلَهَا مِثْلَ صُلْحِ حُذَيْفَةَ .

٦ - سَنَة ٢٩ هـ : فِيهَا افْتَتَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ إِصْطَخَرَ فَقَتَلَ ، وَسَبَى كَثِيرًا .
وَفِيهَا انْتَفَضَتْ أَذْرَبِيجَانُ ، فَعَزَاهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فَافْتَتَحَهَا . وَفِيهَا غَزَا
عَامِرُ وَابْنُ بَدِيلِ الْخَزَاعِيُّ أَصْبَهَانَ .

٧ - سَنَة ٣٠ هـ : فِيهَا فُتِحَتْ أَرْضُ مِنْ فَارِسَ عَلَى يَدِ ابْنِ عَامِرٍ ، فَعَنِمَ كَثِيرًا .
وَفِيهَا افْتَتَحَ ابْنُ عَامِرٍ بِلَادًا كَثِيرَةً مِنْ أَرْضِ خُرَاسَانَ ، وَسَارَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ
فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَجَمَعَ لَهُ أَهْلُ طَخَارِسْتَانَ ، وَأَهْلُ الْجَوْزَجَانِ ، وَالْفَارِيَابِ ،
فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ النَّصْرُ . ثُمَّ سَارَ الْأَحْنَفُ
بُنِ قَيْسٍ عَلَى بَلْخَ ، فَصَالَحُوهُ ، ثُمَّ خَوَارَزَمَ فَلَمْ يُطَقِّهَا ، وَرَجَعَ . وَفُتِحَتْ
هَرَاقُ ، وَفَتَحَ ابْنُ عَامِرٍ مَرَوْ صُلْحًا .

٨ - سَنَة ٣١ هـ : فِيهَا فُتِحَتْ نِيسَابُورُ صُلْحًا . وَفِيهَا مَعْرَكَةُ الْأَسَاوِرَ . وَغَزَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ مِنْ مِصْرَ فِي الْبَحْرِ وَسَارَ فِيهِ إِلَى نَاحِيَةِ مَصِيصَةَ .

٩ - سَنَة ٣٢ هـ : وَفِيهَا وَقْعَةُ «الْمَطْبَقِ» بِالْقُرْبِ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَأَمِيرُهَا
مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١٠ - سَنَةِ ٣٣هـ : فِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ مَلْطِيَّةَ ، وَحِصْنَ الْمَرَّةِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ .
وَفِيهَا غَزَا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ الْحَبَشَةَ .

١١ - سَنَةِ ٣٤هـ : فِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الصَّوَارِي فِي الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ
الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَأَمِيرُهَا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ .

١٢ - سَنَةِ ٣٥هـ : فِيهَا غَزْوَةُ ذِي خُشْبٍ ، وَأَمِيرُهَا مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَفِيهَا
اسْتُشْهِدَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ لِيَنَالَ أَجْرَ
الشَّهَادَةِ .

خامساً : شجاعة فارسُ الفُرسانِ وفتى الفُتيانِ

عليُّ بنُ أبي طالبٍ (عليه السلام)

* هو رابعُ الخلفاءِ الراشدينَ والأئمةِ المهديينَ ، وأحدُ العشرةِ المبشرينَ بالجنةِ ، وابنُ عمِّ الرُّسُولِ (صلى الله عليه وآله) وزوجُ البتولِ ، وبطلُ الأبطالِ ، اللَّيْثُ الحِصَّارُ ، والغَيْثُ المدرارُ ، وفارسُ الفُرسانِ ، ومُجَنِّدُ الشُّجعانِ ، وحاملُ الرِّايةِ يومَ خَيْبَرَ لتأديبِ كُلِّ جَبانٍ .

* كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ (عليه السلام) مِنْ أَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ، كَانَ دِرْعُهُ صَدْرًا لَا ظَهَرَ لَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : «أَلَا تَخَافُ أَنْ تُوتَى مِنْ قِبَلِ ظَهْرِكَ؟» فَقَالَ : «إِنْ أُمَكَنْتُ عَدُوِّي مِنْ ظَهْرِي فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ أَبْقَى عَلَيَّ» ^(١) .

* وَكَانَ (عليه السلام) إِذَا أَمَسَكَ بِذِرَاعِ رَجُلٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْتَفِسَ ^(٢) .

* قِيلَ لِعَلِيٍّ (عليه السلام) : «إِذَا جَالَتِ الْخَيْلُ يَا أَبَا الْحَسَنِ فَأَيْنَ نَطْلُبُكَ؟» فَقَالَ : «حَيْثُ تَرَكَتُمُونِي» ^(٣) .

* قَالَ الْأَبَشِيهِيُّ وَهُوَ يُعَدُّ الشُّجْعَانَ : «مِنْهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، وَمُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) ، مُؤَيَّدٌ بِالتَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ ،

(١) رواه ابن عساكر .

(٢) رواه ابن عبد البر .

(٣) «المستطرف» ، (١/٤٧٣) .

مُثَبَّتٌ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ ومُرْسِيهَا ، وهو الْمُتَقَدِّمُ عَلَى ذَوِي الشَّجَاعَةِ كُلِّهِمْ ؛ بِلا مَرِيَّةٍ ولا خِلَافٍ . وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَةٍ عَلَى فِرَاشِي . وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : مَا لَقِينَا كَتِيبَةً فِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا أَوْصَى بَعْضُنَا بَعْضًا ^(١) .

شَجَاعَةُ أَبِي الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَثَبَاتُ قَلْبِهِ :

لَيْسَ أَدَلَّ عَلَى شَجَاعَةِ أَبِي الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَثَبَاتِ قَلْبِهِ مِنْ أَنَّهُ حَمَى الدَّعْوَةَ فِي شَخْصِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَامَ فِي فِرَاشِهِ لَيْلَةَ الْهِجْرَةِ ، فِي أَصْعَبِ لَيْلَةٍ مَرَّتْ بِهَا الدَّعْوَةُ . رَجُلٌ يَنَامُ فِي الْفِرَاشِ وهو يَعْلَمُ أَنَّ عَلَى الْبَابِ رِجَالًا مَعَهُمْ سُيُوفُهُم الصَّوَارِمُ ، لَا يُرِيدُونَ إِلَّا رَأْسَ النَّائِمِ فِي الْفِرَاشِ ، فَأَيُّ شَجَاعَةٍ وَرِبَاطَةٍ جَاشٍ يَفُوقُ هَذَا؟!

عَشِيَّةَ وَدَّعَ الْبَيْتَ الْحَرَامَا	فَلَنْ يَنْسَى النَّبِيُّ لَهُ صَنِيعًا
لَغَيْرِ اللَّهِ تَكْبُرُ أَنْ تُسَامَا	عَشِيَّةَ سَامَهُ فِي اللَّهِ نَفْسًا
وَلَمْ تُقْلِقْ بِجَفْنَيْهِ مَنَامَا	فَلَمْ يَأْبَهُ لَهَا أَنْفَاءً عَلِيًّا

عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبُ الرَّايَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ :

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ : ثُمَّ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدٌ ، فَقَالَ : «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» . قَالَ : فَأَتَيْتُ عَلَيْهِ فَأَجِئْتُ بِهِ أَقْوَدَهُ وَهُوَ أَرْمَدٌ ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ فَبَرَأَ ، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ .

يَوْمَ خَيْبَرَ :

خَرَجَ مَرَحَبُ الْيَهُودِيِّ ، فَقَالَ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي مَرَحَبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلْهَبُ
شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبُ

فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهُ
كَلَيْثٍ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمُنْظَرَهُ

فَضْرَبَ عَلِيٌّ رَأْسَ مَرَحَبَ ، فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ ^(١)

(١) «صحيح مسلم» (١٨٠٧) .

شَهِدَ عَلِيٌّ عليه السلام بَدْرًا ، وَأَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا ، وَشَهِدَ أُحُدًا ، وَكَانَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَمَعَهُ الرَّايَةُ بَعْدَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ . وَشَهِدَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ فَارِسَ الْعَرَبِ ، وَأَحَدَ شُجْعَانِهِمُ الْمَشَاهِيرِ : عَمْرُو بْنُ وَدٍّ الْعَامِرِيِّ . وَشَهِدَ الْحُدَيْيَةَ ، وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ . وَشَهِدَ خَيْبَرًا ، وَكَانَتْ لَهُ فِيهَا مَوَاقِفُ هَائِلَةٌ . وَشَهِدَ الْفَتْحَ ، وَحُنَيْنًا ، وَالطَّائِفَ . وَقَاتَلَ فِي هَذِهِ الْمَشَاهِدِ قِتَالًا كَثِيرًا .

وَصِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يُحُضُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِهَادِ :

«يَأَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِلسَّيْرِ إِلَى عَدُوِّكُمْ ، فِي جِهَادِهِ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ ، وَدَرْكُ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ . حَيَارَى فِي الْحَقِّ ، جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ ، نُكْبٌ عَنِ الدِّينِ ، يَعْمَهُونَ فِي الطُّغْيَانِ ، وَيَرْكُسُونَ فِي غَمْرَةِ الضَّلَالِ ، فَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ، وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا» .

وَقَالَ أَيْضًا : «عِبَادَ اللَّهِ ! مَا لَكُمْ إِذَا أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ؟ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ؟ ، وَبِالذُّلِّ وَالْهَوَانِ مِنَ الْعِزِّ ؟ أَوْكَلَّمَا نَدَبْتُكُمْ إِلَى الْجِهَادِ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَكْرَةٍ ؟ !...» ^(١) .

الفصل الثالث

فضائل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

تمهيد :

أولاً : تفاضل الصحابة رضي الله عنهم وفضائلهم

ثانياً : علاقة القرابة بين الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

ثالثاً : علاقة المصاهرة بين الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

المبحث الأول : فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

المبحث الثاني : فضائل أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه

المبحث الثالث : فضائل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

المبحث الرابع : فضائل أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

تمهيد

أهل السنة والجماعة : مُجمِعُونَ أَنَّ أَفْضَلَ الْأُمَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمْ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

لَقَدْ احْتَلَّ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْقِمَّةَ فِي الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ بِمَا فِيهَا الْعَلَاqَاتِ الطَّيِّبَةِ بَيْنَهُمْ .

وَقَدْ سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ رَجُلٍ يُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا يُفْضِلُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَهُوَ يُحِبُّهُمْ ، قَالَ : «السُّنَّةُ أَنْ يُفْضَلَ أبا بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ مِنَ الْخُلَفَاءِ» (١) .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «فَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْمَشْهُورِينَ بِالْإِمَامَةِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، وَأَهْلِ مِصْرَ ، وَالْأَوْزَاعِيِّ ، وَأَهْلِ الشَّامِ ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَأَبِي حَنِيفَةَ ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، وَأَمْثَلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ ، وَأَحْمَدَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَأَبِي عُبَيْدٍ ، وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَئِمَّةِ .

وَحَكَى مَالِكُ إِجْمَاعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : «مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ يَشْكُ فِي تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ» (٢) .

(١) «السنة» ، الخلال . «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ، اللالكائي .

(٢) «مجموع الفتاوى» ، ٤ / ٤٢١ .

وأضاف شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً: «وَيُقَرُّونَ - أي أهلُ السُّنَّةِ - بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلَّثُونَ عُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بَعْلِيَّ (عليه السلام)، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ» (١).

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. هَذَا مَذْهَبُنَا وَقَوْلُ أَئِمَّتِنَا» (٢).

وَهُؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ هُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الَّذِينَ أَتَى عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» (٣).

وَقَدْ حَكَى الْحَافِظُ ابْنُ حَبْرٍ الْإِجْمَاعَ عَلَى تَرْتِيبِ الْخُلَفَاءِ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ، فَقَالَ: «انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ بِآخِرِهِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ: تَرْتِيبُهُمْ فِي الْفَضْلِ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ» (٤).

وَنَقَلَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْإِعْتِقَادِ» عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، قَالَ: «أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ وَأَتَابُعُهُمْ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ» (٥).

(١) «العقيدة الواسطية»، ص ١٧١.

(٢) «الاستيعاب»، ٥١/٣.

(٣) «مسند الإمام أحمد»، ١٢٧/٤، «سنن أبي داود»، (٤٦٠٧). «سنن الترمذي»، (٢٦٧٦)، وقال حسن

صحيح. والحاكم، ٩٧/١، وصححه. ووافقه الذهبي.

(٤) «فتح الباري»، ٧/٣٤.

(٥) «فتح الباري»، ٧/١٧.

تَفَاضُلُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَفَضَائِلُهُمْ

أولاً : التَّفَاضُلُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم :

لقد دلت أدلة الشرع من نصوص الكتاب والسنة على وقوع التفاضل بين الصحابة رضي الله عنهم .

فَمِنْ أَدَلَّةِ الْكِتَابِ :

١- قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَيْكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٠) ، الْحُسْنَىٰ أَي : الْجَنَّةُ ، وَالْفَتْحُ : فَتْحُ مَكَّةَ ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهِ صَلَاحُ الْحُدَيْيَةِ ، فَالَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ يَوْمَ صَلَاحِ الْحُدَيْيَةِ لَا يَسْتَوُونَ فِي الْإِيمَانِ ، وَفِي الْمَكَانِ وَفِي الشَّانِ وَالْقَدْرِ مَعَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْفَتْحِ وَقَاتَلُوا ، فَرَّقَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ، وَكُلُّهُمْ صَحَابَةٌ ، وَكُلُّهُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ ، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ . وَالتَّيْبِيهِ عَلَى تَفْضِيلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ لَا يُفْضِي إِلَى تَنْقِصِ الْمَفْضُولِ ، إِذْ كَلَّمَ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى . وَقَالَ التَّبَانِيُّ : فَهَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ صَرِيحٌ فِي تَفَاوُتِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم فِي الدَّرَجَاتِ وَالْمَرَاتِبِ ، وَنَصٌّ صَرِيحٌ أَيْضًا فِي كَوْنِ جَمِيعِهِمْ فِي الْجَنَّةِ . (٢)

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٠

(٢) «محاسن التأويل» ، (٣٨ / ٧) .

٢- وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١) ، فِي الْآيَةِ الثَّنَاءُ عَلَى الصَّحَابَةِ جَمِيعًا ، مَعَ تَخْصِصِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ بِالذِّكْرِ ، وَهَذَا التَّخْصِصُ ثُمَّ التَّعْمِيمُ دَلِيلٌ عَلَى تَفْضِيلِ الْمُخَصَّصِ بِالذِّكْرِ عَلَى الْعُمُومِ .

٣- وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْنَنَّ﴾ (٢) ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : «يُرِيدُ : لَيْسَ قَدْرُكَنَّ عِنْدِي مِثْلَ قَدْرِ غَيْرُكَنَّ مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ ، أَنْتُنَّ أَكْرَمُ عَلَيَّ ، وَثَوَائِكُنَّ أَعْظَمُ» ، فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى تَفْضِيلِ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم مِنَ الصَّحَابِيَّاتِ عَلَى سَائِرِهِنَّ .

وَمِنْ أَدِلَّةِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ :

٤- مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم ، قَالَ : «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا ، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (٣) .

٥- وَجَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه ، قَالَ : «كُنَّا نُخِيرُّ بَيْنَ

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٢

(٣) متفق عليه : صحيح البخاري (١٣٤٣/٣) ، (٣٤٧٠) ، صحيح مسلم (٤/١٩٦٧) ، (٢٥٤) .

النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنُخَيْرُ أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ،
ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ ؓ . وَفِي زِيَادَةٍ عِنْدَ غَيْرِهِ ^(١) : «فَيُلْغُ ذَلِكَ
النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ» ^(٢) .

فَهَذَا إِفْرَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التَّفَاضُلَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ . وَفِيهِ تَفْضِيلُ أَحَادٍ
بَأَعْيَانِهِمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، وَتَفْضِيلُ وَاحِدٍ بَعَيْنِهِ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَهُوَ تَفْضِيلُ
أَبِي بَكْرٍ عَلَى عُمَرَ ، وَعُمَرَ عَلَى عُثْمَانَ . وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : «فَضَّلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَصَصَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ بِفَضَائِلَ خَصَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِفَضِيلَةٍ وَسَمَّاهُ بِهَا ،
وَذَكَرَهُ فِيهَا» ، قَالَ : «وَلَمْ يَأْتِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ فَضَّلَ مِنْهُمْ وَاحِدًا عَلَى صَاحِبِهِ
بَعَيْنِهِ مِنْ وَجْهِ يَصِخُّ» .

وَكَانَ ﷺ : أَحْلَمَ وَأَكْرَمَ مُعَاشِرَةً ، وَأَعْلَمَ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ مِنْ أَنْ
يُوجِبَ فَاضِلًا مِنْهُمْ بِأَنْ غَيْرَهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، فَيَجِدُ مِنْ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ، بَلْ فَضَّلَ
السَّابِقِينَ مِنْهُمْ وَأَهْلَ الْاِخْتِصَاصِ بِهِ عَلَى مَنْ لَمْ يَلْغُ مَنَازِلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ :
«لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» ، وَهُوَ
مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ﴾ ^(٣) .

(١) وهي زيادة صحيحة ، صحَّحها الألباني في «ظلال الجنة» ، (١١٩٣) .

(٢) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٩٩٣) ، «المسند لأبي يعلى» (٥٦٠٤) ، الطبراني ، «مسند الشاميين» (١٧٦٤) .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ١٠

وَمُحَالٌ أَنْ يَسْتَوِيَ مَنْ قَاتَلَهُ ﷺ ، مَعَ مَنْ قَاتَلَ عَنْهُ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبَعْضِ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ ، وَقَدْ رَأَى يَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ أَبِي بَكْرٍ : «تَمَشِّي بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ؟!» ، وَهَذَا لِأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَنَا ذَلِكَ فِي الْجُمْلَةِ لِمَنْ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ ، وَلِكُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهُمْ مَنْزِلَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَحَالٌ مَوْصُوفَةٌ .

فَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَفْضِيلُ الصَّحَابَةِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ بِمُقْتَضَى دَلَالَةِ النُّصُوصِ إجمالاً .

ثانياً : أَوْجُهُ الْمَفَاضِلَةِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

جَمَاعٌ هَذِهِ الْأَوْجُهُ هُوَ مَا سَلَفَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ الَّتِي تَتَفَاوَلُ مَنْزِلَتُهَا عِنْدَ اللَّهِ .

فَمِنْ أَوْجِهِ التَّفَاضُلِ بَيْنَهُمْ :

١- السَّبْقُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَالسَّابِقُ إِلَى الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْبُوقِ ، أَفَادَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١) .

٢- الْإِنْفَاقُ وَالْجِهَادُ قَبْلَ الْفَتْحِ : فَمَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ، أَفَادَتْهُ آيَةُ سُورَةِ الْحَدِيدِ .

٣- شُهوْدُ بَدْرٍ : كَمَا أَفَادَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : «لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» ^(١) .

٤- شُهوْدُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ : فَمَنْ شَهِدَهَا فَهُوَ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْهَا .

٥- تَخْصِيصُ الرَّسُولِ أَحَدِهِمْ بِمَنْقَبَةٍ .

وَكُونُ الْمَفْضُولِ قَدْ يَخْتَصُّ بِفَضِيلَةٍ لَا تُوجَدُ فِي الْفَاضِلِ ، إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي تَفْضِيلَهُ بِهِ مُطْلَقًا ، فَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ لَمْ يَحْضُرْ بَدْرًا ، وَلَكِنَّهُ أَفْضَلُ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ حَضَرَ بَدْرًا ، وَمَنْ لَمْ يَحْضُرْ .

لِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مِنْ وَاجِبِنَا نَحْوَ الصَّحَابَةِ أَنْ نَعْرِفَ التَّفَاضُلَ الَّذِي بَيْنَهُمْ ، وَمَا التَّرْتِيبُ بَيْنَهُمْ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ لِنُعْطِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .

فَالصَّحَابَةُ بَيْنَهُمْ تَفَاضُلٌ : فَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا ، وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ الْعَشْرَةُ الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ ، وَهَؤُلَاءِ عَشْرَةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ شَهِدَ لَهُمْ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ بِأَتَمِّهِمْ فِي الْجَنَّةِ ، نَصَّ ﷺ نَصًّا زَادَهُمْ شَرَفًا أَنَّهُمْ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُمَا ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ،

(١) «صحيح البخاري» (٣/١٠٩٥)، (٢٨٤٥)، «صحيح مسلم» (٤/١٩٤١)، (٢٤٩٤) .

وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ» (١) .

فَهُؤُلَاءِ عَشْرَةٌ شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ، فَكَانُوا يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ ، شَهِدَ لَهُمُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ ﷺ .

وَأَعْظَمُ بِهَا وَأَكْرَمُ مِنْ شَهَادَةٍ ! ، يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةِ : الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ ، وَأَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةُ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، صِدِّيقُ الْأُمَّةِ ﷺ .

وَالْأَدِلَّةُ فِي تَفْضِيلِ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَثِيرَةٌ ، نَذْكُرُ بَعْضَهَا :

* عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ ﷺ : «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ» (٢) ، وَهَكَذَا فَإِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْجَنَّةِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَهُمَا أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ .

(١) «مسند الإمام أحمد» (١٦٧٥) ، «سنن الترمذي» (٣٧٤٧) .

(٢) «مسند أحمد» (٨٠ / ١) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» ، رَقْم (٨٢٢) ، وَفِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٧٠٠٤) .

* جاء في صحيح البخاري^(١) ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قَالَ : «كُنَّا نَخِيرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنُخِيرُ أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رضي الله عنه . وَفِي زِيَادَةٍ عِنْدَ غَيْرِهِ : «فَيُلْغُ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ»^(٢) .

* وجاء أيضاً في صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية قال : قُلْتُ لِأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ ، قَالَ : أَبُو بَكْرٍ ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ عُمَرُ ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ ؟ ! ، قَالَ : مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ^(٣) ، هَذَا عَلِيُّ رضي الله عنه .

* بَلْ جَاءَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه كَمَا فِي «السُّنَّةِ» لابن أبي عاصم ، أَنَّهُ قَالَ : «لَا يَلْغِي عَنِ أَحَدٍ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي»^(٤) . هَذَا كَلَامُ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ الْهَادِي الْمَهْدِيِّ ، عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه .

* وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنِّي لَسْتُ أَذْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي» ، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما^(٥) .

وَفَضَائِلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ ،

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٥٥) .

(٢) «السُّنَّةُ» لابن أبي عاصم (٩٩٣) ، «المسند» لأبي يعلى (٥٦٠٤) ، صحَّحه الألباني في «ظلال الجنة» ، (١١٩٣) .

(٣) «صحيح البخاري» (١٧/٧) ، (٣٦٧١) .

(٤) «السُّنَّةُ» لابن أبي عاصم (١٢١٩) ، رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٤٩/١) .

(٥) «مسند أحمد» (٣٩٩/٥) ، «سنن الترمذي» (٦١٠/٥) ، «سنن ابن ماجه» (٣٧/١) ، صحَّحه الألباني .

لَكِنْ سَنَذْكُرْ لَا حِقَاقَ بَعْضَ فَضَائِلِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِذِكْرِ مَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ ، وَمَا أَثْنَى عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ ، وَنَحْنُ نَعْتَقِدُ مَا اعْتَقَدَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فِي تَقْدِيمِهِمْ أبا بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

* قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ، وَمِنْ قَبْلِهِ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى : «مَنْ فَضَّلَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ فَقَدْ أَرَزَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . وَقَالَ : وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِهِ» .

* وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ الْإِجْمَاعَ انْعَقَدَ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ تَرْتِيبَهُمْ فِي الْفَضْلِ - الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ - كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ .

* وَنَقَلَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ كَلَامًا نَفِيسًا لِأَبِي مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيِّ : «أَصْحَابُنَا مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهُمُ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَذْكُورِ ، ثُمَّ تَمَامُ الْعَشْرَةِ ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ ، ثُمَّ أَهْلُ أُحُدٍ ، ثُمَّ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ ، وَمَنْ لَهُ مَزِيَّةٌ ، كَأَهْلِ الْعَقَبَتَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَذَلِكَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ، وَهُمْ مَنْ صَلَّى إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ . فِي قَوْلِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ وَطَائِفَةٍ ، وَفِي قَوْلِ الشَّعْبِيِّ : أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ، وَفِي قَوْلِ عَطَاءٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ : أَهْلُ بَدْرٍ» (١) .

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/١٤٨) .

ثانياً : عَلاَقَةُ الْقَرَابَةِ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ^(١) ﷺ

إِنَّ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ ﷺ يَنْحَدِرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَرْوَمَةٍ ^(٢) وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ أَشْرَفُ الْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ ، وَهَذَا تَشْرِيفٌ وَتَعْظِيمٌ وَتَكْرِيمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ ، وَسَنَوْضُحُ تَبْيَانِ هَذِهِ الْقَرَابَةِ وَالنَّسَبِ الشَّرِيفِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ﷺ :

١- أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ :

يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَدِّ السَّادِسِ ، مُرَّةً بِنِ كَعْبٍ ، كَمَا يَلْتَقِي نَسَبُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ ، سَلَمَى بِنْتُ صَخْرٍ فِي مُرَّةِ الْجَدِّ السَّادِسِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

كَمَا اسْتَمَرَّتِ الْمَصَاهِرَةُ بَيْنَ أَبْنَاءِ وَأَحْفَادِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ :

فَقَدْ تَزَوَّجَ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ بْنُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، تَزَوَّجَ مَرْوَةَ بِنْتُ قَاسِمٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَأُمُّهَا هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَوَلَدَتْ لَهُ جَعْفَرُ الصَّادِقُ ، وَكَانَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ

(١) هذه القرابة والمصاهرة بين الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ معلومة وثابتة ومنقولة بالسند الصحيح في كثير من كتب الحديث والتراجم والأنساب والتواريخ والسير .
(٢) الأرومة : الشجرة .

يَعْتَرُ بِخَوْلَةٍ آلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَيَقُولُ : وُلِدْتُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ مَرَّتَيْنِ ، وَبَعْدَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ زَوْجَتِهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ ، وَبَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، وَكَفَلَ عِنْدَهُ فِي بَيْتِهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَرَبَّاهُ وَكَانَ يَقُولُ : «مُحَمَّدُ ابْنِي مِنْ ظَهْرِ أَبِي بَكْرٍ» .

٢- عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) :

هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ رَبَاحِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤْيٍ ، فَهُوَ يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ ، وَهُوَ الْجَدُّ السَّابِعُ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، وَيَلْتَقِي كَذَلِكَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ .

كَمَا يَلْتَقِي نَسَبُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ مَعَ الْجَدِّ السَّابِعِ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَأُمُّ عُمَرَ هِيَ حَثْمَةَ بِنْتُ هَاشِمِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مُرَّةَ .

٣- عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) :

يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي الْجَدِّ الثَّالِثِ عَبْدِ مَنَافٍ ، فَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

وَيَلْتَقِي نَسَبُهُ كَذَلِكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ فِي عَبْدِ مَنَافٍ ، فَأُمُّهُ أَرْوَى جَدَّهَا الثَّالِثُ عَبْدُ مَنَافٍ .

كَمَا أَنَّ جَدَّتَهُ مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ هِيَ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهِيَ أَيْضاً عَمَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

هَذَا وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ ثَلَاثَةً مِنْ أَبْنَاءِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَفِيدَاتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَدْ تَزَوَّجَ :

- ١ - أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ .
- ٢ - وَتَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
- ٣ - وَتَزَوَّجَ زَيْدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ سَكِينَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

٤ - عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَقْرَبُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُوَ : ابْنُ عَمَّةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبُو طَالِبٍ هُوَ شَقِيقُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَالِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَيَلْتَقِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَيَلْتَقِي مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَاشِمِ الْجَدِّ الثَّانِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأُمُّهُ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

عَلَاقَةُ الْمُصَاهَرَةِ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

إِنَّ هَذِهِ الْمُصَاهَرَةَ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ هِيَ تَعَضُّدٌ عَمُودُ النَّسَبِ الْوَاحِدِ ، فَكُلُّهُمْ صَاهِرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :

* فَهَذَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُزَوِّجُ ابْنَتَهُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهِيَ أَحَبُّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ ﷺ .

* وَهَذَا الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُزَوِّجُ ابْنَتَهُ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَذَلِكَ تَزَوَّجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَأَنْجَبَتْ أُمَّ كُلْثُومٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ابْنُهُ زَيْدًا ، وَابْنَتُهُ رُقَيْيَّةٌ ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَهْرُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ ابْنُهُ زَيْدٌ يَفْتَحِرُ بِهِذِهِ الْمُصَاهَرَةَ ، فَيَقُولُ : «أَنَا ابْنُ الْخَلِيفَتَيْنِ ، عُمَرُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» .

* أَمَّا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ذُو النُّورَيْنِ فَزَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَتَهُ رُقَيْيَّةً ، وَبَعْدَ وَفَاتِهَا زَوَّجَهُ أُخْتَهَا أُمَّ كُلْثُومَ ، وَبَعْدَ وَفَاتِهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَوْ كَانَتْ لَنَا ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْنَاهَا عُثْمَانَ» .

* أَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَدْ زَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

هَذِهِ الْعَلَاقَةُ الْحَمِيمَةُ مِنَ النَّسَبِ وَالْمُصَاهَرَةِ بَيْنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَنْفُسِهِمْ
وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ ، تُعَبِّرُ عَنِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُودَّةِ وَالتَّرَابُطِ ، وَهِيَ أَعْظَمُ
رَدًّا عَلَى أَوْلِيكَ الْمُتَوَثِّرِينَ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يُشَوِّشُوا عَلَى عِلَاقَةِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَ
الصَّحَابَةِ وَأَبْنَائِهِمْ وَأَحْفَادِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ وَبَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ ، وَإِضَافَةً
إِلَى ذَلِكَ نَجِدُ تَسْمِيَةَ أَوْلَادِهِمْ وَأَحْفَادِهِمْ بِأَسْمَاءِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَهُوَ دَلِيلٌ
آخَرٌ عَلَى تِلْكَ الْعَلَاقَةِ الْمَتِينَةِ وَمَحَبَّتِهِمْ لِبَعْضِهِمْ ، فَالْإِنْسَانُ يُسَمِّي أَبْنَاءَهُ بِأَسْمَاءِ
مَنْ يُحِبُّهُمْ وَلَيْسَ مَنْ يَكْرَهُهُمْ :

* فَقَدْ سَمَّى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع) أَبْنَاءَهُ : أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ .

* كَمَا سَمَّى الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ابْنَيْهِمَا : أَبَا بَكْرٍ .

* وَسَمَّى مُوسَى الْكَاطِمُ بْنُ جَعْفَرٍ الصَّادِقُ ابْنَتَهُ : عَائِشَةَ .

فَهَلْ بَعْدَ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ مَحَبَّةٌ ؟!! .

المبحث الأول

فضائلُ الخلفاءِ الرَّاشِدينَ رضي الله عنهم

أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه

أبو بكر الصِّديق ، السَّابِقُ إِلَى التَّصَدِيقِ ، الْمُلَقَّبُ بِالْعَتِيقِ ، الْمُؤَيَّدُ مِنَ اللَّهِ بِالتَّوْفِيقِ ، صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَضَرِ وَالْأَسْفَارِ ، وَرَفِيقُهُ الشَّفِيقُ فِي جَمِيعِ الْأَطْوَارِ ، وَضَجِيعُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الرَّوْضَةِ الْمَحْفُوفَةِ بِالْأَنْوَارِ ، الْمُخَصَّصُ فِي الذِّكْرِ بِمَفْخَرٍ فَاقَ بِهِ كَافَّةَ الْأَخْيَارِ ، وَعَامَّةَ الْأَبْرَارِ ، وَبَقِيَ لَهُ شَرْفُهُ عَلَى كُرُورِ الْأَعْصَارِ ، وَلَمْ يَسْمُ إِلَى ذِرْوَتِهِ مَنْ هُمْ أَوْلُوا الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ؛ حَيْثُ يَقُولُ عَالِمُ الْأَسْرَارِ : ﴿ثَانِيكَ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ﴾ ^(١) . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْآثَارِ ، وَمَشْهُورِ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِيهِ وَالْأَخْبَارِ ، الَّتِي غَدَتِ كَالشَّمْسِ فِي الْإِنْتِشَارِ ^(٢) .

فضائلُ وَمَنَاقِبُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه :

وَرَدَتْ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ . فَمِنْ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

(٢) أبو نعيم ، «حلية الأولياء» ، (١/ ٢٨) .

عِنْدَهُ، مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْنُغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) (١)
 قَالَ ابْنُ الْجَوَازِي (٢) رَحِمَهُ اللَّهُ: أَجْمَعُوا بِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ، وَفِيهَا التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ
 أَتَقَى مِنْ سَائِرِ الْأُمَّةِ. وَالْأَتَقَى هُوَ الْأَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
 عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُكُمْ﴾ (٣). وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثَافِتٌ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا
 تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ
 تَرَوْهَا﴾ (٤). أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالصَّاحِبِ هُنَا: أَبُو بَكْرٍ (٥).

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٦).
 أَخْرَجَ الْبَزَّازُ وَابْنُ عَسَاكِرَ (٧): أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِهَا: الَّذِي
 جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالَّذِي صَدَّقَ بِهِ: أَبُو بَكْرٍ. هَكَذَا يَقُولُ
 عَلِيٌّ فِي الصِّدِّيقِ، فَمَاذَا تَنْقِمُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَيُّهَا الزَّنْدِيقُ؟!.

قَالَ جَفْعَرُ الصَّادِقُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا خِلَافَ أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 وَالَّذِي صَدَّقَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٨)، وَأَيُّ مَنْقَبَةٍ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ فِيهِمْ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

(١) سورة الليل، الآيات: ١٧ - ٢١

(٢) السيوطي، «تاريخ الخلفاء».

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠

(٥) «الإصابة»، (٢/ ٣٣٥). «تاريخ الخلفاء»، ص ٤٨.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٣٣

(٧) السفاريني، «لوامع الأنوار البهية»، ص ٣١١. «الدر المنثور»، ٧/ ٢٢٨.

(٨) الذهبي، «الكبائر»، ص ٢٠٧.

أَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الصِّدِّيقِ عليه السلام

الأحاديثُ في فضلِ الصِّدِّيقِ كثيرةٌ جدًّا ؛ منها :

إِشَارَاتُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه :

الأوَّلُ : عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَاسْتَدَّ مَرَضُهُ ، فَقَالَ : «مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» . قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ . فَقَالَ : «مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» . وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهَا قَالَتْ لِحَفْصَةَ : قُولِي لَهُ يَا مُرُّوا عُمَرُ . فَقَالَتْ لَهُ ، فَأَبَى حَتَّى غَضِبَ ، وَقَالَ : «أَنْتَنَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ، مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ» . فَاتَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ (١) .

الثَّانِي : عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ : «أَتَتْ امْرَأَةُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ ، قَالَتْ : أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ ؟ . كَأَنَّهُا تَقُولُ الْمَوْتَ . قَالَ ﷺ : «إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ» (٢) .

الثَّالِثُ : عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذْعِي لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنَّ ، وَيَقُولَ قَائِلٌ : أَنَا أَوْلَى . وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ» (٣) .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٦٧٨) ، «صحيح مسلم» ، (٤٢٠) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٣٦٥٩) ، «صحيح مسلم» ، (٢٣٨٦) .

(٣) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٥٦٦٦) ، «صحيح مسلم» ، (٢٣٨٧) .

الرَّابِع : وفي حديث ابن زمعة : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا ، فَتَقَدَّمَ عُمَرُ فَصَلَّى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا ، لَا ، لَا ، يَا أَبَى اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ » (١) .

الخامس : عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أَخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » (٢) .

قَالَ الزَّخَشَرِيُّ : « الْخَلِيلُ هُوَ الَّذِي يُوَافِقُكَ فِي كُلِّ خِلَالِكَ وَيُسَايِرُكَ فِي طَرِيقِكَ ، أَوِ الَّذِي يَدْخُلُكَ وَتَدْخُلُهُ ، أَوْ يَدْخُلُكَ خِلَالَ مَنْزِلِكَ » (٣) .

وفي رواية : قَالَ ﷺ : « سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ (٤) فِي الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةٍ أَبِي بَكْرٍ » (٥) .

قَالَ ابْنُ حِبَّانَ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَ هَذَا الْحَدِيثَ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ؛ لِأَنَّهُ حَسَمَ بِقَوْلِهِ : « سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي الْمَسْجِدِ » أَطْمَاعَ النَّاسِ كُلِّهِمْ عَنْ أَنْ يَكُونُوا خُلَفَاءَ بَعْدَهُ ، بَلْ وَسَدَّ كَذَلِكَ جَسَدُهُ بِجَوَارِ الْجَسَدِ الشَّرِيفِ حَتَّى تَتِمَّ الصُّحْبَةُ كَذَلِكَ فِي الْبَرَزَخِ » (٦) .

(١) «سنن أبي داود»، (٤٦٦٠)، «مسند الإمام أحمد»، (١٨٩٠٦) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري»، (٣٤٥٦)، «صحيح مسلم»، (٢٣٦٠) .

(٣) الزخشرى ، «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» .

(٤) الخَوْخَةُ : بَابٌ صَغِيرٌ كَالنَّافِذَةِ الْكَبِيرَةِ ، تَكُونُ بَيْنَ بَيْتَيْنِ يُنْصَبُ عَلَيْهَا بَابٌ .

(٥) متفق عليه : «صحيح البخاري»، (٣٩٠٤)، «صحيح مسلم»، (٢٣٨٢) .

(٦) «صحيح ابن حبان» .

السَّادِسُ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ، فِي مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ : «لَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، وَإِنِّي لَشَاهِدٌ ، وَمَا أَنَا بِغَائِبٍ وَمَا بِي مَرَضٌ ، فَرَضِينَا لِدُنْيَانَا مَا رَضِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِدِينِنَا» (١) .

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله : «وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا وَجَدَ فَضَائِلَ الصَّدِّيقِ الَّتِي فِي الصَّحَابِ كَثِيرَةٌ ؛ وَهِيَ خَصَائِصٌ مِثْلُ : (حَدِيثِ الْمَخَالَةِ) ، وَحَدِيثِ «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» ، وَحَدِيثِ : «إِنَّهُ أَحَبُّ الرِّجَالِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ» ، وَحَدِيثِ : «الْإِثْنَانِ إِلَيْهِ بَعْدَهُ» ، وَحَدِيثِ : «كِتَابَةُ الْعَهْدِ إِلَيْهِ بَعْدَهُ» ، وَحَدِيثِ : «تَخْصِيصُهُ بِالتَّصَدِيقِ وَالصُّحْبَةِ» (٢) .

وَلِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ : «إِنَّ فَضَائِلَ الصَّدِّيقِ لَمْ يُشَارِكْهُ بِهَا غَيْرُهُ» . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رحمته الله : «وَالَّذِي يُقَطَّعُ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ ، وَيَجِبُ أَنْ تُؤْمِنَ بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَفْئِدَةُ : فَضْلُ الصَّدِّيقِ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ» (٣) .

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته الله : «وَقَدْ انْفَرَدَ عليه السلام بِأَنَّهُ أَفْتَى فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَدَّمَهُ فِي الصَّلَاةِ ، وَنَصَّ عَلَيْهِ نَصًّا خَفِيًّا بِإِقَامَتِهِ مَكَانَهُ فِي الصَّلَاةِ» (٤) .

(١) «الفوائد» ، لابن القيم (ص ١١١) .

(٢) «منهاج السُّنَّة» ، (٨/ ٤١٧) .

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ، (٨/ ١٤٨) .

(٤) «التبصرة» ، (١/ ٤٠٠) .

من فضائل الصديق (عليه السلام) :

جاء في الصحيحين :

١ - عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنه) ، أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) بَعَثَهُ عَلَى جَيْشٍ (ذَاتِ السَّلَاسِلِ) ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : «عَائِشَةُ» فَقُلْتُ : مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : «أَبُوهَا» ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ، فَعَدَّ رِجَالًا (١) .

٢ - وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) : أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) صَعَدَ أَحَدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : «أُنْبِئْتُ أَحَدًا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ» (٢) .

٣ - جَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : «... إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّةٌ ، لَا يَتَّقَى فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ» (٣) .

٤ - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِهَا - يَعْنِي الْجَنَّةَ - : يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ . فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٣٦٢٢) ، «صحيح مسلم» ، (٢٣٨٤) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٣٦٧٥) ، «صحيح مسلم» ، (٢٤١٧) .

(٣) «صحيح البخاري» ، (٣٦٥٤) .

مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ،
وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّيَامِ وَبَابِ الرِّيَّانِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : مَا
عَلَى هَذَا يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ . وَقَالَ : هَلْ يُدْعَى مِنْهَا
كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ ﷺ : «نَعَمْ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ
يَا أَبَا بَكْرٍ» ^(١) .

٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ
صَائِمًا؟» قَالَ الصَّدِيقُ : أَنَا . قَالَ : «مَنْ تَصَدَّقَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ عَلَى سَائِلٍ
بَشِيءٍ؟» قَالَ : قَالَ الصَّدِيقُ : أَنَا . قَالَ : «مَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»
قَالَ : قَالَ الصَّدِيقُ : أَنَا . قَالَ : «مَنْ شَيَّعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ :
قَالَ الصَّدِيقُ : أَنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَ هَذِهِ
الْخِصَالَ إِلَّا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» ^(٢) .

مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِكِ الْمَدَلِّ تَمْشِي رُؤِيدًا وَتَجِي فِي الْأَوَّلِ!

٦ - وَلَمَّا حَتَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي تَبُوكَ تَصَدَّقَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ بِنِصْفِ مَالِهِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ سَبَقَ أَبَا بَكْرٍ بِذَلِكَ ، وَنَسَمِعَ الْفَارُوقَ
يُحَدِّثُنَا بِنَفْسِهِ عَنْ ذَلِكَ ؛ حَيْثُ قَالَ : «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٣٤٦٦) ، «صحيح مسلم» ، (٢٣٧٠) .

(٢) «صحيح مسلم» ، (٧١٣/٢) ، (١٨٥٧/٤) .

أَنْ نَتَصَدَّقَ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَا عِنْدِي ، فَقُلْتُ : الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا ، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ : مِثْلُهُ . قَالَ : وَآتَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . قُلْتُ : لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا^(١) . قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعْلِيْقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ : «كَانَ فِعْلُ عُمَرَ ﷺ فِي مَا فَعَلَهُ مِنَ الْمُنَافَسَةِ وَالْغِبْطَةِ مُبَاحًا ، وَلَكِنَّ حَالَ الصَّدِيقِ ﷺ أَفْضَلُ ؛ لِأَنَّهُ خَالَ مِنَ الْمُنَافَسَةِ مُطْلَقًا ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى غَيْرِهِ»^(٢) .

٧ - وعن أبي الدرداء ﷺ قال : «قال النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقْتَ ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟» - مَرَّتَيْنِ - . فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا»^(٣) .

٨ - أبو بكر الصَّدِيقِ ﷺ هو الذي ذَبَّ (عُقْبَةً) شَيْطَانُ قُرَيْشٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﷺ عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : أَخْبَرَنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي مَا كَانُوا يُظْهِرُونَ عَدَاوَتَهُ؟ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي

(١) «سنن أبي داود» (٣١٢/٢) ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِي .

(٢) «مجموع الفتاوى» ، (٧٣-٧٢/١٠) .

(٣) «صحيح البخاري» (١٧/٧) .

حِجْرَ الكَعْبَةِ ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَامَ دُونَهُ وَهُوَ يَبْكِي ، حَتَّى إِذَا أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَيَقُولُ : «أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» ^(١) .

٩ - وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَقَالَ : «يَا عَلِيُّ ، هَٰذَا نِ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَشَبَابِهَا بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، لَا تُخْبِرُهُمَا يَا عَلِيُّ» ^(٢) .

١٠ - عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ..» ^(٣) .

١١ - وَقَالَ ﷺ : «هَٰذَا نِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ» ، يَعْنِي : أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ^(٤) .

١٢ - وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «وَحَسِبْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» ^(٥) .

١٣ - وعن مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «قُلْتُ لِأَبِي : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٧٨) ، «مسند أحمد» (٢/ ٢١٨) ، والآية رقم : ٢٨ من سورة غافر .

(٢) «مسند أحمد» (١/ ٨٠) ، وصححه الألباني ، «الصحيح» رقم (٨٢٢) ، «صحيح الجامع» (٧٠٠٥) .

(٣) «مسند أحمد» ، و «الترمذي» ، وصححه الألباني .

(٤) صحيح رواه الترمذي والحاكم ، وصححه الألباني ، «الصحيح» (٨١٤) ، «صحيح الجامع» (٧٠٠٤) .

(٥) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٣٦٨٥) ، «صحيح مسلم» ، (٢٣٨٩) .

اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ. قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ رُوِيَ هَذَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ نَحْوِ ثَمَانِينَ وَجْهًا، وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُهُ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ، بَلْ كَانَ يَقُولُ: لَا أُوتَى بِأَحَدٍ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي، فَمَنْ فَضَّلَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ جُلِدَ بِمُقْتَضَى قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَمَانِينَ سَوْطًا» (٢).

١٤ - عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَسْتُ أَذْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي»، يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ» (٣).

١٥ - عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ وَهَمًا فِي الْغَارِ: «يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» (٤).

وَهَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ. وَفَضَائِلُ الصِّدِّيقِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الصَّوَاعِقِ الْمُحْرِقَةِ»، أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ وَعَشْرَةِ أَحَادِيثٍ فِي فَضَائِلِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ؟!

(١) «صحيح البخاري» (١٧/٧)، (٣٦٧١).

(٢) «مجموع الفتاوى»، ٤/٤٢٢.

(٣) «مسند أحمد» (٣٩٩/٥)، «سنن الترمذي» (٦١٠/٥)، «سنن ابن ماجه» (٣٧/١)، وصححه الألباني.

(٤) متفق عليه، «صحيح البخاري» (٤٦٦٣)، «صحيح مسلم» (٢٣٨١).

كَلَامُ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ فِي فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ
الصَّدِّيقِ (رضي الله عنه) :

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) : أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا ، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا . يَعْنِي :
بِلَا (١) .

وَقَالَ عُمَرُ أَيْضاً : وَدِدْتُ أَنِّي شَعْرَةٌ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ (٢) .

وَقَالَ عُمَرُ (رضي الله عنه) : لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَرَجَحَ بِهِمْ (٣) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) : خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ
وَعُمَرُ ، لَا يَجْتَمِعُ حُبِّي وَبُغْضُ أَبِي بَكْرٍ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ (٤) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ ، عَنْ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ مُسَجِّجٌ ،
فَقَالَ : مَا أَحَدٌ لَقِيَ اللَّهَ بِصَحِيفَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا الْمُسَجِّجِ (٥) .

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) : يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ اسْمَ أَبِي
بَكْرٍ مِنَ السَّمَاءِ الصَّدِّيقِ (٦) .

(١) «صحيح البخاري» ، (٣٥٤٤) .

(٢) أخرجه مسدد .

(٣) البيهقي ، «شعب الإيمان» .

(٤) الطبراني ، في «الأوسط» .

(٥) ابن عساكر ، «تاريخ دمشق» .

(٦) الطبراني ، «المعجم الكبير» (١/ ٥٥) .

عن الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو جُحَيْفَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا يَقُولُ : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ» ^(١) .

وعن عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ : «لَا يُفْضَلُنِي أَحَدٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ إِلَّا جَلَدَتْهُ جِلْدَ الْمُفْتَرِي» ^(٢) .

وعن ابنِ عُمَرَ عليه السلام قَالَ : «كُنَّا نُفْضِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ، ثُمَّ لَا نُفْضِلُ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ» ^(٣) .

وعن نَافِعٍ عن ابنِ عُمَرَ عليه السلام ، قَالَ : «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَا نَعْدِلُ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِأَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرَ ، ثُمَّ عُثْمَانَ ، ثُمَّ نَتْرُكُ وَلَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ» ^(٤) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ ، عن أَبِي حُصَيْنٍ قَالَ : مَا وُلِدَ لِأَدَمَ فِي ذُرِّيَّتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَقَدْ قَامَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ الرَّدَّةِ مَقَامَ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ^(٥) .

عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ : مَنْ أَسْلَمَ أَوَّلَ؟ ، فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ :

(١) إسناده حسن ، «مسند أحمد» (١/١٠٦) ، «سنن ابن ماجه» (١/٣٩) .

(٢) «السُّنَّةُ» ، لابن أبي عاصم ، (١٢١٩) ، ابن عساكر ، الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (ص ١/٤٩) .

(٣) كتاب «السُّنَّةُ» ، الخلال ، (١١٩٤) ، «ذخيرة الحفاظ» (٤/١٨٩٤) .

(٤) «صحيح البخاري» (٧/١٦) ، (٣٦٩٧) .

(٥) «تاريخ الخلفاء» ، السيوطي ، (ص ٥٩-٦٠) .

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًا مِنْ أَخِي ثِقَةً فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعْدَلُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
الثَّانِي التَّالِي الْمَحْمُودُ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا^(١)

عن عُرْوَةَ ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، أَصْبَحَ يُحَدِّثُ بِذَلِكَ النَّاسَ ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنَ وَصَدَّقَ بِهِ ، وَفُتِنُوا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ ؛ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ غَدَوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ . فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقَ^(٢) .

وَأَخْرَجَ الدَّارُقُطْنِي ، عن جَعْفَرِ الصَّادِقِ ، عن أَبِيهِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ : أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَبِيهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنهما ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ . فَقَالَ : عَنْ الصَّدِيقِ ؟ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَتُسَمِّيهِ الصَّدِيقَ ؟ فَقَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ : ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ !! قَدْ سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، وَمَنْ لَمْ يُسَمِّهِ صَدِيقًا فَلَا صَدَقَ اللَّهُ قَوْلَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اذْهَبْ فَأَحِبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما »^(٣) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ، عن زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ لِمَنْ يَتَبَرَّأُ مِنْهُمَا : اْعْلَمْ - وَاللَّهِ - أَنَّ الْبَرَاءَةَ مِنَ الشَّيْخَيْنِ - أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - الْبَرَاءَةُ مِنْ عَلِيٍّ ، فَتَقَدَّمَ أَوْ تَأَخَّرَ^(٤) .

(١) الحاكم ، «المستدرک» (٣/ ٦٤) ، أحمد بن حنبل ، «فضائل الصحابة» (٢/ ١٦٣) ، ابن الجوزي ، «صفة الصفوة» (٥/ ٢٣٧) .

(٢) الحاكم «المستدرک» ، ووافقه الذهبي ، وصحَّحه الألباني ، «الصحيحة» ، (٣٠٦) .

(٣) «سنن الدارقطني» .

(٤) ابن الجوزي ، «صفة الصفوة» .

وَمِنْ لَطَائِفِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ أَيْضاً قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي فَضْلِ الصَّدِيقِ : «مَنْ نَهَضَ كَنَهْضَتِهِ يَوْمَ الرَّدَّةِ ، وَمَنْ عَانَى مِنَ الْقَوْمِ تِلْكَ الشَّدَّةِ ، وَأَيُّ إِقْدَامٍ يُشْبِهُ تِلْكَ الْحِدَّةَ ، كَانَتْ آرَاؤُهُ مِنَ التَّوْفِيقِ مُسْتَمَدَّةً» (١) .

قَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِلَّا نَنْصُرْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ (٢) ، عَاتَبَ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ جَمِيعاً فِي هَذِهِ الْآيَةِ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٣) ، هُوَ وَاللَّهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (٤) .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : نَطَقَتْ بِفَضْلِهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ ، وَاجْتَمَعَ عَلَى بَيْعَتِهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . فَيَا مُبْغِضِيهِ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ ذِكْرِهِ نَارٌ ، كُلَّمَا تُلِيَتْ فَضَائِلُهُ عَلَا عَلَيْهِمُ الصَّغَارُ ، ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ . دُعِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَمَا تَلَعَثَ وَلَا أَبَى ، وَسَارَ عَلَى الْمَحَجَّةِ فَمَا زَلَّ وَلَا كَبَا ، وَأَكْثَرَ فِي الْإِنْفَاقِ فَمَا قَلَّلَ حَتَّى تَحُلَّلَ بِالْعَبَا .

(١) ابن الجوزي ، «صفة الصفوة» .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥٤ .

(٤) تفسير ابن كثير .

* مَنْ كَانَ قَرِينَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَبَابِهِ؟

* مَنْ الَّذِي سَبَقَ إِلَى الْإِيمَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ؟

* مَنْ الَّذِي أَفْتَى بِحَضْرَتِهِ سَرِيعاً فِي جَوَابِهِ؟

* مَنْ أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَهُ؟

* مَنْ آخِرُ مَنْ صَلَّى بِهِ؟

* مَنْ ذَا الَّذِي ضَاجَعَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي تُرَابِهِ؟

فاعرفوا حقَّ الجارِ ﴿ثَانِي﴾ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ ﴿١﴾ .

نَهَضَ يَوْمَ الرَّدَّةِ بِفَهْمٍ وَاسْتِيقَاطٍ .. وَأَبَانَ مِنْ نَصِّ الْكِتَابِ مَعْنَى دَقٍّ عَنْ
حَدِيدِ الْأَلْحَاطِ .. فَاَلْمُحِبُّ يَفْرَحُ بِفَضَائِلِهِ وَالْمُبْغِضُ يَغْتَاطُ .. حَسْرَةُ الرَّافِضِيِّ
أَنْ يَفِرَّ مِنْ مَجْلِسِ ذِكْرِهِ .. وَلَكِنْ أَيْنَ الْفِرَارُ ﴿ثَانِي﴾ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي
الْفَارِ ﴿١﴾ .

وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْنَاهُ لِهَوَانَا .. وَلَا نَعْتَقِدُ فِي غَيْرِهِ هَوَانًا .. وَلَكِنْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ
عَلِيٍّ وَكَفَانَا : «رَضِيكَ رَسُولُ اللَّهِ لِدِينِنَا ، أَفَلَا نَرْضَاكَ لِدُنْيَانَا؟» (١) .

أُولِيَّاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- * أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ .
 - * أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ .
 - * أَوَّلُ مَنْ سَمَّى الْقُرْآنَ مُصْحَفًا .
 - * أَوَّلُ خَلِيفَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ خَلِيفَةً ، وَأَوَّلُ خَلِيفَةٍ فَرَضَ لَهُ رَعِيَّتُهُ الْعَطَاءَ .
 - * أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ بَيْتَ الْمَالِ .
 - * أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَلُقِّبَ (عَتِيق) .
 - * أَوَّلُ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 - * أَوَّلُ مَنْ أُذِيَ فِي اللَّهِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 - * أَوَّلُ مَنْ دَافَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 - * وَهُوَ الْوَحِيدُ الْمُشَارِكُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هِجْرَتِهِ .
- إِنَّ إِسْلَامَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَكْثَرَ نَفْعًا لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

لأبي بكر الصديق مزايا لا يُشاركه فيها أحدٌ من البشر ، بالإضافة إلى ما سبق ذكره :

كان هو أحبّ النَّاسِ إلى المسلمين بعد الرَّسُولِ ﷺ ؛ فهو الثاني في الإسلام ، وفي بذل النفس والمال ، وفي الصُّحبة والزُّهد ، وفي الخلافة ، وفي العُمُر ، وقد كان الصديق ثاني اثنين يوم بدر . وقد جمع الله بينهما في الثَّبة ، كما جمع بينهما في الحياة . فانظر إلى سرِّ الاقتران : ﴿ لَا تَحْزَنُ إِنْ كُنَّ اللَّهُ مَعَنَا ﴾ ^(١) ، لفظاً وحكماً ومعنى ؛ إذ يُقال : رَسُولُ اللَّهِ ، وصاحب رَسُولِ اللَّهِ . فلما مات قيل : خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ . ثُمَّ انْقَطَعَتِ الْخِلَافَةُ بِمَوْتِهِ ، فَقِيلَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) .

طارَ وَاللَّهِ صَدِيقُ الْأُمَّةِ بَغَائِهَا ، وفاز بحبائِها ، وَذَهَبَ بِفَضَائِلِهَا ، وَأَدْرَكَ سَوَابِقَهَا ، كانت فضائله مَسْتُورَةً بِنِقَابٍ : « مَا سَبَقَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ » ؛ فهي مُجَانِسَةٌ لِمَنْقَبَةٍ : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ ^(٣) .

توفي أبو بكر الصديق ﷺ في جمادى الآخرة سنة (١٣ هـ) عن (٦٣ سنة) .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

(٢) ابن القيم ، « الفوائد » ، (ص ٢٧٢) ، ابن كثير ، « البداية والنهاية » (١٨ / ٤) .

(٣) سورة النجم ، الآية : ١٠

فَخِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) سِتَانِ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعُ لَيَالٍ ، مِنْ (١٣) رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١١ هـ) إِلَى (٢٦ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ١٣ هـ) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَأَرْضَاهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُكَ عَلَى حُبِّهِ وَحُبِّ جَمِيعِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، الْهَادِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ . وَصَلَّى اللَّهُمَّ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

المبحث الثاني

فضائل أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ثاني القوم عمرُ الفاروقُ ، ذو المقام المأنوق ، أعلنَ الله تعالى به دعوة الصّادقِ المصدوقِ ، فعلتْ بالتّوحيدِ أصواتهم بعدَ تخافت ، وثبتوا في أحوالهم بعدَ تهافت ، غلبَ كيدَ المشركينَ بما ألزَمَ قلبه من حقِّ اليقينِ ، لا يلتفتُ إلى كثرتهم وتواطئهم ، ولا يكثرُ لِمُمانعتِهِم وتعاظيهِم ، اتكالا على مَنْ هو مُنْشئهم وكافِيهم ، واستنصاراً لِمَنْ هو قاصِمُهم وشافيهِم ، المخصوصُ من بين الصّحابةِ بالمعارضةِ للمُبطِلينَ ، والمُوافقةِ في الأحكامِ لربِّ العالمينَ ، السّكينةُ تنطقُ على لسانِهِ ، والحقُّ يجري الحكمةَ من بيانه ^(١) .

شهدَ عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه بَدْرًا وأُحدًا ، والمُشاهدَ كُلّها مع النّبيِّ صلّى الله عليه وآله ، وخرَجَ في عدّةِ سَرايا ، وكانَ أميراً على بعضِها ، وهو أحدُ السّابِقينَ الأوّلينَ ، وأحدُ العشرةِ المشهُودِ لَهم بالجنّةِ ، وأحدُ الخلفاءِ الرّاشدينَ ، وأحدُ أَصهارِ النّبيِّ صلّى الله عليه وآله ، وأحدُ كبارِ علَماءِ الصّحابةِ وزُهادِهِم .

أُعْتَبِرَ إسلامُهُ بِمُثَابَةِ مَرَحَلَةِ جَدِيدَةٍ مِنْ مَرَاكِحِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ لِذَلِكَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : « مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُذْ أَسْلَمَ عُمَرُ » ^(٢) .

(١) أبو نعيم ، « حلية الأولياء » (١/ ٣٨) .

(٢) « صحيح البخاري » (٧/ ١٤١) ، (١٧٧٠) .

* عُمَرُ الرَّجُلُ الثَّانِي فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا وَأَبِي بَكْرٍ ، كَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي حَفْصٍ .

* كَانَ عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَهْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ الذَّهَبِيِّ ، وَفِي أَيَّامِهِ تَمَّ فَتْحُ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَبِلَادِ فَارِسَ ، وَالْقُدْسِ ، وَالْمَدَائِنِ ، وَمِصْرَ ، وَالْجَزِيرَةِ . أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَأَذَلَّ قَيْصَرَ الرُّومِ ، وَكَسَرَ كِسْرَى ، وَهَزَمَ مُلُوكَ بَنِي سَاسَانَ . وَفِي عَهْدِهِ زَالَ مُلْكُ الْفَرَسِ الْمَجُوسِ ، وَأُطْفِئَتْ نَارُ الْمَجُوسِيَّةِ .

* تُعَدُّ خِلَافَةُ عُمَرَ الْفَارُوقِ مُطْفِئُ نَارِ الْمَجُوسِيَّةِ ، وَالْمُحَدِّثُ الْمُلْهِمُ ، الشَّجَاعُ الْقَوِيُّ بِالْحَقِّ ، أَجْمَلُ السَّنَوَاتِ فِي عُمْرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَحَيَاةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . كَانَ عُمَرُ قَائِدًا فَذًا لَا يَتَكَرَّرُ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَيَّامِ وَالْعُصُورِ ، كَانَتْ حَيَاتُهُ صَفْحَةً مُشْرِقَةً مِنَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ ، يَفْتَخِرُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

* كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَلِيلَ الضَّحِكِ لَا يُبَازِحُ أَحَدًا ، وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ : كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا يَا عُمَرُ !

في فضائله ومناقبه

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ ، قُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ . فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا . فَبَكَى عُمَرُ ، وَقَالَ : أَعَلَيْكَ أَغَارٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟!» ^(١) .

قال ابن بطال فيه الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه . قال : وبكاء عمر يحتمل أن يكون مسروراً ، ويحتمل أن يكون تشوقاً أو خشوعاً . ووقع في رواية أبي بكر بن عياش ، عن حميد من الزيادة : «فقال عمر : وهل رفعتني الله إلا بك ؟ وهل هداني إلا بك ؟» ^(٢) .

عِلْمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه :

٢ - عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُوتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ ، حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي ، ثُمَّ نَاولَتْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : «الْعِلْمُ» ^(٣) .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٣٦٨٠) ، «صحيح مسلم» (٢٣٩٥) .

(٢) «فتح الباري» (٤٥ / ٧) .

(٣) متفق عليه ، «صحيح البخاري» (٤٠ / ٧) ، (٤٢١) ، «صحيح مسلم» (٨٥٩ / ٤) .

قَالَ فِي تَحْقِيقِ الْجَامِعِ : الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ هُنَا الْعِلْمُ سِيَاسَةُ النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ . وَاخْتَصَّ عُمَرُ بِذَلِكَ لَطُولِ مُدَّتِهِ ، وَاتِّفَاقِ النَّاسِ عَلَى طَاعَتِهِ . وَلَا أُدْرِي مِنْ أَيْنِ خَصَّصَ عِلْمَهُ بِذَلِكَ .

وَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَوْ أَنَّ عِلْمَ عُمَرَ يُوَضَّعُ فِي كِفَّةٍ مِيزَانٍ ، وَوُضِعَ عِلْمُ أَحْيَاءِ الْأَرْضِ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَ عِلْمُ عُمَرَ بِعِلْمِهِمْ ، وَلَقَدْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ ذَهَبَ بِتِسْعَةِ أَعْشَارِ الْعِلْمِ ^(١) .

فِرَاسَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ نَاسٌ مُحَدِّثُونَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ^(٢) .

قَالَ الْبَغَوِيُّ : «مُحَدِّثُونَ» فَاِلْمَحَدَّثُ : الْمُلْهَمُ ، يُلْقَى الشَّيْءُ فِي رَوْعِهِ . يُرِيدُ : قَوْمًا يُصِيبُونَ إِذَا ظَنُّوا ؛ فَكَأَنَّهُمْ حَدَّثُوا بِشَيْءٍ فَنَالُوهُ . وَتِلْكَ مَنْزِلَةٌ جَلِيلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ الْأَنْبِيَاءِ ^(٣) .

(١) الهيثمي في «المجمع» ، رواه الطبراني ، رجاله رجال الصحيح (٦٩ / ٩) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٣٦٨٩) ، «صحيح مسلم» ، (٢٣٩٨) .

(٣) «شرح السنة» (٨٣ / ١٤) .

دِينُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاسْتِقَامَتِهِ :

٤ - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ !
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا
غَيْرَ فَجِّكَ » ^(١) .

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ ، أَنَّ الشَّيْطَانَ
مَتَى رَأَى عُمَرَ سَالِكًا فَجًّا هَرَبَ هَيْبَةً مِنْ عُمَرَ ، وَفَارَقَ ذَلِكَ الْفَجَّ ،
وَذَهَبَ فِي فَجٍّ آخَرَ لَشِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْ بَأْسِ عُمَرَ أَنْ يَفْعَلَ فِيهِ شَيْئًا » ^(٢) .

٥ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « بَيْنَا
أَنَا نَائِمٌ ، رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ
الثَّدْيَ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ
يُجْرُهُ » . قَالُوا : فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الدِّينُ » ^(٣) .

عُلُوُّ مَنْزِلَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

٦ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَوْ كَانَ
مِنْ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » ^(٤) .

(١) متفق عليه : « صحيح البخاري » ، (٣٦٨٣) ، « صحيح مسلم » ، (٢٣٩٦) .

(٢) النووي ، « شرح صحيح مسلم » .

(٣) « صحيح البخاري » (٧٠٠٨) ، « صحيح ابن حبان » (٦٨٩٠) ، « صحيح النسائي » (٥٠٢٦) .

(٤) « مسند أحمد » (١٥٤ / ٤) ، « سنن الترمذي » (٦١٩ / ٥) ، الحاكم « المستدرک » (٨٥ / ٣) ، وصححه ووافقه
الذهبي ، وصححه الألباني .

صِدْقُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

٧ - عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ» ^(١) .

شِدَّةُ اتِّبَاعِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

٨ - عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «أَرَأَيْتُمْ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ» ^(٢) .

٩ - وعن حُذَيْفَةَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «اقتدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرُ» ^(٣) .

مَوْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَهِيداً :

١٠ - عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : صَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ : «أُتِبْتُ أُحُدٌ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ ، وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ» ^(٤) . الشَّهِيدَانِ هُمَا : عُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

١١ - عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى عَلَى عُمَرَ ثَوْباً أبيض ، فَقَالَ : «أَجْدِيدُ ثَوْبِكَ أَمْ غَسِيلٌ؟» ، قَالَ : فلا أدري بها رَدَّ عَلَيْهِ ،

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٤٠١) ، والترمذي ، وصحَّحه الألباني .

(٢) رواه أبو يَعْلَى (٥٧١٥) ، وصحَّحه الألباني .

(٣) «مسند أحمد» (٥/ ٣٩٩) ، «سنن الترمذي» (٥/ ٦١٠) ، «سنن ابن ماجه» (١/ ٣٧) ، صحَّحه الألباني .

(٤) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٣٦٩٧) ، «صحيح مسلم» ، (٢٣٩٤) .

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «إِلْبَسْ جَدِيدًا ، وَعِشْ حَمِيدًا ، وَمُتْ شَهِيدًا ،
وَيَرْزُقَكَ اللَّهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ^(١) .

عَبْقَرِيَّتُهُ ﷺ :

١٢ - وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي
أَنْزِعُ بِدَلْوٍ بَكْرَةً عَلَى قَلِيبٍ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنْوَبًا ، أَوْ ذَنْوَيْنِ نَزْعًا
ضَعِيفًا ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا ،
فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوَى النَّاسُ ، وَضَرَبُوا بِعَطْنٍ» ^(٢) .

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : وَهَذَا الْحَدِيثُ أَرَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلًا لِأَيَّامِ
خِلَافَتِهِمَا ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَصُرَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ ، وَلَمْ يَفْرُغْ مِنْ قِتَالِ
أَهْلِ الرَّدَّةِ لِفَتْحِ الْأَمْصَارِ ، وَأَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَالَتْ مُدَّتُهُ حَتَّى تَيْسَّرَتْ
لَهُ الْفُتُوحُ ، وَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْغَنَائِمَ ، وَكُنُوزَ الْأَكَاسِرَةِ ^(٣) .

١٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : وَضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَتَكَتَفَهُ النَّاسُ
يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ، وَأَنَا فِيهِمْ ، فَلَمْ يُرْعِنِي إِلَّا رَجُلٌ أَخَذَ مِنْكَبِي ،
فَإِذَا عَلَيٌّ ، فَتَرَحَّمَ عَلَيَّ عُمَرُ ، وَقَالَ : مَا خَلَفْتُ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ
عَمَلِهِ مِنْكَ ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ ، وَحَسِبْتُ

(١) «مسند أحمد» (٨٨/٢) ، إسناده صحيح ، «مصنف عبد الرزاق» (٢٣/١١) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٤١/٧) ، «صحيح مسلم» (١٦٢/١٥) .

(٣) «جامع الأصول» (٦١٦/٨) .

أَنِّي كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»^(١).

إِيْمَانُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ﷺ :

١٤ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، قَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحِرَاثَةِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، بَقْرَةٌ تَكَلِّمُ؟! فَقَالَ: «فَإِنِّي أَوْ مِنْ بَهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثَمَّ»^(٢).

١٥ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعَمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، نِعَمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، نِعَمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، نِعَمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، نِعَمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ^(٣).

١٦ - عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ^(٤).

(١) متفق عليه: «صحيح البخاري»، (٣٦٨٥)، «صحيح مسلم» (٢٣٨٩).

(٢) «مسند أحمد» (٨٨/٢)، وفي «البخاري» بلفظ آخر.

(٣) «مسند أحمد» (٤١٩/٢)، الحاكم، «المستدرک»، وصححه على شرط مسلم (٢٣٣/٣).

(٤) «مسند أحمد» (٣٩٩/٥)، «سنن الترمذي» (٦١٠/٥)، «سنن ابن ماجه» (٤١-٣٧/١).

١٧ - رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سِتَّةَ عَشَرَ حَدِيثًا ؛ مِنْهَا : عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : « قُلْتُ لِأَبِي : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ . قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ . قَالَ : عُمَرُ . وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(٤) . هَذَا عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١٨ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ عُمَرَ قَالَ : « وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ؟ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ^(١) . وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! يَدْخُلُ عَلَى نِسَائِكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ ! فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ . وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغِيَرَةِ ، فَقُلْتُ : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾ ^(٢) ، فَنَزَلَتْ كَذَلِكَ ^(٣) .

١٩ - وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ عُمَرُ : « وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ : فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ، وَفِي الْحِجَابِ ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ » ^(٤) . فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ خَصْلَةٌ رَابِعَةٌ . قَالَ مُجَاهِدٌ : « كَانَ عُمَرُ يَرَى الرَّأْيَ فَيَنْزِلُ بِهِ الْقُرْآنُ » . قَالَ السُّيُوطِيُّ : « قَدْ أَوْصَلَهُمَا بَعْضُهُمْ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ - يَعْنِي : مُوَافَقَاتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْقُرْآنِ - .

(٤) «صحيح البخاري» (٣٦٧١) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٥

(٢) سورة التحريم ، الآية : ٥

(٣) «صحيح البخاري» (١/٥٠٤-٥٠٥) .

(٤) «صحيح مسلم» (١٥/١٦٦-١٦٧) .

٢٠ - عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : «إني لأرى هلاكَ عُمرَ هدمَ ثلثِ الإسلامِ» ^(١) .

٢١ - قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : «كان الإسلامُ في زمانِ عُمرَ كالرجلِ المقبل ، لا يزدادُ إلا قرباً ، فلما قُتلَ عُمرُ ، كانَ كالرجلِ المدبرِ لا يزدادُ إلا بُعداً» ^(٢) .

٢٢ - ولما ماتَ عُمرُ رضي الله عنه بكى سعيّد بن زيد رضي الله عنه ، ف قيلَ له : ما يبكيك ؟ فقال : على الإسلامِ أبكي ، إنّه بموتِ عُمرَ ثلَمَ الإسلامُ ثلْمةً لا تترتقُ إلى يومِ القيامةِ ^(٣) .

٢٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنه ، عن علي رضي الله عنه ، قال : وحسبتُ أني كثيراً أسمعُ النَّبيَّ صلّى الله عليه وآله يقولُ : «ذهبْتُ أنا وأبو بكرٍ وعُمرُ ، ودخلْتُ أنا وأبو بكرٍ وعُمرُ ، وخرجْتُ أنا وأبو بكرٍ وعُمرُ» ^(٤) .

ومِمَّا يَدُلُّ على محبّةِ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لعُمرَ وتعظيمه إيّاه أنّه زوّجه ابنته أمّ كلثوم ، وهي ابنةُ فاطمة بنتِ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، خطبها من علي رضي الله عنه ، فزوّجه إيّاها ، فأصدقها عُمرُ رضي الله عنه أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ورُقيّة . رضي الله عنهم أجمعين .

(١) ابن حجر ، «التهذيب» (٨/ ٩٨) ، وإسناده صحيح ، «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٧٤) .

(٢) ابن سعد ، «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٨٤) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٣٦٨٥) ، «صحيح مسلم» ، (٢٣٨٩) .

كَلَامُ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ فِي فَضْلِ عُمَرَ رضي الله عنه :

١ - أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ ، عَنْ الصَّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ : مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عُمَرَ . وَعَنْ ابْنِ سَعْدٍ عَنْهُ : أَنَّهُ قِيلَ لَهُ فِي مَرَضِهِ : مَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ وَقَدْ وَلَّيْتَ عُمَرَ؟ قَالَ : أَقُولُ لَهُ : وَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُمْ ^(١) .

٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُذْ أَسْلَمَ عُمَرُ» ^(٢) .

٣ - عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : «إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَلَا بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ^(٣) .

٤ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : «لَقَدْ أَحْبَبْتُ عُمَرَ حُبًّا حَتَّى لَقَدْ خِفْتُ اللَّهَ ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ كَلْبًا يُحِبُّهُ عُمَرُ لِأَحَبِّتُهُ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ خَادِمًا لِعُمَرَ حَتَّى أَمُوتَ ، وَلَقَدْ وَجَدَ فَقْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْعِضَاءُ ، إِنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ فَتْحًا ، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا ، وَإِنَّ سُلْطَانَهُ كَانَ رَحْمَةً» ^(٤) .

٥ - عَنْ عَمْرِو بْنِ حَرْثٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ : «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَسْمِيَ الثَّالِثَ» ^(٥) .

(١) «الكامل» لابن الأثير ، (٧٩ / ٢) .

(٢) «صحيح البخاري» (١٤١ / ٧) ، (١٧٧) .

(٣) «معجم الطبراني» في الكبير (١٨٠ / ٩) ، وإسناده صحيح ، الحاكم (٩٣ / ٣) .

(٤) أحمد بن حنبل ، «فضائل الصحابة» (٣٤٤ / ١) ، «تاريخ الطبري» (٥٣٢ / ٣) ، «صفة الصفوة» (٢٧٤ / ١) .

(٥) إسناده حسن ، «التهذيب» ، ابن حجر (٧ / ١١) .

٦ - عن أبي حية الهمداني قال : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ : «كَانَ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ أَحَدُنَا بَعْدَهُمْ أَحَدَانَا ، يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» (١) .

٧ - عن عَبْدِ خَيْرٍ ، عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) قال : إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ حُجَّةً عَلَى مَنْ بَعْدَهُمَا مِنَ الْوُلَاةِ ، وَمَصَّرَ بِهِ الْأَمْصَارَ ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، الْبَعِيدُ وَالْقَرِيبُ سَوَاءٌ فِي الْعَدْلِ وَالْحَقِّ ، وَضَرَبَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ ، حَتَّى إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِهِ ، وَأَنْ مَلَكًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ يُسَدِّدُهُ» (٢) .

٨ - وأيضاً عن عَبْدِ خَيْرٍ ، عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) ، قال : «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ حُجَّةً عَلَى مَنْ بَعْدَهُمَا مِنَ الْوُلَاةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَسَبَقَا وَاللَّهِ سَبْقًا بَعِيدًا ، وَاتَّبَعَا وَاللَّهِ مَنْ بَعْدَهُمَا إِتِّعَابًا شَدِيدًا ؛ فَذَكَرُوهَا بِسُوءِ حُزْنٍ لِلْأُمَّةِ ، وَطَعْنٍ عَلَى الْأَثَمَةِ» (٣) .

٩ - عن أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ (عليه السلام) : «وَاللَّهِ مَا كَانَ عُمَرُ أَقْدَمَنَا هِجْرَةً ، وَقَدْ عَرَفْتُ بِأَيِّ شَيْءٍ فَضَّلْنَا ، كَانَ أَزْهَدَنَا فِي الدُّنْيَا» (٤) .

١٠ - عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ (عليه السلام) ، قال : «أَكْثَرُوا ذِكْرَ عُمَرَ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ ذَكَرْتُمُ الْعَدْلَ ، وَإِذَا ذَكَرْتُمُ الْعَدْلَ ذَكَرْتُمُ اللَّهَ» (٥) .

(١) إسناده حسن ، «التهذيب» ، ابن حجر (٢٩٥/٦) ، «التقريب» (٥٠٢/١) .

(٢) «كنز العمال» ، (٣٦١٠٠) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» ، (٣٤٣٠٥) .

(٥) ينظر : «أسد الغابة» لابن الأثير .

١١ - وعن قُبَيْصَةَ بْنِ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْأَفَ بِرَعِيَّتِهِ ، وَلَا خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَمْ أَجِدْ أَفْرَأَ لِكِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا أَفْقَهَ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَلَا أَقْوَمَ بِحُدُودِ اللَّهِ ، وَلَا أَهْيَبَ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَلَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ^(١) .

١٢ - عن أَبِي وَائِلٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : لَوْ أَنَّ عِلْمَ عُمَرَ وَضِعَ فِي كِفَّةٍ مِيزَانٍ ، وَوُضِعَ عِلْمُ النَّاسِ فِي كِفَّةٍ مِيزَانٍ ، لَرَجَحَتْ كِفَّةُ عُمَرَ . فَذَكَرَتْهُ لِإِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا . قُلْتُ : مَاذَا قَالَ ؟ قَالَ : لَمَّا مَاتَ عُمَرُ ذَهَبَ تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْعِلْمِ ^(٢) .

١٣ - عن ثَابِتٍ ، عن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ بَيْنَ كَتِفَيْ عُمَرَ أَرْبَعَ رِقَاعٍ فِي قَمِيصِهِ ^(٣) .

١٤ - وعن سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ ، عن أَبِي عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ مَرْقُوعٌ بِقِطْعَةٍ جِرَابٍ ^(٤) .

١٥ - وَقَالَ صُهَيْبٌ رضي الله عنه : لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، ظَهَرَ الْإِسْلَامُ ، وَدُعِيَ إِلَيْهِ عَلَانِيَةً ، وَجَلَسْنَا حَوْلَ الْبَيْتِ حِلَقًا ، وَطُفْنَا بِالْبَيْتِ ، وَانْتَصَفْنَا مِمَّنْ غُلِظَ عَلَيْهِ ، وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ ^(٥) .

(١) ينظر : «سير أعلام النبلاء» للذهبي .

(٢) «معجم الطبراني» ، ووثق رجاله الهيثمي في «المجمع» .

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي .

(٤) ابن سعد ، «الطبقات الكبرى» .

(٥) ابن سعد ، «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٦٩) ، «صفة الصفوة» (١/ ٢٧٤) .

١٦ - عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَا بِعُمَرَ ، إِنَّ عُمَرَ كَانَ حَائِطًا حَصِينًا ، يَدْخُلُهُ الْإِسْلَامُ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ انْتَلَمَ ^(١) الْحَائِطُ ، فَلَا إِسْلَامَ يَخْرُجُ مِنْهُ وَلَا يَدْخُلُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي خَادِمٌ لِمِثْلِ عُمَرَ حَتَّى أَمُوتَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ الْيَوْمَ وَضِعُوا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ ، وَوُضِعَ عُمَرُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى ، لَرَجَحَ شِقُّ عُمَرَ ، إِنَّ عُمَرَ كَانَ يَأْمُرُ بِالْجُزُورِ فَتَنْحَرُ فَتَكُونُ الْكَبْدُ وَالسَّانَمُ وَأَطَايِبُهَا لِابْنِ السَّبِيلِ ، وَيَكُونُ الْعُنُقُ لِأَلِ عُمَرَ ، إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّ هَلَا بِعُمَرَ ^(٢) .

١٧ - عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : عُمَرُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم مَا رَأَى فِي نَوْمَةٍ أَوْ يَقْظَةٍ فَهُوَ حَقٌّ ، قَالَ صلی اللہ علیہ وسلم : «بَيْنَا أَنَا فِي الْجَنَّةِ إِذْ رَأَيْتُ دَارًا ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا ، فَقِيلَ : لِعُمَرَ» ^(٣) .

١٨ - وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : «لَا يُفْضَلُنِي أَحَدٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدَتْهُ جِلْدَ الْمُفْتَرِي» ^(٤) .

١٩ - وَعَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم ، لَا نَعْدِلُ بَعْدَ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم بِأَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرَ ، ثُمَّ عُثْمَانَ ، ثُمَّ نَتْرُكُ وَلَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ» ^(٥) .

(١) انتلم الحائط : انكسر .

(٢) الطبراني ، «الكبير» ، بإسنادين صحيحين (٧٩ / ٩) ، ابن سعد «الطبقات الكبرى» (٣ / ٣٧١) .

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٢٤٥ / ٥) ، ابن حجر ، «التهذيب» (١ / ١٦٠) .

(٤) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (١٢١٩) ، الإمام أحمد ، «فضائل الصحابة» (١ / ٤٩) .

(٥) «صحيح البخاري» (١٦ / ٧) .

٢٠ - عن طارق بن شهاب قال : «كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِهِ مَلَكٌ» (١) .

٢١ - وعن الشَّعْبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي شَيْءٍ ، فَانظُرُوا إِلَى قَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٢) .

أَوَّلِيَّاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلُ مَنْ دُعِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ التَّارِيخَ الْهَجْرِيَّ .

وَأَوَّلُ مَنْ فَتَحَ الْفُتُوحَ ، وَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ ، وَجَنَّدَ الْأَجْنَادَ .

وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْخَرَاجَ ، وَجَعَلَ الْعُشُورَ ، وَفَرَضَ الْأَعْطِيَةَ .

وَأَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ عَرَّفَ الْعُرَفَاءَ ، وَاسْتَقْضَى الْقَضَاةَ .

وَأَوَّلُ مَنْ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى التَّرَاوِيحِ .

وَأَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ .

وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الدَّرَّةَ وَأَدَّبَ بِهَا ، حَتَّى قِيلَ بَعْدَهُ : لِدَرَّةِ عُمَرَ أَهْيَبُ مِنْ سُيُوفِكُمْ .

وَأَوَّلُ مَنْ عَسَّ بِاللَّيْلِ فِي الْمَدِينَةِ .

(١) الطبراني ، «المعجم الكبير» (٣٨٤ / ٨) ، «البداية والنهاية» (٢٠١ / ٦) ، وإسناده صحيح .

(٢) ابن حجر ، «التهذيب» (٢٦١ / ٤) ، «التاريخ الكبير» (١٦١ / ٢) ، وإسناده صحيح .

وهو الذي وَضَعَ الْقَنَادِيلَ فِي الْمَسَاجِدِ فِي رَمَضَانَ ؛ حَتَّى قَالَ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : نَوَّرَ اللَّهُ عَلَى عُمَرَ فِي قَبْرِهِ ، كَمَا نَوَّرَ عَلَيْنَا فِي مَسَاجِدِنَا .

عُمَرُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَوَّلُ مَنْ زَادَ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وَوَسَّعَهُ وَفَرَّشَهُ بِالْحَصْبَاءِ .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : اتَّخَذَ عُمَرُ دَارَ الدَّقِيقِ ، فَجَعَلَ فِيهَا الدَّقِيقَ ، وَالسُّوَيْقَ ، وَالتَّمْرَ ، وَالزَّبِيبَ ، وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، يُعِينُ بِهِ الْمُنْقَطِعَ ، وَوَضَعَ فِي مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بِالطَّرِيقِ مَا يُصْلِحُ بِهِ مَنْ يَنْقَطِعُ بِهِ .

أَنْفَذَ عُمَرُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَمْرَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِإِخْرَاجِ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ ، وَأَخْرَجَ أَهْلَ نَجْرَانَ إِلَى الْكُوفَةِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

قُتِلَ عُمَرُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) شَهِيداً فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ (٢٣هـ) عَنِ (٦٣ سَنَةً) .

فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَشْرَ سِنَوَاتٍ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ (جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٣هـ) إِلَى (٢٦ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٢٣هـ) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَارُوقِ الْأُمَّةِ ، عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ ! اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْهَدُكَ عَلَى حُبِّهِ ، وَحُبِّ جَمِيعِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، الْهَادِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، وَسَائِرِ صَحَابَةِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى صَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

المبحث الثالث

فضائل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

إنَّه ذُو النُّورَيْنِ ، وصاحبُ الهِجْرَتَيْنِ ، وزَوْجُ الاثْنَيْنِ : عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رضي الله عنه .
 قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ : وثالثُ القَوْمِ القَانِتُ ذُو النُّورَيْنِ ، والخائفُ ذُو الهِجْرَتَيْنِ ،
 والمُصَلِّي إِلَى القِبْلَتَيْنِ ، هو عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رضي الله عنه ، كان من الذين : ﴿وَأَمِنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ ^(١) ؛ فكان هو مِمَّنْ قَانَتْ
 آنَاءَ اللَّيْلِ ساجِداً وقائماً يحذِرُ الآخِرَةَ ، ويرجو رَحْمَةَ رَبِّهِ . غالبُ أحواله
 الكَرَمُ والحَيَاءُ ، والحَذَرُ والرَّجَاءُ ، حَظُّهُ مِنَ النَّهَارِ الجُودُ والصَّيَامُ ، ومن اللَّيْلِ
 السُّجُودُ والقِيَامُ ، مُبَشِّرٌ بِالْبَلَوَى ، وَمُنْعَمٌ بِالنَّجْوَى ^(٢) .

الرَّجُلُ الثَّالِثُ فِي الإِسْلَامِ ، أميرُ الْمُؤْمِنِينَ ، ذُو النُّورَيْنِ ، صِهْرُ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَتَيْهِ ، وهو أَحَدُ العَشْرَةِ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 بِالْجَنَّةِ ، ومن أعْظَمِ أَعْمَالِهِ تَجْهِيزُ جَيْشِ العُسْرَةِ بِمَالِهِ ، وَجَمْعُ الْقُرْآنِ عَلَى
 مُصْحَفٍ وَاحِدٍ ، وَتَوْسِيعَةُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

وُلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ عُمَرَ رضي الله عنه ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ كَثِيراً مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالْأَمْصَارِ ،
 وَتَوَسَّعَتِ الْخِلَافَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَامْتَدَّتْ الدَّوْلَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، وَبَلَغَتِ الرِّسَالَةُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٣

(٢) أبو نعيم ، «حلية الأولياء» (١/ ٥٥) .

مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَظَهَرَ لِلنَّاسِ مِصْدَاقُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ ^(١) ، وَقَوْلُهُ ﷺ : « إِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(٢) . وَهَذَا كُلُّهُ لَحَقُّ وَقُوعُهُ ، وَتَأَكَّدَ وَتَوَطَّدَ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَضَائِلُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

١ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ، فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُهَا وَهُوَ يَقُولُ : « مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ » ، يُرَدُّ ذَلِكَ مِرَارًا » ^(٣) .

(مَا) نَافِيَةٌ ، بِمَعْنَى لَيْسَ ؛ أَي : لَيْسَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَضُرُّهُ الَّذِي يَعْمَلُ فِي جَمِيعِ عُمُرِهِ بَعْدَ هَذِهِ الْحَسَنَةِ . وَالْمَعْنَى : أَنَّهَا مُكَفِّرَةٌ لِدُنُوبِهِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عُثْمَانَ ذِي الثَّوَرَيْنِ ، لَقَدْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ بِأَكْمَلِهِ فِي زَمَانِ الْقَيْظِ ، وَقِلَّةِ الْمَاءِ ، وَالْحَاجَةِ إِلَى الْعُدَّةِ وَالْعَتَادِ .

(١) سورة النور ، الآية : ٥٥

(٢) متفق عليه ، « صحيح البخاري » (١١٥٣/٣) ، « صحيح مسلم » ، ورواه الإمام أحمد في « المسند » (٩٢/٥) ، (٢٠٩٠١) .

(٣) صحيح ، أحمد بن حنبل ، « المسند » ، (٦٣/٥) ، وحسنه الألباني في « مشكاة المصابيح » (٦٤-٦٦) ، وحسنه في « صحيح سنن الترمذي » (٢٠٨/٣) ، رقم (٢٩٢٠) .

عُثْمَانُ رضي الله عنه من أهل الجنة :

٢ - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ : « اسْتَفْتَحَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه ، فَقَالَ : « افْتَحْ ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلَوَى تُكُونُ » ^(١) .

أَكْرَمَ اللَّهُ عُثْمَانَ رضي الله عنه بِالشَّهَادَةِ :

٣ - عن أنس رضي الله عنه قَالَ : « صَعَدَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه أَحَدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، فَجَفَّ ، فَقَالَ صلوات الله عليه : « أُسْكُنْ أَحَدًا ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ ، وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ » ^(٢) .

٤ - بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه عَلَى حِرَاءَ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، قَالَ : « أُثْبِتْ حِرَاءَ ، مَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ » ^(٣) .

٥ - وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : « يَا عُثْمَانُ ، إِنَّ وَلَّاكَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ يَوْمًا ، فَأَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصَكَ الَّذِي قَمَصَكَ اللَّهُ ، فَلَا تَخْلَعْهُ » ^(٤) .

(١) متفق عليه : « صحيح البخاري » ، (٣٦٩٥) ، « صحيح مسلم » ، (٢٤٠٣) .

(٢) متفق عليه : « صحيح البخاري » (٢٢ / ٧) ، (٣٦٧٥) ، « صحيح مسلم » ، (٢٤١٧) .

(٣) « سنن الترمذي » (٣٦٩٩) ، « البحر الزخار » (٤ / ٩١) .

(٤) « سنن ابن ماجه » (٤١ / ١) ، (١١٢) ، أحمد بن حنبل ، « فضائل الصحابة » ، (٥٥٣ / ١) .

عُثْمَانُ رضي الله عنه تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ :

٦ - عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنه ، قَالَتْ : «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ بَيْنَ فَخْذَيْهِ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَيْئَتِهِ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَيْئَتِهِ ، وَجَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَجَاءَ عَلِيٌّ يَسْتَأْذِنُ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَيْئَتِهِ ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ فَأَسْتَأْذَنَ ، فَتَجَلَّلَ ثَوْبَهُ ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَتَحَدَّثُوا سَاعَةً ثُمَّ خَرَجُوا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! دَخَلَ عَلَيْكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ ، وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ وَأَنْتَ فِي هَيْئَتِكَ لَمْ تَتَحَرَّكَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عُثْمَانُ تَجَلَّلْتَ ثَوْبَكَ ؟ قَالَ : «أَلَا أَسْتَحِي مِمَّنْ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟» ^(١) .

قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله : «وَفِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعُثْمَانَ وَجَلَالَتِهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ وَأَنَّ الْحَيَاءَ صِفَةٌ جَمِيلَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ» ^(٢) .

وَقَالَ رضي الله عنه : «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ» ^(٣) .

٧ - عَنْ مُسْلِمٍ أَبِي سَعِيدٍ ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ : «أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ أَعْتَقَ عَشْرِينَ مَمْلُوكًا ، وَدَعَا بِسَرَاوِيلَ ، فَشَدَّهَا عَلَيْهِ وَلَمْ يَلْبَسْهَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا

(١) «صحيح مسلم» (٤/١٨٦٦) ، أحمد بن حنبل ، «المسند» (٦/٦٢) .

(٢) النووي ، «شرح صحيح مسلم» .

(٣) «مصنف عبد الرزاق» ، (١١/٢٢٥) ، (٢٠٣٨٧) . و«السلسلة الصحيحة» للألباني .

إسلام ، قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْبَارِحَةَ فِي النَّوْمِ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ ، وَأَنَّهُمْ قَالُوا لِي : اضْبِرْ ، فَإِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا الْقَابِلَةَ . ثُمَّ دَعَا بِمُصْحَفٍ فَنَشَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقُتِلَ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ» (١) .

٨ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الرضوان ، كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، قَالَ : فَبَايَعَ النَّاسَ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ» ، فَضَرَبَ بِأَحَدِي يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُثْمَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لِأَنفُسِهِمْ» (٢) .

عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَالِثُ الْفَضَلَاءِ :

٩ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٌ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، فَيُلْغُ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ» (٣) .

١٠ - وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ : كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ (٤) .

(١) إسناده حسن ، أحمد بن حنبل ، «المسند» (٧٢/١) .

(٢) «سنن الترمذي» (٣٧٠٢١) ، «مشكاة المصابيح» (٦٠١٩) .

(٣) إسناده صحيح ، رواه أبو داود ، «السنن» ، (٢٠٦/٤) ، ابن أبي عاصم ، «السنن» (ص ١١٦) .

(٤) «صحيح البخاري» (١٦/٧) .

١١ - عن عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : «جَاءَ رَجُلٌ مِنْ مِصْرَ قَدْ حَجَّ الْبَيْتَ ،
فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا ، فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ . فَقَالُوا : هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ . قَالَ :
فَمَنْ الشَّيْخُ فِيهِمْ ؟ . قَالُوا : ابْنُ عُمَرَ . فَأَتَى فَقَالَ : يَا ابْنَ عُمَرَ ، إِنْ سَأَلْتُكَ
عَنْ شَيْءٍ تُحَدِّثُنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَنْشُدَكَ بَحْرَمَةَ هَذَا الْبَيْتِ ، أَتَعْلَمُ
أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْلَمُهُ تَغْيِبَ عَنْ بَدْرِ فَلَمْ
يَشْهَدْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْنِي تَغْيِبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ
يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَبَّرَ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ : تَعَالِ حَتَّى
أُخْبِرَكَ وَأُبَيِّنَ لَكَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ ؛ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ
قَدْ عَفَا عَنْهُ ^(١) وَغَفَرَ لَهُ ، وَأَمَّا تَغْيِبُهُ عَنْ بَدْرِ ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ ابْنَةُ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ
شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمُهُ لَكَ» ، وَأَمَّا تَغْيِبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ
أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ ، فَبَعَثَ عُثْمَانُ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ
بَعْدَ مَا ذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى : «هَذِهِ يَدُ
عُثْمَانَ» ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ الْأُخْرَى عَلَيْهَا ، فَقَالَ : هَذِهِ لِعُثْمَانَ . فَقَالَ لَهُ
ابْنُ عُمَرَ : اذْهَبْ بِهَذِهِ الثَّلَاثُ مَعَكَ» ^(٢) .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ آل عمران : ١٥٥ .

(٢) «صحيح البخاري» (٥٤ / ٧) ، أحمد بن حنبل ، «المُسْنَدُ» (١٠١ / ٢) .

عُثْمَانُ رضي الله عنه يُقْتَلُ مَظْلُومًا :

١٢ - عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : « ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِتْنَةً فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ : « يُقْتَلُ هَذَا الْمُقْتَنَعُ يَوْمَئِذٍ مَظْلُومًا » . قَالَ : فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ^(١) .

عُثْمَانُ رضي الله عنه الْمُنْفِقُ :

١٣ - عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : أَشْرَفَ عُثْمَانُ مِنَ الْقَصْرِ وَهُوَ مُحْصُورٌ ، فَقَالَ : أَنُشِدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حِرَاءَ إِذْ اهْتَزَّ الْجَبَلُ فَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « اسْكُنْ حِرَاءَ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ صَدِيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ » ، وَأَنَا مَعَهُ ؟ ، فَاثْتَشَدَّ لَهُ رِجَالٌ ، فَقَالَ : أَنُشِدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ؛ إِذْ بَعَثَنِي إِلَى الْمَشْرِكِينَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، قَالَ : « هَلْ فِي يَدِي وَيَدِ عُثْمَانَ » ، فَبَايَعَ لِي ؟ فَاثْتَشَدَّ لَهُ رِجَالٌ ، قَالَ : أَنُشِدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ يُوسِّعُ لَنَا هَذَا الْبَيْتَ فِي الْمَسْجِدِ ؟ » ، فَاثْتَشَدَّ لَهُ رِجَالٌ ، قَالَ : وَأَنُشِدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ جَيْشِ الْعُسْرَةِ ، قَالَ : « مَنْ يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً ؟ » ، فَجَهَّزْتُ الْجَيْشَ مِنْ مَالِي ؟ قَالَ : فَاثْتَشَدَّ لَهُ رِجَالٌ ، قَالَ : وَأَنُشِدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رُومَةَ يُبَاعُ مَاؤُهَا لِابْنِ السَّبِيلِ فَاثْتَعْتُهَا مِنْ مَالِي ، فَأَبْحَثُهَا ابْنُ السَّبِيلِ ؟ قَالَ : فَاثْتَشَدَّ لَهُ رِجَالٌ ^(٢) .

(١) إسناده صحيح ، أحمد بن حنبل ، «المسند» (١١٥ / ٢) ، الترمذي ، «السنن» (٦٣ / ٥) .

(٢) صحيح لغيره ، أحمد بن حنبل ، «المسند» (٥٩ / ١) ، «فضائل الصحابة» (١ / ٦٦٦) ، «سنن النسائي» (٢٣٦ / ٦) ، «الترمذي» (٦٢٧ / ٥) .

١٤ - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم ، فقال : «رَأَيْتُ أَنْفًا كَأَنِّي أُعْطِيتُ الْمَقَالِيدَ ، وَالْمَوَازِينَ ؛ فَأَمَّا الْمَقَالِيدُ فَهِيَ الْمَفَاتِيحُ ، فَوُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَوُضِعَتْ أُمَّتِي فِي كِفَّةٍ فَرَجَحَتْ بِهِمْ ، ثُمَّ جِيَءَ بِأَبِي بَكْرٍ فَرَجَحَ بِهِمْ ، ثُمَّ جِيَءَ بِعُمَرَ فَرَجَحَ بِهِمْ ، ثُمَّ جِيَءَ بِعُثْمَانَ فَرَجَحَ بِهِمْ ، ثُمَّ رُفِعَتْ» ، فقال له رجل : فأين نحن ؟ ، قال : «أَنْتُمْ حَيْثُ جَعَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» ^(١) .

عُثْمَانُ رضي الله عنه الْأَمِينُ :

١٥ - عن موسى بن عتبة قال : «حَدَّثَنِي أَبُو أُمِّي حَبِيبَةُ ، أَنَّهُ دَخَلَ الدَّارَ وَعُثْمَانُ مُحْصُورٌ فِيهَا ، وَأَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَسْتَأْذِنُ عُثْمَانَ فِي الْكَلَامِ ، فَأَذِنَ لَهُ فَقَامَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلَافًا - أَوْ قَالَ : اخْتِلَافًا وَفِتْنَةً -» . فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ : فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «عَلَيْكُمْ بِالْأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ» ، وهو يُشِيرُ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ» ^(٢) .

١٦ - عن مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ : «بَلَغَ عَلِيًّا أَنَّ عَائِشَةَ تَلْعَنُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ فِي الْمَرْبِدِ ^(٣) ، قَالَ : فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى بَلَغَ بِهِمَا وَجْهَهُ ، فَقَالَ : وَأَنَا أَلْعَنُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ ، لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ . قَالَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا» ^(٤) .

(١) أحمد بن حنبل ، «المسند» ، (٧٦ / ٢) ، والحديث صحَّحه الشيخ أحمد شاكر في «المسند» برقم (٥٤٦٩) .

(٢) إسناده صحيح ، أحمد بن حنبل ، «المسند» ، (٣٤٥ / ٣) ، أخرجه الحاكم ، «المستدرک» (٩٩ / ٣) ، ووافقه الذهبي .

(٣) موضع التمر مثل الجرين . وقال الأصمعي : كل شيء حُبِسَتْ فِيهِ الْأَبْلُ ؛ ولهذا قيل مربد النَّعَمَ بالمدينة ، على بعد ميلين منها ، «معجم البلدان» ، (٩٨ / ٥) .

(٤) إسناده صحيح ، أحمد بن حنبل ، «فضائل الصحابة» (٥٥٥ / ١) ، عمر بن شُبَّة ، «تاريخ المدينة» (٣٨٢ / ٢) .

١٧ - عن حبيب بن الزبير ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الشَّرِيدِ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا يَخْطُبُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (١) ، (٢) .

١٨ - عن أبي عون ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَاطِبٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَلِيًّا عَنْ عُثْمَانَ ، فَقَالَ : هُوَ مِنَ الَّذِينَ : ﴿ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا ﴾ (٣) ، وَلَمْ يَخْتِمِ الْآيَةَ (٤) .

١٩ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ : «لَوْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ لَرُمُوا بِالْحِجَارَةِ كَمَا رُمِيَ قَوْمُ لُوطٍ» (٥) .

٢٠ - عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أُدْعُوا لِي بَعْضَ أَصْحَابِي» قُلْتُ : أَبُو بَكْرٍ؟ قَالَ : «لا» . قُلْتُ : عُمَرُ؟ قَالَ : «لا» . قُلْتُ : ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ؟ قَالَ : «لا» . قُلْتُ : عُثْمَانُ؟ قَالَ : «نَعَمْ» . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : «تَنَحَّيْ» فَجَعَلَ يُسَارُهُ وَلَوْ أَنَّ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الدَّارِ وَحْصَرَ قُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ : لا ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهْدَ إِلَيَّ عَهْدًا ، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ» (٦) .

(١) سورة الحجر ، الآية : ٤٧

(٢) إسناده صحيح ، أحمد بن حنبل ، «فضائل الصحابة» ، (١/ ٥٣٥) .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٩٣

(٤) إسناده صحيح ، أحمد بن حنبل ، «فضائل الصحابة» ، (١/ ٥٨٠) ، ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (ص ١١٨) .

(٥) إسناده صحيح ، أحمد بن حنبل ، «فضائل الصحابة» ، (١/ ٥٦٣) ، ابن عبد البر ، «الاستيعاب» ، (٣/ ٨٤) .

(٦) «مسند الإمام أحمد» ، (١/ ٥٨-٦٩) ، «سُنَنُ ابْنِ مَاجَه» (١/ ٤٢) ، ابن أبي عاصم ، «السُّنَّة» (ص ١١٤) ،

«فضائل الصحابة» ، أحمد بن حنبل (١/ ٤٩٤) .

٢١ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَيْضاً قَالَتْ : أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ، فَلَمَّا رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَتْ إِحْدَانَا عَلَى الْأُخْرَى ، فَكَانَ مِنْ آخِرِ كَلَامِهِ أَنْ ضَرَبَ بَيْنَ مِنْكَبَيْهِ ، وَقَالَ : «يَا عُثْمَانُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصاً ، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعُهُ حَتَّى تَلْقَانِي - ثَلَاثاً -» . فَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَأَيْنَ كَانَ هَذَا عَنْكَ؟ قَالَتْ : نَسِيتُهُ ، وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهُ . قَالَ : فَأَخْبَرْتُهُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ^(١) .

عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْهَى الصَّحَابَةَ عَنِ التَّدْخُلِ :

لَقَدْ حَاصَرَ الْمُجْرِمُونَ الْفَسَقَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنَعُوا عَنْهُ الْمَاءَ وَالطَّعَامَ ، وَأَرَادَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُوَاجَهُوهُمْ بِالسَّلَاحِ ، فَنَهَاَهُمُ عُثْمَانُ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَعْظَمَكُمْ عَنِّي غَنَاءٌ رَجُلٌ كَفَّ يَدَهُ وَسِلَاحَهُ .

وَقَالَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ شَبَابِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ أَخَذُوا مَكَانَهُمْ لِحِرَاسَتِهِ : أُنَاشِدُكُمْ اللَّهَ ، وَأَسْأَلُكُمْ بِهِ ، أَلَا تُرَاقِ بِسَبَبِي مَحْجَمَةٌ دَمٍ ! وَجَاءَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِنُصْرَتِهِ ، فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي قِتَالٍ وَإِهْرَاقِ الدِّمَاءِ !! .

(١) «مسند الإمام أحمد» (٨٦/٦) ، ابن ماجه (٤١/١) ، صححه الألباني ، «صحيح ابن ماجه» ، (١١٢) .

بَلْ إِنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه طَلَبَ مِنْهُمْ ، وَعَزَمَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْصَرِفُوا وَيَتْرَكُوهُ يُوَاجِهْ
مَصِيرَهُ دُونَ قِتَالٍ وَإِرَاقَةِ دِمَاءٍ . وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ حِفْظاً لِدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَشْيَةً
مِنْ حُدُوثِ الْفِتْنَةِ بِسَبَبِهِ . وَكَذَلِكَ فَإِنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، فَقَالَ لَهُ : «يَا
عُثْمَانُ ، أَفْطِرُ عِنْدَنَا» . فَأَصْبَحَ صَائِماً وَقُتِلَ مِنْ يَوْمِهِ ^(١) .

اللَّحَظَاتِ الْآخِرَةِ :

وَفِي سَاعَاتِهِ الْآخِرَةِ رضي الله عنه أَعْتَقَ عِشْرِينَ مَمْلُوكاً ، وَدَعَا بَسْرَاوِيلَ فَلَبِسَهَا
لِيَلَّا تَبْدُو عَوْرَتُهُ إِذَا قُتِلَ ؛ فَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الْحَيَاءِ رضي الله عنه . وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ
الْمُصْحَفَ يَتْلُو فِيهِ ، وَاسْتَسَلَّمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَفَّ يَدَهُ عَنِ
الْقِتَالِ ، وَنَصَحَ الْفَسَقَةَ ، وَأَبَانَ لَهُمْ فَضْلَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَنْتَهَوْا ، فَاقْتَحَمُوا
عَلَيْهِ دَارَهُ ، وَقَتَلُوهُ . وَرُوي أَنَّ أَوَّلَ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ سَقَطَتْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ^(٢) .

وَقُتِلَ رضي الله عنه شَهِيداً فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ (٣٥هـ) وَكَانَ عُمرُهُ تِسْعُونَ سَنَةً .
عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ .

وَخِلَافَةُ عُثْمَانَ رضي الله عنه إِثْنَا عَشَرَ سَنَةً إِلَّا اثْنِي عَشَرَ يَوْماً مِنْ (١) مُحَرَّمِ سَنَةِ
٢٤هـ) إِلَى (١٨ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٣٥هـ)

(١) رواه الحاكم ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٣٧

وَصَلَّى عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ ، وَدَفَنَهُ بِالْبَقِيعِ حَسَبَ وَصِيَّتِهِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عُثْمَانَ
 بْنِ عَفَّانَ وَأَرْضَاهُ ! اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْهَدُكَ عَلَى حُبِّهِ وَحُبِّ جَمِيعِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ،
 الْهَادِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، وَسَائِرِ صَحَابَةِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى
 نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

المبحث الرابع

فضائل أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام

عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ لِضَرَّارِ بْنِ خَمْزَةَ : صِفْ لِي عَلِيًّا ، فَقَالَ : أَوْتَعِفْنِي؟ قَالَ : بَلْ تَصِفُهُ . فَقَالَ : أَوْتَعِفْنِي؟ قَالَ : لَا أَغْفِيكَ . فَقَالَ : أَمَا أَنْ لَا بُدَّ فَإِنَّهُ كَانَ بَعِيدَ الْمَدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَضْلًا وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَنْفَجِرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلُمَتِهِ . كَانَ - وَاللَّهِ - غَزِيرَ الدَّمْعَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ، يَقْلُبُ كَفَّهُ وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا خَشَنَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا جَشَبَ . كَانَ - وَاللَّهِ - كَأَحَدِنَا ، يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَيَبْتَدِئُنَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ، وَيَأْتِينَا إِذَا دَعَوْنَاهُ ، وَنَحْنُ - وَاللَّهِ - مَعَ تَقْرِيهِ لَنَا وَتُقْرَبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ وَلَا نَبْتَدِيهِ تَعْظُمَةً ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ ، يُعْظَمُ أَهْلُ الدِّينِ وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ ، وَلَا يَتَأَسُّ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ ، فَاشْهَدُ بِاللَّهِ لَرَأْيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرَخَى اللَّيْلُ سُجُوفَهُ وَغَارَتْ نُجُومُهُ ، وَقَدْ مَثَلَ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ وَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ وَهُوَ يَقُولُ : يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا ، أَبِي تَعَرَّضْتَ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّفَتْ؟ هَيْهَاتَ .. هَيْهَاتَ ، غُرِّي غَيْرِي ، قَدْ بَنَيْتُكَ ثَلَاثًا ، فَلَا رَجْعَةَ لِي فِيكَ ، فَعَمْرُكَ قَصِيرٌ وَعَيْشُكَ حَقِيرٌ وَخَطْرُكَ كَبِيرٌ ، آه مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ . قَالَ : فَذَرَفَتْ دُمُوعُ مُعَاوِيَةَ ، فَمَا يَمْلِكُهَا وَهُوَ يُنْشِفُهَا بِكُمِّهِ ، وَقَدْ اخْتَنَقَ

الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ ، ثُمَّ قَالَ مُعَاوِيَةُ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ ! كَانَ - وَاللَّهِ - كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ حُزْنُكَ عَلَيْهِ يَا ضِرَارُ ؟ قَالَ : حُزْنٌ مَن ذُبِحَ وَلَدُهَا فِي حَجَرٍهَا فَلَا تَرْقَأُ عَبْرَتُهَا وَلَا يَسْكُنُ حُزْنُهَا ^(١) .

هو رابع الخلفاء الراشدين ، وأوّل مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّيَّانِ ، أَقْرَبُ الْخُلَفَاءِ نَسَباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الْحَبَرُ ، التَّقِيُّ ، النَّقِيُّ ، وَزَوْجُ الْبَتُولِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَأَبُو السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَجْمَعِينَ . كُنِيَته أَبُو الْحَسَنِ ، وَكَتَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي تُرَابٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ هَاشِمِيِّ وُلِدَ مِنْ هَاشِمِيِّينَ ، وَأَوَّلُ خَلِيفَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ . هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ، وَجَمِيعَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِلَّا تَبُوكَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَلَفَهُ عَلَى أَهْلِهِ . وَلَهُ فِي الْجَمِيعِ بَلَاءٌ عَظِيمٌ ، وَآثَرٌ حَسَنٌ . وَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللِّوَاءَ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ بِيَدِهِ .

فَضَائِلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ ، وَمَنَاقِبُ عَظِيمَةٌ ، حَتَّى قَالَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا وَرَدَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا وَرَدَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « الْمَنْصُوصُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَبْدِيعٌ مِنْ تَوْقَفٍ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ : هُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ ، وَأَمَرَ

(١) «التبصرة» ، (١/ ٤٤٢-٤٤٥) ، «الصواعق المحرقة» (٢/ ٣٧٥) .

بُجْرَانِهِ . فَأَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ﷺ ، ثُمَّ عُمَرُ ﷺ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ﷺ ، ثُمَّ عَلِيٌّ ﷺ .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ لِعَلِيٍّ وَآلِ الْبَيْتِ ؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ حَفِظُوا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ ، وَرَوَوْهَا كَمَا سَمِعُوهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، لَمْ يَكْتُمُوا شَيْئاً مِنْهَا .

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ فِي فَضَائِلِهِ ﷺ

الْأَوَّلُ : عَلِيٌّ ﷺ شَهِيدٌ :

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، فَتَحَرَّكَتْ صَخْرَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ» ^(١) .

الثَّانِي : عَلِيٌّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ :

٢ - قَالَ ﷺ : «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ...» ^(٢) .

الثَّالِثُ : عَلِيٌّ ﷺ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ :

٣ - عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّهُ لَعَهْدَ النَّبِيِّ ﷺ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ أَنَّهُ : «لَا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ» ^(٣) .

(١) «سنن الترمذي» (٣٦٩٩) ، «البحر الزَّخَّار» (٤/٩١) .

(٢) «مسند الإمام أحمد» ، (١٥٨٧) ، «سنن الترمذي» ، (٣٨٣٩) ، وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي .

(٣) «صحيح مسلم» ، (٧٨) ، «صحيح ابن حَبَّان» (٦٩٢٤) .

الرَّابِع : مَنْزِلَةُ عَلِيٍّ عليه السلام مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :

٤ - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَلَفَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؟! غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» ^(١) .

الخَامِس : مِنْ أَهْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :

٥ - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ ^(٢) ، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ ، وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا ، فَقَالَ : «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي» ^(٣) .

السَّادِس : عَلِيٌّ رضي الله عنه يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ :

٦ - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ : «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» ^(٤) .

السَّابِعُ : عَلِيٌّ رضي الله عنه مِنْ قُضَاةِ الْعَدْلِ :

٧ - عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاضِيًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَقُلْتُ :

(١) متفق عليه ، «صحيح البخاري» ، (٣٧٠٦) ، «صحيح مسلم» ، (٢٤٠٤) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦١

(٣) «صحيح مسلم» ، (٢٤٠٤) ، «سنن الترمذي» (٢٩٩٩) .

(٤) «صحيح البخاري» (١٥٤٢ / ٤) ، (٣٩٧٣) .

يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تَبْعُنِي إِلَى قَوْمٍ هُمْ أَسَنُّ مِنِّي لِأَقْضِي بَيْنَهُمْ ، قَالَ :
« اذْهَبْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ ، وَيَهْدِي قَلْبَكَ » .

وزاد دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ فِي حَدِيثٍ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ :
« ثَبَّتَكَ اللَّهُ وَسَدَّدَكَ » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي الرَّبِيعِ : فَمَا اخْتَلَفَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَضَاءُ ^(١) .

الثَّامِنُ : أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ :

٨ - عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ » ^(٢) .

٩ - وَعَنْ حَبِشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ ،
وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ » ^(٣) .

التَّاسِعُ : عَلِيٌّ رضي الله عنه أَوَّلُ مَنْ يَجُثُو لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ :

١٠ - رَوَى الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجُثُو بَيْنَ

يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادَةَ : فِيهِمْ

نَزَلَتْ : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ ^(٤) . قَالَ : هُمَ الَّذِينَ

تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ : حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ ، وَشَيْبَةُ بْنُ

رَبِيعَةَ وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ ^(٥) .

(١) إسناده صحيح ، «مسند الإمام أحمد» (٨٣/١) ، «سنن ابن ماجه» (٧٧٤/٢) ، «سنن البيهقي» (٧٦/١٠) .

(٢) «صحيح البخاري» ، (٤٢٥١) ، (٢٦٩٩) ، «صحيح ابن حبان» (٤٨٧٣) .

(٣) «مسند أحمد» ، وحسنه الألباني .

(٤) سورة الحج ، الآية : ١٩

(٥) «صحيح البخاري» (١٤٥٨/٤) ، (٣٧٤٧) .

فضائل له مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين :

* عن سعيد بن زيد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «عشرة في الجنة : أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعلي في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وأبو عبيدة في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد في الجنة ، وصاحبكم في الجنة» ^(١) .

* وقال رسول الله ﷺ : «اسكن حراء ، فإنما عليك نبي ، أو صديق ، أو شهيد» ^(٢) . وكان على الجبل : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد رضي الله عنهم .

* وعن محمد بن سيرين ، عن أبي صالح ، عن علي رضي الله عنه قال : «إني لأرجو أن نكون أنا ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، بمن قال الله عز وجل : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ ^(٣) ، ^(٤) .

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» ^(٥) .

(١) الترمذي ، «السنن» ، وإسناده صحيح ، رقم (٣٧٤٨) ، وقول سعيد صاحبكم ، يعني نفسه .

(٢) «صحيح مسلم» ، (٢٤٠٨) .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٤٧

(٤) أحمد بن حنبل ، «فضائل الصحابة» ، (٨٠١ / ٢) ، حققه وخرج أحاديثه : وصي الله بن محمد بن عباس ، وقال إسناده حسن .

(٥) «صحيح البخاري» ، (١٣٣٥ / ٣) ، (٣٤٥٠) .

عُلُو مَكَانَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ :

١ - قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته الله فِي الثَّنَاءِ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام : «كَانَ عليه السلام خَلِيقًا بِالسِّيَادَةِ ، إِنَّ نَظْرَتَ إِلَى عِلْمِهِ فَقَدْ احتَاجَ إِلَيْهِ السَّادَةُ ، وَإِنْ نَظَرْتَ فِي زُهِدِهِ فَلَا فِرَاشَ وَلَا وِسَادَةَ ، كَانَ يُشَبِّهُ الْقَمَرَ الزَّاهِرَ ، وَالْبَحَرَ الزَّاحِرَ ، وَالْأَسَدَ الْحَادِرَ ، وَالرَّبِيعَ الْبَاكِرَ . أَشَبَّهُ مِنَ الْقَمَرِ ضَوْءَهُ وَبَهَاءَهُ ، وَمِنَ الْغُرَابِ حَذْرَهُ ، وَمِنَ الدِّيَكِ سَخَاءَهُ ، وَمِنَ الْأَسَدِ شَجَاعَتَهُ وَمَضَاءَهُ ، وَمِنَ الرَّبِيعِ خِصْبَهُ وَمَاءَهُ . بَادَرَ الْفَضَائِلَ فَكَانَ فِي الْأَوَائِلِ ، وَخَاضَ بَحَرَ الشَّجَاعَةِ فَلَمْ يَرْضَ بِسَاحِلِ ، وَحَازَ الْعُلُومَ فَحَارَ لَجَوَابِهِ السَّائِلُ ، وَلَا زَمَ السَّهَرُ لِيَسْمَعَ : «هَلْ مِنْ سَائِلٍ» ، وَزَهَدَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهَا أَيَّامٌ قَلَائِلُ ، سُبحَانَ مَنْ جَمَعَ لَهُ الْمَنَاقِبَ وَالْفَضَائِلَ ، بَحْرٌ مِنَ الْبِرَاعَةِ ، وَنَجْمٌ مِنَ الشَّجَاعَةِ ثَاقِبٌ ...» ^(١) .

٢ - قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ . هَذَا مَذْهَبُنَا وَقَوْلُ أَئِمَّتِنَا» ^(٢) .

٣ - وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ : «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ الْهَاشِمِيُّ ، حَيْدَرَةٌ ، أَبُو ثَرَابٍ ، وَأَبُو الْحَسَنِ ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَرَجَّحَ جَمْعُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ ، فَهُوَ سَابِقُ

(١) ابن الجوزي ، «البصرة» ، ص ٤٤٥ - ٤٤٧ (مختصراً) .

(٢) «الاستيعاب» (٣ / ٥١) .

العرب ، وهو أحد العشرة . مات في رمضان سنة أربعين ، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم على الأرض ، بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح^(١) .

٤ - وقال ابن تيمية كلاماً نفيساً يوضح فيه عقيدة أهل السنة أشد الوضوح ، ويرد على أولئك الموثورين الذين يلّمزون أهل السنة بالنواصب ، فيقول : « وهذا أيضاً يدل على صحة إمامة علي^(عليه السلام) ووجوب طاعته ، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة ، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار ، وإن كان متأولاً »^(٢) .

وقال أيضاً : « وأما علي^(عليه السلام) ، فأهل السنة يحبونه ، ويتولونه ، ويشهدون بأنه من الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين »^(٣) .

ويضيف شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً : « وعلي^(عليه السلام) ما زالا^(٤) مكرمين له غاية الإكرام ، بكل طريق ، مقدمين له - بل ولسائر بني هاشم على غيرهم - في العطاء ، مقدمين له في المرتبة ، والحرمة ، والمحبة ، والمؤالاة ، والثناء ، والتعظيم ؛ كما يفعلان بنظرائه ، ويفضّلانه بما فضّله الله عز وجل به على من ليس مثله . ولم يعرف عنها كلمة سوء عن علي^(عليه السلام) »

(١) «تقريب التهذيب» (ص ٤٠٢) .

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٣٧) .

(٣) «منهاج السنة» (٦/ ١١٨) .

(٤) أي : أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق .

قَطُّ ؛ بَلْ وَلَا فِي أَحَدٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ . وَكَذَلِكَ عَلِيٌّ عليه السلام قَدْ تَوَاتَرَتْ عَنْهُ
مَحَبَّتُهُمَا ، وَمُؤَالَاؤُهُمَا ، وَتَعْظِيمُهُمَا ، وَتَقْدِيمُهُمَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَّةِ ، مَا يُعَلِّمُ بِهِ
حَالَهُ فِي ذَلِكَ . وَلَمْ يُعْرِفْ عَنْهُ قَطُّ كَلِمَةً سُوءٍ فِي حَقِّهَا ..» ^(١) .

ثَنَاءُ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام :

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه : لَقَدْ أُعْطِيَ عَلِيٌّ ثَلَاثَ خِصَالٍ ؛ لِأَنْ تَكُونَ لِي
خَصْلَةً مِنْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ . فَسُئِلَ : مَا هِيَ ؟ ، فَقَالَ : تَرْوِيحُهُ ابْنَتَهُ ،
وَسُكْنَاهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَالْآيَةُ يَوْمَ خَيْبَرَ .

وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه أَيْضاً : عَلِيٌّ أَقْضَانَا . وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ
مُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ ، يَعْنِي : عَلِيّاً .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : إِنَّهُ أَعْلَمُ مَنْ بَقِيَ بِالسُّنَّةِ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : أَفَرَضُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَأَفْضَاهَا عَلِيٌّ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَّاشٍ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ رحمهم الله : كَانَ لِعَلِيٍّ مَا شِئْتَ مِنْ ضَرَسٍ
قَاطِعٍ فِي الْعِلْمِ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْقِدَمِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَالصَّهْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله ،
وَالْفِقْهِ فِي السُّنَّةِ ، وَالنَّجْدَةِ فِي الْحَرْبِ ، وَالْجُودِ بِالْمَالِ ^(٢) .

(١) «منهاج السُّنَّة» (١٧٨/٦) .

(٢) السيوطي ، «تاريخ الخلفاء» ، ص ١٧١ .

وَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيْمَ نَزَلَتْ ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ ، وَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ ، إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْبًا عَقُولًا ، وَلِسَانًا نَاطِقًا .

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَقُولُ : سَلُونِي . إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

قَالَ جَرْمُوزٌ : رَأَيْتُ عَلِيًّا وَعَلَيْهِ قَطْرَتَانِ ^(١) ، وَإِذَا رُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ ، وَرِدَاءُ مُشَمَّرٌ ، وَمَعَهُ دِرَّةٌ لَهُ يَمْشِي بِهَا فِي الْأَسْوَاقِ ، يَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحُسَنِ الْبَيْعِ ، وَيَقُولُ : أَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ ^(٢) .

مَقْتَلُهُ عليه السلام :

لَمَّا طَالَ النَّزَاعُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ عليه السلام ، قَرَّرَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِنَ الْخَوَارِجِ أَنْ يَقْتُلُوا عَلِيًّا ، وَمُعَاوِيَةَ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عليه السلام .

فَأَمَّا صَاحِبُ عَلِيٍّ فَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ - قَبَّحَهُ اللَّهُ - ، وَقَدْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ شَبِيبُ بْنُ عَجْرَةَ الْأَشْجَعِي ، وَغَيْرُهُ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ - .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ سَابِعِ عَشَرَ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ ، اسْتَيْقَظَ عَلِيٌّ عليه السلام سَحَرًا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْمُؤَذِّنُ فَقَالَ : الصَّلَاةُ ! فَخَرَجَ عَلِيٌّ عليه السلام مِنَ الْبَابِ

(١) ثِيَابٌ خَشِيشَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قَطْرِ .

(٢) «التبصرة» (١/ ٤٤٤) .

يُنَادِي : أَيُّهَا النَّاسُ : الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ ! وكان الخبيثان يَخْتَبِئَانِ لَهُ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ شَيْبٌ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ ، فَوَقَعَ سَيْفُهُ بِالْبَابِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ بِسَيْفِهِ ، فَأَصَابَ جَبْهَتَهُ إِلَى قَرْنِهِ ، وَوَصَلَ دِمَاغَهُ ، وَهَرَبَ . أَمَّا شَيْبٌ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ فَقَتَلَهُ .

وَأَمَّا ابْنُ مُلْجَمٍ فَشَدَّ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى اسْتَطَاعُوا الْإِمْسَاكَ بِهِ ، فَجَاؤُوا بِهِ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، إِنْ أَنَا مِتُّ فَاقْتُلُوهُ كَمَا قَتَلَنِي ، وَإِنْ سَلِمْتُ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْيِي .

فَأَمْسَكَ وَأَوْثَقَ ، وَظَلَّ عَلِيٌّ حَيًّا الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ ، وَتُوفِّيَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ ، فَأَمَرَ الْحَسَنُ بِضَرْبِ عُنُقِ ابْنِ مُلْجَمٍ - قَبَّحَهُ اللَّهُ - .

قُتِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَهِيدًا فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ (٣٥هـ) عَنْ (٩٠ سَنَةٍ) عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ .

وَخِلَافَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْبَعُ سَنَوَاتٍ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ (١٩ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٣٥هـ) إِلَى (١٩ رَمَضَانَ سَنَةِ ٤٠هـ) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَرْضَاهُ ! اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْهَدُكَ عَلَى حُبِّهِ ، وَحُبِّ جَمِيعِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، الْهَادِينَ الْمُهْدِيِّينَ ، وَسَائِرِ صَحَابَةِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَمَجْمُوعُ خِلَافَةِ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ : تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ
وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ^(١) .

(١) ابن قدامة، «لمعة الاعتقاد»، شرح ابن عثيمين، ص ١٤٢ .

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث :

(١) صحابة رسول الله ﷺ كلهم عُدُولٌ ، وكلهم في الجنة ، وهم أفضلُ الناسِ بعدَ الأنبياءِ عليهم السلام ، والشهادةُ لهم بالإيمانِ أصلٌ قطعيٌّ معلومٌ من الدينِ بالضرورة ، والصحابةُ خيرُ القرونِ ، لأنَّ اللهَ زكَّاهم وكذلك رسولُه ﷺ .

(٢) عدالةُ الصحابةِ رضوان الله عليهم ثابتة في القرآن والسنة والإجماع ، فهم الجيلُ المباركُ المزكى من الله تعالى ورسوله ﷺ .

وعدالةُ الصحابةِ رضي الله عنهم من مسائلِ العقيدةِ القطعية ، ولم يُخالف في ذلك إلا شذوذٌ من الزنادقة والمنافقين والباطنيين .

ومن ثبت له شرفُ الصحبة لا يتطلبُ شرطُ التعديل ، بل يُكتفى بشرطِ الصحبةِ تعديلاً .

(٣) صحابةُ رسولِ الله ﷺ هم الجيلُ القرآنيُّ الفريدُ الذي لا يُجودُ الزمانُ بمثله أبداً ، فهم الذين حفظوا لنا الوحيين (الكتاب والسنة) وبلغوها بأمانةٍ وصدقٍ لمن بعدهم ، فهم خيرُ الناسِ للناسِ ، وأفضلُ تابعٍ لخيرِ منبوع ، وهم الذين فتحوا البلادَ بالسَّنانِ والقلوبَ بالإيمانِ .

(٤) تَمَيَّزَ جَيْلُ الصَّحَابَةِ بِالْإِيمَانِ الْعَمِيقِ وَالْعَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ وَالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ ، فَالصَّحَابَةُ الْكِرَامُ عَاشُوا مَوْحِدِينَ مِنْ أَجْلِ الْجِهَادِ وَمُجَاهِدِينَ مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ كَانُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْجِهَادِ وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ لِلْبُطُولَةِ وَالشَّهَادَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْوَفَاءِ لِدِينِهِمْ كَمَا قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَمَا مِنَّا إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ ... » .

(٥) وَالصَّحَابَةُ هُمْ خَيْرُ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا ، وَإِنَّمَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ وَالْفِتْنُ لَمَّا خَفِيَ آثارُهُمْ ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَأْخُذُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِدُونِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِالصَّحَابَةِ وَيَتَّبِعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ .

(٦) كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَشْجَعَ النَّاسِ ، كَانَ أَشْجَعَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشَدَّ فِي الْحَقِّ مِنَ الشَّدَّةِ ، كَانَتْ حَيَاتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلُّهَا جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، بَلْ كَانَتْ أُمْنِيَّتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَعَ أَنْ مَنَزَلَتْهُ فِي الْجَنَّةِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ ، كَانَ الْجِهَادُ سِمَةً دَائِمَةً ، وَجِبَلَةً مُلَازِمَةً لِإِمَامِ الْمُجَاهِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ ، وَلَأَصْحَابِهِ الشُّجْعَانِ الْأَفْذَاذِ الْأَبْطَالِ ، فَكَانُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُقْتَدِينَ بِإِمَامِ الْمُجَاهِدِينَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ ، وَأَعْظَمِهَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ حُبُّ الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَخَصِّ خَصَائِصِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، بَلْ كَانَ دَيْدَنًا وَمَنْهَجًا ثَابِتًا فِي حَيَاتِهِمْ مِنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِمْ .

(٧) إِنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَشْهَدْ رِجَالًا عَقَدُوا عَزَمَهُمْ وَنَوَايَاهُمْ عَلَى غَايَةٍ تَنَاهَتْ فِي الْعِظَمَةِ وَالسُّمُوِّ وَالْبَذْلِ ، ثُمَّ نَذَرُوا حَيَاتِهِمْ عَلَى نَسْقٍ تَنَاهَى فِي الْجَسَارَةِ وَالتَّضَحِّيَةِ وَالْبَذْلِ ، كَمَا شَهِدَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَلِمَ الصَّحَابَةُ أَنَّ لِلْجِهَادِ فَضْلًا لَا يُضَاهَى وَلَا يَتَنَاهَى ، وَأَيَقُنُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ ، وَأَنَّ الرِّيَّ الْأَعْظَمَ فِي شُرْبِ كُؤُوسِ الْحُتُوفِ ، فَشَمَّرُوا لِلْجِهَادِ عَنْ سَاقِ الْجِتْهَادِ ، وَبَاعُوا الْحَيَاةَ الْفَانِيَةَ بِالْعَيْشِ الْبَاقِي ، وَنَشَرُوا أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ فِي الْآفَاقِ ، لَقَدْ أَقَامَ اللَّهُ لِهَذَا الدِّينِ قَادَةً وَفُرْسَانًا قَاتَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ الْبَشَرِيُّ تَارِيخًا مِثْلَ تَارِيخِهِمْ ، وَلَا رِجَالًا دُونَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلَ مِنْهُمْ وَلَا أَشْجَعَ .

(٨) صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمْ أَفْضَلُ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَهُمْ حَلَقَةُ الْوَصْلِ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا ﷺ ، وَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْحَلَقَةُ يَعْنِي قَطَعَ صِلَةَ الْأُمَّةِ بِنَبِيِّهَا ﷺ ، فَلَا يُنْتَصَرُ لِشَخْصٍ انْتِصَارًا مُطْلَقًا عَامًّا ، إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا لِلطَّائِفَةِ انْتِصَارًا مُطْلَقًا إِلَّا لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . فَإِنَّ الْهَدْيَ يَدُورُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ دَارَ وَمَعَ أَصْحَابِهِ دُونَ أَصْحَابٍ غَيْرِهِ .

(٩) الصَّحَابَةُ أَكْثَرُ النَّاسِ إِيمَانًا بِالنُّصُوصِ وَأَكْثَرُهُمْ فَهَمًّا لِلنُّصُوصِ وَأَكْثَرُهُمْ عَمَلًا بِالنُّصُوصِ وَكُلُّ فَهْمٍ مُخَالِفٍ لِفَهْمِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ رَدٌّ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَأَصْبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ ، وَمَنَارًا

يُسْتَضَاءُ بِآثَارِهِ ، فَكَانُوا بِحَقِّ هُدَاةٍ مُهْتَدِينَ هَمَّتْهُمْ رِفْعَةُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ
فِي أَبْعَدِ بَقَاعِ الْأَرْضِ ، وَفَاتَحُوا الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ ، لَوْ لَا جُهُودُهُمْ
وَجِهَادُهُمْ لَمَا كُنَّا قَاطِنِينَ فِي أَطْلَالِ نَعْمِهِمْ ، بِغَمِّهِمْ فِيهَا وَهَمِّهِمْ ،
وَلَمَا عَشْنَا آمِنِينَ فِي ظِلَالِ هِمَمِهِمْ ، بِجُودِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَكَرَمِهِمْ !! .

(١٠) لَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ لِلْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ ، وَالْهُدَى الْمَتَّبِعِ فَهُمْ أَحَقُّ الْأُمَّةِ
فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَأَجْدَرُ الْخَلْقِ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ ، لِذَلِكَ
كَانَتْ عِنَايَةُ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) الْفَائِقَةُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَلْقِيًا
وَحِفْظًا وَتَبْلِيغًا .

(١١) وَعَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ
هُوَ بَدْعٌ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا خَصْلَةً مِنْ
خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا .

(١٢) إِنَّ الصَّحَابَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا هَذَا الدِّينَ كَامِلًا صَحِيحًا ،
وَحَافِظُوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَعَلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ ، وَنَشَرُوا الدِّينَ بَيْنَ
أَرْجَاءِ الْأَرْضِ مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَى مَغْرِبِهَا ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، وَالْإِسْلَامُ ، وَالْقُرْآنُ ، وَالْعِلْمُ ، وَالْمَعَارِفُ ، وَالْعِبَادَاتُ ، وَدُخُولُ
الْجَنَّةِ ، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ ، وَالْإِنْتِصَارُ عَلَى الْكُفَّارِ ، وَعُلُوُّ كَلِمَةِ اللَّهِ فَإِنَّمَا
هُوَ بِبَرَكَتِهِ مَا فَعَلَهُ الصَّحَابَةُ ، الَّذِينَ بَلَّغُوا الدِّينَ ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَكُلُّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِاللَّهِ فَلِلصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) الْفَضْلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(١٣) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَكَّى الصَّحَابَةَ ﷺ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ ، وَأَمَرَنَا بِمَحَبَّتِهِمْ
وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَإِكْرَامِهِمْ وَحِفْظِ حُقُوقِهِمْ ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ،
وَبَسَبِّ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ لِأَعْظَمِ خِلَالِ الْخَيْرِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا أَخْبَرَنَا
تَعَالَى أَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ وَتَابَ عَلَيْهِمْ ، وَوَعَدَهُمُ الْحُسْنَى ، وَهِيَ الْجَنَّةُ .

(١٤) وَمِنْ أَوْجِبِ واجِبَاتِنَا نَحْوَ الصَّحَابَةِ ﷺ أَنْ نَشْهَدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ مِنْ أَوْلِهِمْ
إِلَى آخِرِهِمْ كَمَا أَخْبَرَنَا تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ^(١) فَحُبُّهُمْ
فَرِيضَةٌ ، وَالِدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ وَسِيلَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِثَأْرِهِمْ فَضِيلَةٌ .

(١٥) كَذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا نَشْرُ فُضَائِلَهُمْ وَجِهَادِهِمْ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ
وَجَعْلِهِمْ أُسْوَةً لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ ، وَدَعَا لَهُمْ ، وَرَعَى
حَقَّهُمْ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُمْ ، فَازَ فِي الْفَائِزِينَ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ ، فَقَدْ
هَلَكَ فِي الْهَالِكِينَ ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

(١٦) كَذَلِكَ مِنْ حَقِّ الصَّحَابَةِ عَلَيْنَا الذَّبُّ عَنْهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ فَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ وَهُوَ
يَسْمَعُ مَنْ يَنْتَقِصُ مِنْهُمْ أَنْ يَقِفَ بَارِدَ الْقَلْبِ سَاكِتَ اللِّسَانِ بَلْ يَنْبَغِي مُعَاقَبَةُ
مَنْ يَطْعَنُ فِيهِمْ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ وَعَلَيْنَا أَنْ نَعَارَ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ ﷺ لِأَنَّهُمْ
هُمْ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا هَذَا الدِّينَ ، فَالطَّعْنُ فِيهِمْ طَعْنٌ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ لِأَنَّهُ
كَمَا تَقُولُ الْقَاعِدَةُ الطَّعْنُ فِي النَّاقِلِ طَعْنٌ فِي الْمَنْقُولِ .

(١٧) كَذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا دِرَاسَةً وَقِرَاءَةً سِيرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَاتِّخَاذِهِمْ أُسْوَةً وَقُدْوَةً وَنَتَشَبَّهُ فِيهِمْ وَكُلَّمَا اِزْدَدْنَا تَشَبُّهًا بِالصَّحَابَةِ عَقِيدَةً وَجِهَادًا وَسُلُوكًا وَمَنْهَجًا كُنَّا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ ، وَكُنَّا مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ : « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » .

(١٨) كَذَلِكَ وَجُوبُ الْكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْخِلَافِ ، وَالْمَنْهَجُ السَّلِيمُ هُوَ مَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ : « تِلْكَ فِتْنَةٌ طَهَّرَ اللَّهُ مِنْهَا سَيُوفَنَا فَلْنُطَهِّرْ أَلْسِنَتَنَا » كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١٩) وَمِنْ حَقِّهِمْ عَلَيْنَا كَذَلِكَ الدُّعَاءُ لَهُمْ وَسَلَامَةُ قُلُوبِنَا وَالْإِسْتِثْنَاءُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١) .

(٢٠) كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مِنْ وَاجِبِنَا نَحْوَ الصَّحَابَةِ : أَنْ نَعْرِفَ التَّفَاضُلَ الَّذِي بَيْنَهُمْ لِنُعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .

فَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ : الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا ، وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ الْعَشْرَةُ الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ ، وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةُ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ ، وَأَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَبُو

بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رضي الله عنه
صَدِيقُ الْأُمَّةِ ، الْإِمَامُ الْأَكْبَرُ وَالْخَلِيفَةُ الْأَعْظَمُ .

(٢١) إِنَّ جِيلَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم خَيْرُ جِيلٍ عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ ، وَاقْتِدَاءُ الْأُمَّةِ بِهِمْ
وَاجِبٌ ؛ بَلْ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ إِلَى الْجَنَّةِ ، كَمَا يَبَيِّنُ ذَلِكَ بِالْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ .

(٢٢) إِنَّ نَشْرَ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ وَجِهَادِهِمْ وَمَرْوِيَّاتِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ طَاعَةً لِلَّهِ
تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صلوات الله عليه ، وَفِيهِ أَبْلَغُ رَدٍّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَوَثِّرِينَ الَّذِينَ
بَاعُوا دِينَهُمْ وَوَهَبُوا حَيَاتِهِمْ لِلطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ، وَقَدْ يَبَيِّنُ
بِدَلِيلِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ يَبْغِضُ الصَّحَابَةَ ، فَحُبُّهُمْ دِينٌ
وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ .

(٢٣) تَمَتَّعَ الصَّحَابَةُ الْأَبْطَالُ بِالشَّجَاعَةِ الْفَائِقَةِ النَّادِرَةِ ، فَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم كُلُّهُمْ
كَانُوا مُجَاهِدِينَ ، وَشُجْعَانٌ أَفْذَاذٌ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، تَرَبُّوا عَلَى عَيْنِ رَسُولِ
اللَّهِ صلوات الله عليه ، أَشْجَعِ الشُّجْعَانِ ، وَأَشْجَعِ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشْجَعِ فِي الْحَقِّ
مِنَ الشَّدَّةِ ، كَانَتْ حَيَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ صَلِيلِ السُّيُوفِ ، وَصَهِيلِ
الْخُيُولِ ، وَخَفَقِ الْبُنُودِ ، وَصِيَاكِ الْفُرْسَانِ ، وَدَوِيِّ التَّكْبِيرِ ، مَا عَرَفُوا فِي
الدُّنْيَا إِلَّا ذَرَوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ، فَتَأَلَّوْا بِسَنَامِ الْإِسْلَامِ حَيَاةَ الشُّهَدَاءِ .

(٢٤) حِرْصُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم عَلَى طَلَبِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ مِنْ
أَعَزِّ أَمَانِيهِمْ نَيْلُ الشَّهَادَةِ ، لَا يُبَالُونَ أَوْقَعُوا عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ

عَلَيْهِمْ ، مَا دَامَ جِهَادُهُمْ خَالِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمِنْ أَجْلِ إِعْلَاءِ
كَلِمَةِ اللَّهِ . كَانَتْ كُلُّ أَمَانِيهِمْ أَنْ يَمُوتُوا شُهَدَاءَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوْقَ
أَرْضٍ مَعْرَكَةٍ مَجِيدَةٍ مِنْ مَعَارِكِ الْإِسْلَامِ ، شَوْقًا لِلشَّهَادَةِ .

(٢٥) صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ جِيلٍ ، وَأَكْرَمُ رَعِيلٍ ، وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ
بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، شِعَارُهُمُ الْجِهَادُ ، وَحِصْنُهُمُ التَّوْحِيدُ ، وَخُلُقُهُمُ
الْقُرْآنُ ، وَقُدُوتُهُمْ سَيِّدُ الْأَنَامِ ﷺ ، وَأُمْنِيَّتُهُمُ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَمَرْضَاةُ اللَّهِ ، وَمَنْ اسْتَقْرَأَ الْعَالَمَ فِي جَمِيعِ الْفِرَقِ ، تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
قَطُّ طَائِفَةً أَعْظَمَ اتِّفَاقًا عَلَى الْهُدَى وَأَبْعَدَ عَنِ الْفِتْنَةِ وَالتَّفَرُّقِ وَالْاِخْتِلَافِ
مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ
بَذَلِكَ ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) .

(٢٦) أَوْضَحْنَا بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْمُتَوَاتِرِ الْقَطْعِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ
الْأُمَّةِ عَلَى كُفْرِ سَابِّ الصَّحَابَةِ ﷺ ، فَكُلُّ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ ﷺ ، فَهُوَ
كَافِرٌ لَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى كُفْرِ
سَابِّ الصَّحَابَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ .

إِنْتَهَى بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى
وَيَلِيهِ بِإِذْنِ اللَّهِ : «أُولَئِكَ آلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ

قائمة المصادر والمراجع

- * ابن الأثير ، مجد الدين المبارك الجزري ، (ت ٦٠٦هـ) :
 (١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ» ، تحقيق عبد القادر الأرنبوط ،
 بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٨٩هـ .
- * ابن الأثير ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) :
 (٢) «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ٥ ج ، بلا ت) .
 (٣) «الكامل في التاريخ» ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٩ ج ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) .
- * ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، (ت ١٤١٩هـ) .
 (٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» جمع وترتيب وإشراف : محمد بن سعد الشويعر
 ، (الرياض ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦هـ) .
- * الأبيهي ، أبو الفتح ، شهاب الدين ، محمد بن أحمد بن منصور ، (ت ٨٥٢هـ) .
 (٥) «المستطرف من كل فن مستظرف» ، (بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، ١٩٩٩م) .
- * ابن بطة ، عبد الله بن محمد بن حمدان العكبري ، (ت ٣٨٩هـ) .
 (٦) «الإبانة الكبرى» ، (بيروت ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٩٤م) .
- * أحمد ، مهدي رزق الله .
 (٧) «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» ، (الرياض ، مركز الملك فيصل
 للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٩٩٢م) .
- * الأصبهاني ، أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله ، (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) .
 (٨) «حلية الأولياء» ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ ، ١٠ ج ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .
 (٩) «معرفة الصحابة» ، (الرياض ، مدينة الحرمين ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م ، ٣ ج) .

* **الأصبهاني** ، أبو القاسم الملقب بقوام السُّنَّة ، إسماعيل بن محمد القرشي الأصبهاني ، (ت ٥٣٥هـ) .

(١٠) «الحُجَّة في بيان المحجَّة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة» ، (الرياض ، دار الراجعية ، ط ٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .

* **الألباني** ، محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ) .

(١١) «إرواء الغليل» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» ، بيروت ، المكتب الإسلامي . ط ٣ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٣) «صحيح الترغيب والترهيب» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٤) «صحيح الجامع» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٥) «صحيح السيرة النبوية» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٦) «مشكاة المصابيح» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

* **البخاري** ، أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل ، (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) .

(١٧) «صحيح البخاري» ، تحقيق : د. مصطفى أديب البغا ، (بيروت ، دار ابن كثير ، اليمامة ، ط ٣ ، ٨ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

(١٨) «التاريخ الكبير» ، (بيروت ، دار الفكر ، ٨ ج ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م) .

* **البيضاوي** ، عبد الله بن عمر بن محمد ، (ت ٦٨٥هـ) .

(١٩) «تفسير البيضاوي» ، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ، (بيروت ، دار الفكر ، بلا ت) .

* **البيهقي** ، أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن علي ، (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) .

(٢٠) «سنن البيهقي الكبرى» ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، (مكة المكرمة ، مكتبة دار الباز ، ١٠ ج ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

(٢١) «دلائل النبوة» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ) .

(٢٢) «الجامع لشعب الإيمان» ، (السعودية ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م) .

* **التباني المغربي**، محمد العربي بن التباني المغربي السطيفي، (ت ١٣٩٠هـ).
(٢٣) «إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسُّنَّة من فضائل الصحابة»، (مكة المكرمة، المكتبة المكية، ط ١، ١٤٢٢هـ).

* **الترمذي**، أبو عيسى، محمد بن عيسى، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
(٢٤) «سنن الترمذي»، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٥ ج، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

* **التميمي**، محمد بن عبد الوهاب، (ت ١٢٠٥هـ).
(٢٥) «رسالة في الرد على الرافضة»، (صنعاء، دار الآثار، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

* **ابن تيمية**، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم الحراني، (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م).
(٢٦) «جامع الرسائل والمسائل»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).
(٢٧) «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).

(٢٨) «الصارم المسلول»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).
(٢٩) «العبودية»، (الإسكندرية، دار الإبيان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م).
(٣٠) «العقيدة الواسطية»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).
(٣١) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).

(٣٢) «مجموع الفتاوى»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).
(٣٣) «مختصر الفتاوى المصرية»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).
(٣٤) «منهاج السنة النبوية»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).

* **ابن الجوزي**، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي، (ت ٥٧٩هـ/١٢٠٠م).
(٣٥) «زاد المسير»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٦ ج، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
(٣٦) «صفة الصفوة»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٦ ج، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
(٣٧) «التبصرة»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
(٣٨) «مناقب عمر بن الخطاب»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

* **الحاكم** ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري ، (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) .
(٣٩) «المستدرک علی الصحیحین» ، تحقیق : مصطفی عبد القادر عطا ، (بیروت ، دار
الکتب العلمیة ، ط ١ ، ٤ ج ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) .

* **ابن حبان** ، أبو حاتم ، محمد بن حبان بن أحمد البستي ، (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) .
(٤٠) «الثقات» ، (بیروت ، دار الفكر ، ١٢ ج ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) .
(٤١) «صحيح ابن حبان» ، تحقیق شعيب الأرناؤوط ، (بیروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢) .
(٤٢) «مشاهير علماء الأمصار» ، (بیروت ، دار الکتب العلمیة ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م) .

* **ابن حزم** ، أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد ، (ت ٤٥٦ هـ / ٦٣ م) .
(٤٣) «جمهرة أنساب العرب» ، تحقیق : عبدالسلام محمد هارون ، (القاهرة ، دار
المعارف ، ط ٤ ، بلا ت) .
(٤٤) «جوامع السيرة وملحق الصحابة الرواة» ، تحقیق : إحسان عباس ، د.ناصر
الدين أسد ، ومراجعة أحمد محمد شاكر ، (مصر ، دار المعارف ، بلا ت) .
(٤٥) «الفصل في الملل والنحل» ، (بیروت ، دار الفكر ، ٤ ج ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م) .
(٤٦) «المحلى» ، (بیروت ، دار الجليل ، ١٠ ج ، بلا ت) .

* **الحلبي** ، علي بن إبراهيم ، (ت ١٤٠٤ هـ) .
(٤٧) «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» المعروفة بـ«السيرة الحلبية» ، (مصر ،
١٣٤٩ هـ) .

* **ابن حميد** ، عبد بن حميد الكشي ، (ت ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م) .
(٤٨) «مسند بن حميد» ، تحقیق : صبحي السامرائي وآخرون ، (القاهرة ، مكتبة السنة ،
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م) .

* **الحموي** ، ياقوت ، شهاب الدين بن عبد الله ، (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) .
(٤٩) «معجم البلدان» ، (بیروت ، دار صادر ، ٥ ج ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م) .

- * الحميدي ، أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي ، (ت ٢١٩هـ) .
 (٥٠) «مسند الحميدي» ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، (بيروت ، عالم الكتب ، ١٣٨٤هـ) .
 * الحنفي ، أبو العز ، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ، (ت ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م) .
 (٥١) «شرح العقيدة الطحاوية» ، تحقيق : جماعة من العلماء ، (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٦ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م) .

* خطاب ، محمود شيت .

- (٥٢) «جيش النبي ﷺ» ، (بغداد ، مكتبة النهضة ، ط ٣ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
 (٥٣) «الرسول القائد ﷺ» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
 (٥٤) «الفاروق القائد ﷺ» ، (بغداد ، مكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
 (٥٥) «القادة الراشدون ﷺ» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
 (٥٦) «قادة النبي ﷺ» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
 (٥٧) «قادة فتح العراق والجزيرة» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
 (٥٨) «قادة فتح مصر وبلاد المغرب» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
 (٥٩) «خالد بن الوليد ﷺ» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .

* الخطيب البغدادي ، أبو بكر ، أحمد بن علي ، (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) .

- (٦٠) «تاريخ بغداد» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج ١٤ ، بلا ت) .
 (٦١) «الجامع لأخلاق الراوي» ، تحقيق : د.محمود الطحان ، (الرياض ، مكتبة المعارف ، ج ٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) .
 (٦٢) «شرف أصحاب الحديث» (تركيا ، دار إحياء السنة النبوية ، بلا ت) .
 (٦٣) «الفقيه والمتفقه» ، (الرياض ، مكتبة المعارف ، ج ٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) .
 (٦٤) «الكفاية» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، بلا ت) .

* **الخلال** ، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد ، (ت ٣١١هـ) .

(٦٥) «السنة» ، (القاهرة ، دار العلوم ، ط ٢ ، ٢٠٠٥م) .

* **ابن خياط** ، أبو عمرو ، خليفة بن خياط الليثي العصفري ، (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) .

(٦٦) «طبقات ابن خياط» ، (الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) .

(٦٧) «تاريخ خليفة بن خياط» ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، (النجف الأشرف ، مطبعة الآداب ، ط ١ ، بلا ت) .

* **الدارقطني** ، أبو علي ، حسن بن عمر البغدادي ، (ت ٣٨٥هـ) .

(٦٨) «سنن الدارقطني» ، تحقيق عبد الله هاشم ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٦٦م) .

* **أبو داود** ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) .

(٦٩) «سنن أبي داود» ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار الفكر ، ج ٤ ، بلا ت) .

* **الذهبي** ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان ، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .

(٧٠) «تاريخ الإسلام» ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٥٢ مجلد ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .

(٧١) «تجريد أسماء الصحابة» ، (بيروت ، دار المعرفة ، ج ٢ ، بلا ت) .

(٧٢) «تذكرة الحفاظ» ، (الهند ، دار إحياء التراث العربي ، ج ٤ ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م) .

(٧٣) «سير أعلام النبلاء» ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ج ٢٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .

(٧٤) «الكبائر» ، (الإمارات ، مكتبة الفرقان ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) .

(٧٥) «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ، (بيروت ، دار المعرفة ، ط ١ ، ج ٤ ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م) .

* **الرازي** ، فخر الدين ، محمد بن عمر ، (ت ٦٠٦هـ) .

(٧٦) «التفسير الكبير» ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٣ ، ٢٠٠٥م) .

- * **الزنجشري** ، جار الله ، محمود بن عمر الخوارزمي ، (ت ٥٣٨هـ) .
 (٧٧) «الكشاف عن حقائق التنزيل» ، (بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ) .
- * **السبكي** ، أبو الحسن ، تقي الدين علي بن عبد الكافي ، (ت ٧٥٦هـ) .
 (٧٨) «فتاوى السبكي» ، (بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠١٢م) .
- * **السرخسي** ، أبو بكر ، محمد بن أحمد بن أبي سهل ، (ت ٩٢٦هـ) .
 (٧٩) «أصول السرخسي» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٤هـ) .
- * **ابن سعد** ، أبو عبد الله ، محمد بن سع بن منيع البصري ، (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) .
 (٨٠) «الطبقات الكبرى» ، (المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، ج ٨ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .
- * **ابن سعدي** ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ ، (ت ١٣٧٦هـ) .
 (٨١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَانِ» ، (مكة المكرمة ، دار طيبة الخضراء ، ١٤١٦هـ) .
- * **سعيد بن منصور** ، أبو عثمان ، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني ،
 (ت ٢٢٧هـ) .
- (٨٢) «سُنَنُ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ» ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، (الهند ، الدار السلفية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) .
- * **السفاري** ، شمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ، (ت ١١٨٨هـ) .
 (٨٣) «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقيدة الفرقة المرضية» ، (دمشق ، مؤسسة الخافقين ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .
- * **السمرقندي** ، أبو الليث ، نصر بن محمد بن أحمد ، (ت ٣٦٧هـ) .
 (٨٤) «تفسير السمرقندي» المسمى «بحر العلوم» ، (بيروت ، دار الفكر ، ٢٠١٠م) .

- * **السيوطي** ، جلال الدين بن أبي بكر ، (ت ٩١١هـ) .
- (٨٥) «تاريخ الخلفاء» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ) .
- (٨٦) «الدر المنثور في التفسير بالماثور» ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ) .
- * **الشافعي** ، أبو عبد الله محمد بن إدريس ، (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) .
- (٨٧) «الرسالة» ، (مصر ، دار النهضة العربية ، بلا ت) .
- * **أبو شامه** ، أبو القاسم ، شهاب الدين ، عبد الرحمن بن إسماعيل ، (ت ٦٦٥هـ) .
- (٨٨) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ، (مكة المكرمة ، مطبعة النهضة الحديثة ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .
- * **ابن شبة** ، عمرو بن شبة النمري البصري ، (ت ٢٦٢هـ) .
- (٨٩) «تاريخ المدينة المنورة» ، تحقيق فهد محمد شلتوت (ط ٢ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٠هـ) .
- * **ابن أبي شيبة** ، محمد بن عبد الله ، (ت ٢٣٥هـ) .
- (٩٠) «المصنف» ، تحقيق كمال يوسف الحوت (ط ١ ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٠٥هـ) .
- * **الشيبياني** ، أبو عبد الله ، أحمد بن حنبل ، (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) .
- (٩١) «الزهد» ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١م) .
- (٩٢) «فضائل الصحابة عليهم السلام» ، (مصر ، مؤسسة قرطبة ، ٦ ج ، بلا ت) .
- (٩٣) «مسند الإمام أحمد» ، (مصر ، مؤسسة قرطبة ، ٦ ج ، بلا ت) .
- * **ابن الصلاح** ، تقي الدين أبو عمر ، عثمان ابن المفتي الشافعي الشهرزدي (ت ٦٤٣هـ) .
- (٩٤) «مقدمة ابن الصلاح» ، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد ، (ت ٣١١هـ) .

- * **الصنعاني**، عبد الرزاق بن همام، (ت ٢١١هـ).
- (٩٥) «مصنف عبد الرزاق»، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ).
- * **الطبراني**، أبو القاسم، سلمان بن أحمد، (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).
- (٩٦) «معجم الطبراني الكبير»، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠ ج، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م).
- * **الطبري**، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
- (٩٧) «جامع البيان في تأويل القرآن»، (بيروت، دار الفكر، ١٥ ج، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).
- (٩٨) «تاريخ الرسل والملوك»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف، ط ٤، ١٠ ج، تواريخ مختلفة).
- * **الطيالسي**، أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، البصري، (ت ٢٠٤هـ).
- (٩٩) «مسند الطيالسي»، (مصر، دار الهجرة، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
- * **ابن أبي عاصم**، محمد بن أبي عاصم الضحاك، (ت ٢٨٧هـ).
- (١٠٠) «السُّنَّة»، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (ط ١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ).
- * **ابن عبد البر**، أبو عمر، يوسف بن عبد البر النمري، (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).
- (١٠١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، (مصر، مطبعة النهضة، ٤ ج، بلا ت).
- (١٠٢) «بيان فضل العلم»، (الدمام، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
- * **عبد الرحمن بن محمد بن قاسم**، (ت ١٣٩٢هـ).
- (١٠٣) «الدُّرر السَّنِّيَّة في الأجوبة النجدية»، مجموعة رسائل ومساءل علماء نجد الأعلام، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٦٥م).

* ابن عثيمين ، محمد بن صالح ، (ت ١٤٢٠هـ) .
(١٠٤) «مجموع فتاوى ابن عثيمين» ، جمع وترتيب : ناصر السليمان ، (الرياض ، دار
الثرى ، ٢٠٠١م) .

* ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله ، (ت ٥٤٣هـ) .
(١٠٥) «أحكام القرآن الكريم» ، تحقيق محمد علي البجاوي (ط ١ ، بيروت ، دار
إحياء التراث ، ١٩٨٥م) .
(١٠٦) «العواصم من القواصم» ، (القاهرة ، مكتبة السنة ، ط ٦ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

* ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله ، (ت ٥٧١هـ) .
(١٠٧) «تاريخ مدينة دمشق» ، تحقيق عمر غرامة العمري (ط ١ ، بيروت ، دار
الفكر ، ١٩٩٥م) .

* العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) .
(١٠٨) «الإصابة في تمييز الصحابة» ، (القاهرة ، دار العلوم الحديثة ، ط ١ ، ج ٤ ،
١٣٢٨هـ - ١٩١٠م) .

(١٠٩) «تقريب التهذيب» ، (حلب ، دار الرشيد ، بلا ت) .
(١١٠) «تهذيب التهذيب» ، (بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ، ج ١٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .
(١١١) «فتح الباري» ، (مصر ، مطبعة مصطفى الحلبي ، ج ١٧ ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م) .
(١١٢) «معرفة الخصال المكفرة» ، (الكويت ، مكتبة الصحوة الإسلامية ،
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .

* العظم ، يوسف .
(١١٣) «في رحاب الأقصى» ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، بلا ت) .
* العيني ، أبو محمد ، محمود بن أحمد العيني ، (ت ٨٥٥هـ) .
(١١٤) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» ، (بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ) .

- * **ابن قانع** ، أبو الحسين ، عبد الباقي ابن قانع ، (ت ٣٥١هـ / ٩٦٢م) .
 (١١٥) «معجم الصحابة» ، (المدينة المنورة ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ٣ ج ، بلا ت) .
- * **القحطاني** ، أبو عبد الله ، محمد بن صالح المعافري ، (ت ٣٨٣هـ) .
 (١١٦) «نونية القحطاني» ، (القاهرة ، دار الحرمين ، ١٤١٨هـ) .
- * **ابن قدامة** ، محمد بن عبد الله المقدسي ، (ت ٦٢٠هـ) .
 (١١٧) «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» ، (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٣٩٥هـ) .
- * **القرطبي** ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد الأنصاري ، (ت ٦٧١هـ / ١٢٧١م) .
 (١١٨) «الجامع لأحكام القرآن» ، (مصر ، دار النهضة ، ٢٠ ج ، بلا ت) .
- * **القرني** ، الشيخ علي .
 (١١٩) «إيماض البرق في شجاعة سيد الخلق ﷺ» ، (مكة المكرمة ، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية ، ط ١ ، ١٤٣٥هـ) .
 (١٢٠) «قطرات الينابيع» ، «حروف تجر الختوف» ، (مكة المكرمة ، دار طيبة الخضراء ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ) .
- * **قطب** ، سيد إبراهيم .
 (١٢١) «معالم في الطريق» ، (القاهرة ، دار الشروق ، بلا ت) .
- * **ابن القيم** ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م) .
 (١٢٢) «إعلام الموقعين» ، (بيروت ، المكتبة القيمة الأولى ، ١٤٠٤هـ) .
 (١٢٣) «الفوائد» ، (بيروت ، المكتبة القيمة الأولى ، ١٤٠٤هـ) .
 (١٢٤) «زاد المعاد في هدي خير العباد» ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٠ ، ٥ ج ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .
 (١٢٥) «طريق المهجرتين وباب السعادتين» (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٠ ، ٥ ج ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .

- * ابن كثير ، أبو الفداء ، عماد الدين ، إسماعيل بن عمر ، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .
- (١٢٦) «تفسير القرآن العظيم» ، (بيروت ، دار المعرفة ، ٤ ج ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) .
- (١٢٧) «البداية والنهاية» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤ جن ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .
- * اللالكائي ، أبو القاسم ، هبة الله ، حسين بن منصور ، (ت ٤١٦هـ) .
- (١٢٨) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ، تحقيق أحمد بن سعد حمدان الغامدي ، (الرياض ، دار طيبة) .
- * ابن ماجة ، أبو عبد الله ، محمد بن يزيد ، (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) .
- (١٢٩) «سنن ابن ماجة» ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ٢ ج ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) .
- * ابن المبارك ، عبد الله بن المبارك ، (ت ١٨٢هـ) .
- (١٣٠) «الجهاد» ، (بيروت ، دار المعرفة ، د . ت) .
- * المباركفوري ، صفي الرحمن ، (معاصر) .
- (١٣١) «الرحيق المختوم» ، (بيروت ، دار القلم ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .
- * المباركفوري ، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، (ت ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) .
- (١٣٢) «تحفة الأحوذى» (بيروت ، دار الفكر ، ١٠ ج ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) .
- * المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين المكي ، (ت ٩٧٥هـ) .
- (١٣٣) «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» ، تحقيق صفوة السقا ، (بيروت ، دار الرسالة ، ١٩٨٩م) .
- * محب الدين الطبري ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الله ، (ت ٦٩٤هـ) .
- (١٣٤) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ٢٠١٠م) .

* محمد حميد الله .

(١٣٥) «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» ، (بيروت ، دار النفائس ، ط ٦ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

* مسلم أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج ، (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م) .
(١٣٦) «صحيح مسلم» ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ج ٥ ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) .

* المعافى ، أبو الفرج بن زكريا بن يحيى الحريري النهرواني ، (ت ٣٩٠ هـ) .
(١٣٧) «الجلس الصالح الكافي والأنيس الناصع الشافي» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) .

* ابن النحاس ، أبو زكريا ، أحمد بن إبراهيم الدمشقي ثم الدمياطي ، (ت ٨١٤ هـ) .
(١٣٨) «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام» ، (بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .

* النسائي ، أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب ، (ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) .
(١٣٩) «سنن النسائي» ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، (حلب ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ط ٢ ، ٨ ج ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) .

* النووي ، أبو زكريا ، محي الدين يحيى بن شرف الشافعي ، (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) .
(١٤٠) «شرح صحيح مسلم» ، (بيروت ، دار القلم ، ج ١٨ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) .

* ابن هشام ، أبو محمد ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) .
(١٤١) «السيرة النبوية» ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، (مصر ، دار الكنوز الأدبية ، ج ٢ ، بلا ت) .

- * أهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر، (ت ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م).
(١٤٢) «الصواعق المحرقة»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م).
- * أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي التميمي، (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م).
(١٤٣) «مسند أبي يعلى»، تحقيق: حسين سليم أسد، (دمشق، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٣ج، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).
- * الجنابي، د. عبدالستار جبار شكر.
(١٤٤) «شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وحبهم للجهاد والاستشهاد»، (مكة المكرمة، دار طيبة الخضراء، ط ١، ١٤٣٦هـ).

الفهرس

٥	الإهداء
٧	المقدمة

الفصل الأول :

٢٧	المبحث الأول : عدالة الصحابة <small>رضي الله عنهم</small> في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة
	المبحث الثاني : حكم سب الصحابة وشهادات بعض السلف في الذب
٨١	عن الصحابة <small>رضي الله عنهم</small>
١٠١	المبحث الثالث : واجب الأمة نحو الصحابة <small>رضي الله عنهم</small>

الفصل الثاني : حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وشدة اتباعهم له

١١٣	تمهيد :
١١٥	المبحث الأول : صور من اتباع الصحابة للنبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
١٢١	المبحث الثاني : صور رائعة لأحاد الصحابة <small>رضي الله عنهم</small> في اتباعهم
١٢٥	لقائدهم وأسوتهم <small>صلى الله عليه وسلم</small>
١٣٥	المبحث الثالث : حب الصحابة للنبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
١٥٣	المبحث الرابع : شجاعة النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> وشجاعة صحابته <small>رضي الله عنهم</small>
١٧١	أولاً : شجاعة النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
١٨٥	ثانياً : شجاعة أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>
١٩٣	ثالثاً : شجاعة عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>
٢١٧	رابعاً : شجاعة عثمان بن عفان <small>رضي الله عنه</small>
٢٢٥	خامساً : شجاعة علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>

٢٢٩ الفصل الثالث : فضائل الخلفاء الراشدين <small>رضي الله عنهم</small>
٢٣١ تمهيد :
٢٣٣ أولاً : تَفَاضُلُ الصَّحَابَةِ <small>رضي الله عنهم</small> وَفَضَائِلُهُمْ
٢٤١ ثانياً : علاقة القرابة بين الرسول <small>صلوات الله عليه</small> والخلفاء الراشدين <small>رضي الله عنهم</small>
٢٤٤ ثالثاً : علاقة المصاهرة بين الرسول <small>صلوات الله عليه</small> والخلفاء الراشدين <small>رضي الله عنهم</small>
٢٤٧ المبحث الأول : فضائل أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>
٢٦٥ المبحث الثاني : فضائل أبي حفص عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>
٢٨١ المبحث الثالث : فضائل ذي النورين عثمان بن عفان <small>رضي الله عنه</small>
٢٩٣ المبحث الرابع : فضائل أبي الحسن علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
٣٠٥ الخاتمة
٣١٣ قائمة المصادر والمراجع
٣٢٧ الفهرس

السيرة الذاتية للمؤلف

* من مواليد بغداد ، باب الشيخ (١٣٧٤هـ - ١٩٥١م) ، أستاذ مساعد (بمادة السيرة النبوية) في كلية الآداب بالجامعة الإسلامية (العراقية حالياً) ببغداد .

* نال شهادة الماجستير في (تفسير وعلوم القرآن) ، والدكتوراة في (التاريخ الإسلامي - السيرة النبوية) .

* حصل على شهادات وإجازات علمية كثيرة ، منها :

- إجازات علمية في : التفسير ، والحديث ، والفقه .
- بكالوريوس لغة إنجليزية ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٥م .
- دبلوم لغة ألمانية ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٥م .
- بكالوريوس شريعة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم الإسلامية ، ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م .
- ماجستير في التاريخ الإسلامي ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ٢٠٠٢م .
- دكتوراة في التاريخ الإسلامي ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ٢٠٠٥م .
- ماجستير في تفسير القرآن ، كلية الإمام الأعظم (أبو حنيفة النعمان) . بغداد ٢٠١٠م .

* ومن مؤلفاته :

- ١- «أساليب المنافقين في محاربة المسلمين في القرآن الكريم» . (رسالة ماجستير)
- ٢- «هدي النبي عليه الصلاة والسلام في جهاد المنافقين» . (رسالة دكتوراة)
- ٣- «البراء بن عازب رضي الله عنه : سيرته ومروياته التاريخية في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد» .
- ٤- «نماذج تطبيقية للرفق واللين من السيرة النبوية» .
- ٥- «موالاة الكافرين والمنافقين ، أحوالها وأحكامها» .
- ٦- «الاستهزاء بالدين ، أحواله وأحكامه» .
- ٧- «الحكم بغير ما أنزل الله ، أحواله وأحكامه» .
- ٨- «فقه الواقع ، أهميته وأدلته» .
- ٩- «أهم الأحكام والآداب التي تؤخذ من حادثة الإفك» .
- ١٠- «السيرة النبوية ، أهميتها ومصادرها» .
- ١١- «مواقف دعوية من السيرة النبوية» .



التجهيز والإخراج

050 457 4270
hamzawi999@hotmail.com